٢٥ رس

كفُّ المخطئ عن الدعوة إلى

# الشِّعر النَّبطي

## دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة


تأليف

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي


تقريظ

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد


مكتبة

دار البيان الحديثة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م

الناشر

مكتبة

دار البيان الحديثة

المملكة العربية السعودية - الطائف - هاتف : ٧٤٥١٤١٤ - فاكس : ٧٤٥١٤١٤
هاتف : ٧٤٥٤٦٧١ - ٧٤٦٣٧٣٤
جمهورية مصر العربية - القاهرة - هاتف : ٢٩٩٩٥٦٦ - ٠١٠١١٠١٦٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد :

فقد اطلعت على ما كتبه الأخ الكريم الشيخ / ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي وفقه الله تعالى في كتابه "كف المخطئ عن الشعر النبطي" ، فألفيته كتابًا مفيدًا في بابه، قيِّمًا في موضوعاته ، جميلاً في أسلوبه ذا أهمية في معناه ، فجزاه الله تعالى خيرًا .

وقد اطلعتُ على كتب أخرى للشيخ ذياب دعاه إلى كتابتها حميَّتُه الإسلامية ، وغيرتُه الدينية ، وعاطفتُه الصادقة . نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى .

ولا شك أنه يجب على كل مسلمٍ أن يغار لحرمات الله عز وجل، وينتصر لدينه ، ويبيِّن شرعه .

قال الله عز وجل:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾.

وقد بيَّن الشيخ ذياب في هذا الكتاب خطورة الدعوة إلى اللهجة العامية ، والمبالغة في الشعر العامي من قِبَلِ بعض الناس، والنفخ في ذلك ، وعقد المؤتمرات في هذا السبيل كما أنه حذّر بعض أهل الخير من سلوك هذا الطريق في الدعوة إلى الله تعالى . فجزاه الله خيرًا ووفقه .

وكتب : عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**أمَّا بعد :**

فإنَّ من أحبَّ الله تعالى أحبَّ رسولَه محمدًا ﷺ ، ومن أحبَّ الرسولَ العربيَّ أحبَّ العربَ ، ومن أحبَ العربَ أحبَّ العربيةَ التي نَزَلَ بها أفضلُ الكتبِ ؛ على أفضلِ العربِ والعجم ، ومن أحبَّ العربيةَ عُني بها وثابرَ عليها، وصرفَ هِمَّتَه إليها، ومن هداه الله إلى الإسلامِ، وشرحَ صدرَه للإيمان ، وآتاه حُسْنَ سريرةٍ فيه؛ اعتقدَ أنَّ محمدًا ﷺ خيرُ الرسلِ، والإسلامَ خيرُ المللِ، والعربَ خيرُ الأممِ ، والعربيةَ خيرُ اللغاتِ والألسنةِ، والإقبال على تفهُّمها من الدِّيانةِ ؛ إذ هي أداةُ العلم، ومفتاحُ التَّفقُّه في الدِّين ، وسببُ إصلاحِ المعاشِ والمعاد ، ولو لم يكن في الإحاطةِ بخصائصِها والوقوف على مجاريها ومصارفِها ، والتبحُّرِ في دقائقِها إلاَّ معرفةُ وفَهمُ القرآنِ والسنَّةِ الذين هما عمدةُ الإيمان، وصلاحُ اللِّسانِ الذي هو زينةُ الإنسان [1].

لأجل هذا كانت اللغةُ العربيةُ هي الوعاء للتراث العربي والإسلامي

(١) انظر مقدمة "فقه اللُّغة " لأبي منصور عبد الملك الثَّعالبي ، ص ( ٢٥ ـ ٢٧ ) بتصرف، واختصار .

بمختلف صوره من دينٍ، وثقافةٍ، وتأريخٍ وغير ذلك ، فعن طريقها حُفظ ماضي الأمة العربية كلّه ، وعن طريقها تلقينا وستتلقى الموروثات الحضارية للأُمةِ الإسلامية.

وهذا لا يعني أنَّ اللغةَ العربيةَ في سلامةٍ ومنأى عن وجود خصومٍ لها وأعداء، . . كلاَّ ؛ بل تزامن العداءُ لها منذ أصبحت قالبًا للإسلام، ووعاءً لحفظه وبقائه . .

فبدأ العداءُ لها يظهر ويختفي بين الحين والآخر، وهذا كلُّه بقدر صمود أهلها، أو غفلتهم . ومن قرأ التأريخَ أو بعضَه يَعلمُ حقيقةَ هذا العِراك المستميت بين لغتنا العربية وبين خصومها.

وما زال هذا العداءُ يرصدُه التأريخ يومًا بعد يوم، إلاَّ أنه في هذه الأيام اشتَدَّ عمَّا كان ؛ بَلْه حمي الوطيس [1] ، واستحرَّ القتلُ بين الفصحى ودعاةِ العامية ، غير أنَّ هذه المعركة لم تكن متكافئةً متقاربةً !؛ بل كانت بين لغةٍ منهوكةٍ قد تنكَّر لها كثيرٌ من رجالها ـ للأسف ـ ما بين مخذِّلٍ مُرجفٍ، ومُداهنٍ مُتخوِّف، وبين عاميَّةٍ نكراءَ غبراءَ أجلبتْ بخيلِها ورَجْلِها، وتحزَّب حولها الأحباشُ وكلُّ غشَّاش، والأعداء والأغبياء، وقد أجمعوا أمرهم على رَمْيِها عن قوسٍ واحدة!.

" وكان من سوالب هذه البَداوات الآثمة ، والحملات المسعورة

---

(١) يُضربُ للأمرِ إذا اشْتَدَّ، انظر " اللسان " (٦/٢٥٥) (وطيس) ، و"مجمع الأمثال" (٢/١٠٥)، و" موسوعة أمثال العرب" ( ٢/٦٥٤ ) .

غيابُ طائفةٍ كبيرةٍ من لغة الشريعة ، وآدابها المسطرة في معلمة فقهـــها، ومعاجمها، وحَلَّتَ لغاتٌ ركيكةٌ، وأشعارٌ هجينةٌ في ميادين الحياة مـــن ثقافة وفكر ؛ متابعةً بذلك سنة الإبعاد عن كتب اللغة وفقهها بتحنيـــط لغتها، وبذلك يستحكم الانفصال بين المسلم وتراثه؛ ليكـــون رسمًـــا لا معنى له ، وصورةً لا حقيقة له.

فكيف لا تستحي أمةٌ تركض لبناء مجدها وهي مُصرة على الحِنْثِ العظيم؛ إذ ترفل بلباس عدوها، متقمصةً له في عامة ميادين حياتِها راكبةً أثباجَ لُججٍ هائجةٍ من الفتن، ألم يعلموا أن بناء الذات قبل بناء الذوات! .

واللهُ يعلمُ ماذا يلحق بالمسلم الناصح من عميق الآلام عندما يسود شيءٌ من هذا القتام، لكن هذا الاعتلاج لا يكفي؛ بل لا بُدَّ من البيـــان عمَّاذا يُراد بنا ونحن نيام، من تحليل الأمة بِهذا الرِّداء الكاسِي العَـــارِي المُمَزَّق القاضي على إجلال الفصحى " [(١)] .

فاللغة العربية إذن تمر بظروف عصيبةٍ خطيرةٍ في حياتِها ما أظنُّـــها مرَّت بمثلها من قبل ، ومشكلتُها اليوم تُعَدُّ واحدةً من أخطرِ المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر .

وذلك حين نبتت نابتةٌ تتكلم بلساننا، وتستظلُّ تحت سماء جزيرتنا، لا تدرك خطورة ما تدعو إليه !! .

---

(١) انظر "المواضعة في الاصطلاح" للشيخ العلامة بكر أبو زيـــد، ضمـــن فقـــه النـــوازل (١ / ١٠٤ ــ ١٠٦) بتصرف ، واختصار .

إنَّهم دعاةُ العاميَّة ، وما أدراك ما العاميَّة ؛ سواءٌ كانت دعوتُهم سافرةً جهارًا نَهارًا كما تبنَّته الصُّحُفُ وغيرُها، أو دعوةٌ مستترةٌ تحت ثوبٍ فضفاضٍ نسجته أيدي العِداء فألبسته أمةَ الإسلام ، والعربَ العرباءَ، وشبابَ الصحوة؛ وذلك فيما يُسَمَّى بالشعر "النبطي" !.

الذين لم يزالوا ينتشرون في الجزيرة العربية، والخليج في السنوات القليلة الأخيرة بشكلٍ مخوفٍ ممَّا يلفت النظر، ويسترعي الانتباه .

وهذا منهم مما يزيدُ الخوف ، ويبعثُ هاجس الرِّيبةِ في نيَّاتِ الذين يسعون لنشره بِهذه القوةِ الجريئةِ المخالفةِ للّسانِ العربي،وقوانينِه، ومفرداتِه، ومركباتِه، وأوزانِه، مع ما فيه من ألحانٍ مرذولة، وأذواقٍ ممجوجة !.

يقول ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ : إن هذا الكلامَ الموزونَ كلامٌ فاسدٌ مفردًا أو مركبًا ؛ لأنَّهم غيروا فيه كلام العرب ، وبدلوه ؛ بقولهم: " ماعوا وبدوا وعدوا " ، وأمثال ذلك مما تمجه القلوب والأسماع ، وتنفر عنه العقول والطباع.

وأما "مركباته" فإنه ليس من أوزان العرب؛ ولا هو من جنس الشعر، ولا من أبحره الستة عشر، ولا من جنس الأسجاع، والرسائل، والخطب.

ومعلوم أن " تعلم العربية، وتعليم العربية " فرض على الكفاية ؛ وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللّحن ، فنحن مأمورون أمر إيجاب، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فَهم الكتابِ والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابِها.

فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا ؛ فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية المستقيمة، والأوزان القويمة : فأفسدوها بمثل هذه المفردات، والأوزان المفسدة للّسان ، الناقلة عن العربية العرباء إلى أنـــواع الهذيـــان؛ الذي لا يهذي به إلا قوم من الأعاجم الطّمَاطم[١] الصميان ؟ !! .

وقال – أيضًا – : وهؤلاء تركوا المقامرةَ بالأيدي ، وعجزوا عنها: ففتحوا القِمارَ بالألسنة، والقمارُ بالألسنةِ أفسدُ للعقلِ والديـــنِ مـــن القمارِ بالأيدي، والواجب على المسلمين المبالغةُ في عقوبـــةِ هـــؤلاء ، وهجرهِم ، واستتابتهم ... – إلى قوله – : ... فإنّها تُفســدُ اللّســانَ العربي، وتنقله إلى العُجمةِ المنكرة.

ومازال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعـــاملات، وهو "التكلم بغير العربية " إلاّ لحاجة؛ كما نصَّ علـــى ذلـــك مـــالكٌ، والشافعي ، وأحمد ؛ بل قال مالك : من تكلم في مسجدِنا بغير العربيـــة أُخرج منه [٢]، مع أنَّ سائرَ الألسن يجوز النطق بِها لأصحابِها ؛ ولكـــن سوَّغوها للحاجة ، وكرهوها لغير الحاجة ، ولحفظ شعائر الإسلام ؛ فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وبعث به نبيه العربي، وجعل أمة العربيـــة

---

(١) أي : الأعجمي الذي لا يفصح ، لسان العرب ( ٨ / ٢٠٣ ) .

(٢) لعَمرُ الله؛ لو أخرجنا من مساجدِنا كلَّ من لا يُحسن العربية الفصحى مِمَّنْ يُجعجـــعُ على رؤوسِ المسلمين بعاميَّةٍ ركيكةٍ، وعبارات ملحونة – لَخَلَتْ المساجدُ من خُطبائها، ولم يبقَ سوى ثُلَّةٌ قليلةٌ ! ، فإن يكن هذا في أهل الجزيرة العرباء ، فكيف والحال هذه في الديار العجماء ، اللّهم رحماك، اللّهم حوالينا ولا علينا .

خير الأمم ، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام .

فكيف بِمن تَقدَّم على الكلامِ العربي ــ مفرده ومنظومه ــ فَيُغيِّره ويُبدِّله ويخرجُه عن قانونه ويُكلِّفُ الانتقال عنه ؟!! - إلى قوله - : .. والذين يُبدِّلون اللِّسان العربي ويفسدونه ، لهم منه هذا الذَّم والعقاب بقدر ما يفتحونه ، فإن صلاح العقل، واللِّسان مِمَّا يؤمر به الإنسان ، ويعين على تمام الإيمان، وضد ذلك يوجب الشقاق، والضلال، والخسران، والله أعلم" [١] .

ومن يعرف حقائق الأمور، ويقرأ التاريخ بتدبر، وينظر بعينٍ بصيرةٍ حركاتِ الأمم من حولنا ، ونيَّاتِها نحونا نحن المسلمين ؛ يدرك الحقيقة، وخطورة الذين يلعبون بالنار.

إنَّها حقيقةٌ مرَّةٌ حينما يعلم دعاة "النبطي" أنَّها : نفس الأهداف والمخطَّطات التي سبق أن تكرر مثلها في أجزاء من الوطن العربي والإسلامي، وما أشبه الليلة بالبارحة ! .

وإني أعلم يقينًا أن أحدًا لو أراد أن يقف في وجه الشعر "النبطي" أيًّا كان ، أو حاول - عبثًا - أن يكشف أخطاءه فمصيره الرَّجمُ والشَّتم . . لأنَّ من أراد الخروج عن المألوف - ولو كان خطأً - كان عُرضةً لسهامِ الألوف؛ ولكنْ لسانُ حالي كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الآية [هود : ٨٨] .

---

(١) انظر " مجموع الفتاوى " لشيخ الإسلام ابن تيمية ( ٣٢ / ٢٥٢ ــ ٢٥٥ ) .

نعم : سيغضبُ أناسٌ وأناسٌ ؛ وربما يعاديني القريب قبل البعيد!

وليعلم الجميع أنَّني لست خصمًا للشعر " النبطي " كأدبٍ شعبي محلي تتذوَّقه الألسُنُ، وتبعثُه السَّجية؛ بل خصمٌ، وسهمٌ نحو دعاة "النبطي"، فمن فرَّق بينهما هان عليه أحدهما [١].

فالشعر "النبطي" ليس بِدَعًا من القول؛ بل معروفٌ ومألوفٌ لدى طائفةٍ كبيرة من أبناء الجزيرة، فمنهم من يتذوقه بحكم الوراثة والبيئة ، وآخرون يسمعون منه أشياء ونتفًا ألفوها في حياتِهم اليومية الخاصة والعامة وهكذا . . إلاَّ أن معرفة بعضِهم ـ للأسف ـ بالدَّسِ والمؤامراتِ التي يُحيكها أعداء المسلمين ضد الإسلام ولغته العربية قليلة جدًّا ، ولهذا السبب لم يدركوا ما وراء نشاط الفكر العامي ، ودعاة "النبطي" من أهداف بعيدة، وأخطاءٍ خطيرة لم تتضح للعيان بعدُ.

فليس وَكَدي ، ورجاءُ غايتي من هذه الرسالة تخطئة العوام، ومهاجمة الشعر "النبطي"؛ بقدر ما أريد مع هذا – أيضًا – بيان خطأ وخطورة دعاة الفكر العامي والشعر"النبطي"، وإن كان بيانُ لحنِ العامة، وتصحيح لسانِهم جادةً مطروقةً عند حماة العربية، وأرباب

---

(١) سيأتي لهذا التفريق مزيد من الإيضاح ـ إن شاء الله ـ .

اللِّسان.

لذا نجد العلماء جيلاً بعد جيلٍ لم تفتر عزائمهم، أو تكلّ قواهم في إصلاح الفساد اللُّغوي عند العامة، و لم يقولوا كما يقول الناس اليوم : إن العاميَّةَ موجودةٌ؛ ولا بدَّ من التعامل معها، وإحيائها ودراستها، والاهتمام بآدابِها وثقافتها.

ولو استسلم العلماء أمام هذه السفسطة، والجهالة التي يتكئ عليها عشَّاق "النبطي" في القرن الثاني عشر الهجري وما تلاه من قرون؛ لكانت اللغة الفصحى اليوم خبرًا بعدَ عيانٍ كما يُراد لها.

لكنَّهم ــ رحمهم الله ــ عرفوا أهمية العمل على الحدِّ من سرعة انتشار العامية، وسعوا إلى إثراء العربية الفصحى حتى تَسُدَّ الطُّرقَ على منافذ العامية بكل ما يملكون من كلمةٍ، أو ورقةٍ، أو كتابٍ . . وهكذا قاموا يؤلفون في الفصحى، ويعالجون أخطاء العامية على مرِّ العصور؛ فهذه أسماء كتبهم تزخر بها المكاتب الإسلامية يومًا بعد يوم.

فالشعر "النبطي" كان يوم كنَّا، وما زلنا نسمع به منذ عقدين أو ثلاثة، ونقرأ عن أصحابه بين الفينة والأخرى، وكلٌّ هذا لم يسترعِ منَّا اهتمامًا لظنِّنا أنَّ لهم حدًا لن يتجاوزوه ، وهدفًا لن ينالوه ؛ لذا لم

يتعرض إليهم حماةُ العربية بكلّ ما يملكون؛ بل تركوهم لهجمةِ التاريخ لعلّه يقضي عليهم، أو يخفي آثارهم؛ كما هو مصيرُ كلّ دعوةٍ جوفاء ليس لها مستندٌ، أو أثارة من علم، كما هو ماثلٌ في الشعر "النبطي" الذي لم يكن إلاّ وليدَ أحداثٍ، وظروفٍ وقتيةٍ سُرعان ما يندرس ويندثر تحت أيدي التأريخ الصارمة، ويتساقط دعاتُه عند بزوغِ شمس الفصحى، وصولةِ حُماةِ العربية.

فهذه سُنَنُ التأريخ؛ لا تحفظ إلا ما كان أصيلاً نفيسًا؛ لا هشًّا ركيكًا كبيت العنكبوت ! .

نعم ؛ أحكام التاريخ لا ترحم أحدًا مهما كان شأنه أو منصبه؛ وهل دعاة التَّحرير، أو دعاة العاميَّة عنّا ببعيد[١] ؟.

أفحسبَ دعاةُ "النبطي" – بعد هذا – أنَّهم في سلامةٍ من قبضةِ التأريخ، وسهامِ الغُيُر على اللّسان العربي[٢] ؟.

وما زلنا نظنُّ أن جَذوةَ دعاة " النبطي" ستنطفئ ، وتنهارُ قُواهم . . حتى اتسع الخَرْقُ، وتجاوز شعرُهم حدودَه، وعَلت

---

(١) دعاة التحرير أمثال : رفاعة الطهطاوي، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، وهدى شعراوي ... الخ.

أما دعاة العامية فأمثال : سلامة موسى، ولويس عوض وغيرهما ممَّا يأتي ذكرهم كَرْهًا !، مع ترجمةٍ مختصرة – إن شاء الله – .

(٢) غُيُر : جمع غَيْرة، من قولك غارَ الرَّجلُ على امرأتِه، انظر " اللسان" (٥/١٥٤) (غير).

أصواتُهم؛ حتى استباحوا الصحفَ، و المجلاتِ، والإذاعاتِ، وأقاموا الندواتِ، والأمسياتِ تمجيدًا، وتعزيزًا، وتقريرًا، وتقنينًا لنشر "النبطي" ! .

و لم ينته بِهم الحدُّ إلى هذا ؛ بل تَنكّر بعضُهم للُّغة العربية الفصحى ، وأقام مَحَاكِمًا قضائيةً بين الفصحى والعامية ، ونادى بعضُهم بأفضلية العاميَّة . . ولَمَّا " بلغ السَّيلُ الزُّبَى، والحِزامُ الطُّبْيَيْنِ"[1]؛ انبرى أهل العلم، وحماة الدِّين، وأرباب اللغة في الذبِّ عن لغة الدِّين ـــ العربية ـــ ، ووقفوا في وجه كلِّ من تُسَوِّلُ له نفسُه أن ينالَ من اللغة العربية ولو بكلمةٍ ؛ ورَمَوْا دعاة العامية عن قوسٍ واحدةٍ حتى أجهزوا عليهم، وكشفوا أخطاءهم ، وهتكوا أستارهم ، لأن المعركة معهم لا تستحق أكثر من وقفة واحدة جريئة، لأنَّ حربَ العاميَّة لا يُعَدُّ حربًا حقيقةً ؛ بل زأرُ أسدٍ واحدٍ في عرينهِ تكفي في دَحرِ واختفاءِ الجميع في جحوره وأسرابه.

(١) الزُّبَى : جمعُ الزُّبيَّة، وهي حفرة تحفر لاصطياد الأسد في مكان مرتفع . . ومنه إذا بلغها السيل فقد بالغ.
الطُّبْيَيْن : هما للفرس كالثَّديَين للمرأة، وإذا اضطرب الحِزام حتَّى بلغهما، سقط السَّرج، وذلك عند الهرب.
انظر " جمهرة الأمثال" (١/٢٢٠)، و "الوسيط في الأمثال" ص (٧٩)، و "مجمع الأمثال" للميداني (١/٤٢،١٢٤)، و " موسوعة أمثال العرب" لأميل يعقوب (٣/٣٤٢-٣٤٣)، وهذا الأخير من أجمع مجمعٍ للأمثال العربية .

وقلنا في أنفسنا الحمد لله إذْ كفانا مواجهة دعاة العامية بما كتبه وسطره أهلُ العلم، وحماةُ اللغة(١).

(١) من أجمع الكتب التي تكلمت عن خطر العامية وأهدافها، وبيَّنت ما وراءها من نوايا سيِّئة تحيط بالعالم الإسلامي عامةً، ومصر خاصة الكتاب الفذّ " تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر " لنفوسة بنت زكريا سعيد. وقد نالت به رسالتها العالمية ( الدكتوراه)، تحت إشراف الشيخ محمد محمد حسين ، ويقول شيخ العربية وأستاذ الأدب / محمود بن محمد شاكر – رحمه الله – عن كتابها : "والجهد المبذول في جمع مادة هـذا الكتاب، جهدٌ يدل على التجرد الصحيح السليم في طلب المعرفة، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة، وعلى النفاذ في إدراك الحقائق، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلال ولا ملل، ولا أظنني قرأت منذ سنوات طوال كتابًا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة ، ما بذلته الدكتورة نفوسة في كتابها هذا، ولا أظنني قرأت أيضًا هذا الدهر كتابًا ، ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأه من ألفه إلى يائه، يضارع هذا الكتاب. وحسبها أنّها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحةً صادقةً مؤيدة بالأسانيد ، بلا تزيد ولا كذب ولا اعتداء، عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، وهي معركة البناء والهدم، معركة الحياة أو الموت، معركة الحرية والاستبداد، معركة وحدة العرب والمسلمين، بلغة عربية واحدة هي الفصحى، أو تفرق العرب والمسلمين أشتاتًا بلغات متنابذة هي العامية. ولو كان لي من الأمر شئ لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة، وكل رجل وامرأة ، ويكون له مختصر ميسَّر لكل من مكّنه الله من القراءة ولست أريد الإغراق في الثناء وإخلاء الكتاب من كل عيب، ولكن أراه كتابًا صالحًا لكل مثقف، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقانا الله شرها فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة، فذلك ذلُّ الأبد، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله وحده ".
انظر : أباطيلٌ، وأسمارٌ (١/١٥٤ )، وهو كما قال، وزيادةً على ما ذُكر فإني أثنّي بكتابٍ لا يقلُّ أهميةً عن سابقه، وهو كتاب "الفصحى ونظرية الفكر العامي" لمرزوق بنِ

ويوم أن خبئت نارُ دعاة العامية شيئًا فشيئًا ، أو كادت ؛ إذْ بِها تطُلُّ برأسها من جديد متمثّلةً في الشعر "النبطي" كما أسلفنا.

فليت شعري لو وقف الشعر "النبطي" حِجرًا محجوراً على أصحابه، الذين تَدَاعَوا عليه كما تَتَدَاعى الأكلةُ على قَصعَتِها فحسب؛ وهو ما كنَّا نظنُّه ــ للأسف! .

بل وجدنا مَنْ تساقط في أحضانه ، وسار في أنفاقه مِمَّن لم يكن بالحُسْبَان ، حيث نادى به من مكانٍ بعيد ؛ وبصوتٍ حزينٍ غيرِ مبينٍ! . . ؛ إلاّ أنَّ هذا الدَّاعي لم يكن كأسلافه؛ بل وجدناه من أهل الخير ، وشبابِ الصَّحوة - للأسف - فهذه مجالسهم عامرةٌ، ولياليهم حيَّةٌ بالشعر "النبطي"، فلا تكاد تلجُ مجلسًا لهم - غالبًا - إلاّ وفيه شاعرٌ نبطيٌّ، أو محبٌ له، أو مستمعٌ إليه، أو مدافعٌ عنه ! .

فليت شعري ؛ لَم يكن هذا آخرُ دَعواهم ، واهتمامُهم بـ"النبطي"؛ بل تعداه إلى تسجيله في أشرطة إسلامية - الكاسيت - فلا تدخل - غالبًا - إحدى التسجيلات الإسلامية إلاّ وأشرطة "النبطي" قد تبوأت ركنًا فيها [1] .

صنيتان، كما سيأتي الحديث عنه قريبًا ــ إن شاء الله ــ .

(١) لقد وصلت أعدادُ الأشرطة التي تضمنت أشعارًا "نبطيةً" منوعةً ما بين سعودية ، وخليجية،وفلسطينية، ومصرية، ويمنية حتى ساعتي هذه أكثر من خمسة وأربعين

فلمَّا رأيتُ الأمرَ أمرًا مُنكرًا أَجَّجْتُ نَاري ودَعَوْتُ قُنْبُرا

واستعنتُ بالله - تعالى - في بيان خطأ إخواني ممّن جعل من "النبطي" وسيلةً دعويةً، أو تساقط في فلك "النَّبطيين"، مع كشف خطورتِه على الدِّين الإسلامي ، واللِّسان العربي بإيجاز واختصار؛ لأنَّ الحديث عن دعاة "النبطي" يحتاج إلى بحثٍ طويلٍ قد يخرجنا عن القصد والسَّداد ؛ لكنَّ خيرَ الكلامِ ما قَلَّ ودَلَّ (١).

فمن أجل هذا حملتُ القلمَ بعد تردُّدٍ منِّي، لأهتكَ أقنعةَ المَخْرَقةِ على عقول الناس بالباطل المموَّه ، ولأكشف غاشيةَ الوباءِ المنتشرِ بلا رقيبٍ يدفعُ أو طبيبٍ يعالج ، ولأزيل الغطاء - إن شاء الله - عن

---

شريطًا!!، وما خفي كان أعظم .

(١) ومن أراد زيادةَ تفصيلٍ ، وردٍ وافٍ على دعاةِ العامية، والشعرِ "النبطي"؛ فلينظر كتاب "الفصحى ونظرية الفكر العاميّ" لمرزوق بن صنيتان، وكتابُه يُعتبر من أفضل الكتب التي بيَّنت خطر الفكر العامي والدعوة إليه في الجزيرة والخليج، فهو بحقٍّ : قويٌّ في طرحه، جديدٌ في موضوعه، قد أشبع الموضوع من جميع جوانبه أو كاد، وقد فاز هذا الكتاب بجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال اللغة العربية وآدابها لعام (١٤٠٦-١٤٠٧هـ)، ولو كان لي من الأمر شيءٌ : لجعلته مقررًا يدرَّس في جامعاتنا لا سيما التخصصات العربية منها؛ لذا فإني أوصي كلَّ من له عناية باللسان العربي، أو اهتمامٌ بالعامية والشعر "النبطي" بهذا الكتاب ، وقد اعتمدتُ عليه كثيرًا - بعد الله - في كتابي هذا مع كبيرِ تَهذيبٍ ، وتقريبٍ وزياداتٍ؛ لذا لم أعزُ إليه إلاَّ لما لا بدَّ منه كما ستراه - إن شاء الله - .

مسارب الهلاك الخفيِّ الذي بدأ بتدسُّسٍ إلى أبناء أمَّتي ، وهم في غفلاتِهم آمنون ، ولأذُود عن لساننا العربي ، وسنَنِ كلامِ العرب من كلِّ دخيلةٍ عليلة ، وما حاقَ بِها من البلايا منذ عقَّها أبناؤها! .

مع علمي أنَّ هؤلاء النَّفر ما جَرَّهم إلى هذا "النبطي" إلاّ غفلةُ الصالحين ، وسَذَاجةُ الأبرياء، وأنَّهم سُرعان ما يتبَيَّن لهم الخطأ الشرعي ، والفساد اللُّغوي في الشعر "النبطي" سينتهون عمَّا هم فيه ، ويقولون " إنَّا منتهون "، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وأنا هنا لا أدَّعي الإحاطةَ بالموضوع من جميع جوانبه ؛ بل هذه نُتَفٌ ولَمَحَاتٌ توقفُ اللَّبيبَ على مواقع الدَّاء، والخَلَلِ الكَامِنِ في الدعوة إلى الشعر "النبطي" كفكرٍ، وهدفٍ، وتقنينٍ، ضمَّنتُها كتابي (كفُّ المخطئ عن الدَّعوةِ إلى الشعرِ النَّبطي ) وهو دراسةٌ تأصيليةٌ على ضوءِ الكتابِ والسنَّة كما ستراه - إن شاء الله - .

وقبل أن تشرع أخي المسلم في قراءة هذه الرسالة فإني أُعيذُكَ بالله أن تأخُذَك الحميَّةُ بالإثمِ، أو معاقدُ الهوى بالرَّجم، أو الجهالةُ بالظُّلم؛ فإن كان ولا بُدَّ فالسِّلمَ السِّلمَ، ما بقيت أخوة الدين ، فاليوم نصيحةٌ ، وغدًا فضيحةٌ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [ الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ ]

والله أسألُ أن يُرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه، آمين.

وقد أدرتُ رسالتي على مباحثَ تُوقفُك رؤوسُها على ما وراءها وهي كالآتي: -

ـ **توطئةٌ، ومدخلٌ** .

ـ **المبحث الأول** : مدخل إلى اللغة العربية، وذلك من خلال فصول:

ـ الفصل الأول : فضل اللغة العربية وأهميتُها، ونشأتُها.

ـ الفصل الثاني : أصل وضع علم النحو .

ـ الفصل الثالث : واضعُ علمِ النَّحو.

ـ الفصل الرابع : أول بداية الخطأ في اللغة العربية .

ـ **المبحث الثاني** : العامية أخطار، وتأريخ، وذلك من خلال فصول :

ـ الفصل الأول : خطورة الدعوة إلى العاميَّة.

ـ الفصل الثاني : بدايات العاميِّة.

ـ الفصل الثالث : التأليف، والنشر باللّهجات العامية.

ـ الفصل الرابع : مؤلفات المستشرقين في العامية.

ـ **المبحث الثالث** : الاهتمام بالعامية في الجزيرة العربية.

ـ **المبحث الرابع** : الشعر " النبطي "، وذلك من خلال فصول :

ـ الفصل الأول : أصل الشعر "النبطي" .

ـ الفصل الثاني : تأريخ الشعر "النبطي" في الجزيرة العربي.

ـ الفصل الثالث : بداية الاهتمام بالشعر "النبطي" في الجزيرة العربية.

ــ الفصل الرابع : الاهتمام الشخصي بالشعر "النبطي " .
ــ الفصل الخامس : الاهتمام التجاري بالشعر "النبطي " .
ــ الفصل السادس : دور الصحافة الخفي في نشــر العاميَّــة ، والشعــر "النبطي " .
ــ الفصل السابع : دور الصحافة الجلي في نشر العامية، والشعر "النبطي".
ــ الفصل الثامن : دور المنظَّمات الرسميَّــة في نشــر العاميــة، والشعــر "النبطي".
ــ الفصل التاسع : دعاة الشعر "النبطي".
ــ **المبحث الخامس** : الفرق بين الشعر "النبطي"، والدعوة إليه .
ــ **المبحث السادس** : أخطاء الدعوة إلى الشعر "النبطي".
ــ **المبحث السابع** : شُبَهُ الدعاة إلى الشعر "النبطي"، والرَّدُّ عليها.
ــ **الخاتمة** : كلمة أخيرة.
ــ **المراجع** :
ــ **الفهارس العامة** :

المؤلف

**أبو صفوان**

**ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي**

# توطئةٌ ومدخلٌ

وقبل الشروع في الحديثِ عن الشعرِ "النبطي"؛ كان لزامًا علينا أن نتعرف على العامية وبيان أخطارهـــا؛ لأن الدعـــوةَ إلى الشعـــر "النبطي" في الحقيقة دعوةٌ صريحةٌ للعامية؛ لكنَّها مغلفةٌ في ثوبٍ جديدٍ وهو ما يسمى بــ"النبطي" .

فالكلام إذًا عن "النبطي" متوقف على معرفتنا بالعامية وأبعادها الخطيرة، لأن الحديث عن "النبطي" استقلالاً دون أن نقف مع العامية يعتبر ضربًا من العبثِ، وتفريقًا بين المتماثلات، وبهذا كلما ازددنـــا رسوخًا وإلمامًا بأهداف وأبعاد العامية ازددنا وَعيًا وفَهمًا بأبعاد الشعر "النبطي" ، فالكلام إذًا لا ينفك بعضه عن بعض بحال كما ذُكر آنفًا.

لذا سيكون الحديث أولاً عن العاميَّة ودعاتِـــــها، وأخطارهـــا وأهدافها . . الخ، كي تستبين سبيل الخاطئين من دعاة النَّبطيِّين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وقبل الشروع في بيان خطورة الدعـــوة إلى العاميَّـــة كفكـــر، ومنهجٍ، وتقعيدٍ، كان من الأوفق أن نقف بالقاري الكـــريم وقفـــةً قصيرةً مع فضل اللغة العربية وحكمها، وأحكامها باختصار، كـــي يتصور معنا حجم الخطر العظيم ، والآثار السيئة التي تغرسها الأيادي الأثيمة بلغتنا اليتيمة! .

# المبحث الأول
# مدخل إلى اللغة العربية



# الفصل الأول

## فضل اللغة العربية وأهميتها، ونشأتها

إنَّ الحديثَ عن فضلِ اللُّغةِ العربيةِ وعلومِها ذو شجون؛ كيف لا؛ فهي من أسمى العلوم قدراً، وأنفعها أثرًا، بها يَتَثَقَّفُ أَوَدُ اللِّسان، ويَسْلَسُ عِنانُ البيان، وقيمة المرء فيما تحت طَيِّ لسانِه لا طيلسانه، وقد صدق إسحاق بن خلف البهراني في قوله:

**النَّحوُ يَبْسُطُ من لِسانِ الألْكَنِ ... والمرءُ تُكرِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ**

**وإذا طَلبتَ من العلومِ أجَلَّها ... فأجلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ**[1]

وبه يَسلمُ الكتابُ، والسنةُ من عادية اللَّحن والتحريف، وهما موئل الدِّين وذخيرةُ المسلمين، فكان تدوينه عملاً مبروراً، وسعيًا في سبيل الدِّين مشكوراً.

وبه يَستبينُ سبيلُ العلومِ على تَنَوُّعِ مقاصدها، وتفاوت ثمارها، فإن الطالب لا يسلكها على هدىً وبصيرةٍ إلاَّ إذا كان على جدٍّ من هذا العلم موفور، على أن المُتَحَادِثَين في أي جزئيةٍ علميةٍ إنَّما

---

(١) انظر البيتين في "عيون الأخبار" لابن قتيبة ( ١٥٧/٢ ) ، و " الكامل" لابن المبرد (١٣٢/٤)، و " العقد الفريد" لابن عبد ربه (٤٧٩/٢) .

كما لا يخفى أن أجلَّ العلوم هو : " علمُ التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد "، لكنَّنا نعتذر للشاعر بأنه أراد من العلوم علم الآلة ، فحينئذٍ لاشك أن علمَ النَّحو من أجلِّها، والله أعلم.

يعتمدان عليه في تحديدِ المعنى الذي يتحادثان بشأنه ، فهو الذريعة لتقريب تفاهمهما، وأداة الحكم الصحيح بينهما.

كما قال ابن خلدون : " إذْ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الإفادة"(١) .

فلمَّا كان العلمُ جنسٌ تحته أنواع ، وشعبُه ذواتُ اتساع، وأنَّ أَولى ما نُصَّت فيه نجائب الخواطر ، وأُنْصِبَتْ في تَحصيله ركائب النَّواظر ، وأحرى ما قطعت في طلبه مقفرات السباسب، وخيضت في تطلبه مدلهمات الغياهب ــ علمُ اللّسان الذي جعله الله برهان الإنسان، وفضله به على أصناف الحيوان ، وأنَّ أحقَّهُ بالتقديم ، وأجدر ما هُجر فيه التهويم(٢) معرفةُ علم العربية، والنَّظر في اصطلاحاتِها الأدبية التي نزل على وفقها الكتاب ، ووردت بِها السنن والآداب ، وهي إلى علم الشريعة أبلغ الأسباب، وهو علمٌ وردت بالندب إليه السننُ والأخبار، وتظاهرت بالثناء عليه متواتراتُ

(١) انظر " المقدمة " لابن خلدون.

(٢) نَصَّ ناقته : أي استخرج أقصى ما عندها من السَّير، النَّجائب الكرام : الجياد، ويراد به استفراغ الوُسع والجهد، وأُنصبت : أي أُتعبت العيونُ في تحصيله، من النّصبِ وهو التَّعب والإعياء، السَّباسب : جمع سبسب، وهي المفازة، التهويم : هَزُّ الرأس من النُّعاس، والمراد : هجرَ النَّوم والرَّاحة.

الآثار، وأجمع على فضله هُداةُ السلف وأئمتهم، وأردفهم بتفضيله سَراةُ الخلف وقادتُهم، حتى حصل بشرفه العلم ضروريًا ، وثبت اليقين بجماله حسيًّا وشرعيًا ، وعقليًّا ونقليًّا (١).

فلأجل هذا وذاك قيَّضَ الله سبحانه وتعالى للُّغةِ العربية كوكبةً من العلماءِ الأفذاذِ الذين أفنَوا أعمارَهم في خدمتِها، وتعلُّمِها، وتعليمِها ، والتأليف فيها وتبارى العلماء وتنافسوا في هذا المجال الخيِّر الشريف على مرِّ الأعوام والعصور ، ومع أنه قد ضاع الكثيرُ من هذه النفائس، فقد حفظ الله لنا منها ما فيه الكفاية والنفع العميم، وتنافس العلماء والمحققون المعاصرون في إخراج هذه النفائس وطباعتها، فخرج لنا في النَّحوِ والصَّرفِ دُرَرٌ نفيسةٌ بدءًا بـ"كتاب" سيبويه، ومرورًا بكتبِ الأخفش والفرَّاء، والمبرد، وابن السِّراج، والفارسي، وابن جني، و"المفصَّل" وشروحه، و"التسهيل" وشروحه، و"الألفية" وشروحها، وشروح الشَّواهد وغيرها إلى يومنا هذا، وخرج لنا من كتب اللغة، والمعاجم ، والغريب، جواهر ونفائس بدءًا بكتاب "العين" للخليل، ومرورًا بكتبِ ابن قتيبة، وأبي عُبيد، وابن فارس، والأزهري، وابن سِيدَه، والزمخشري، والجوهري، وابن منظور، والفيروز آبادي، والزبيدي وغيرها إلى يومنا هذا.

---

(١) انظر "الصعقة الغضبية" للطوفي ص (٢١٥ – ٢١٦) .

وإنَّ النَّاظرَ في هذا التراث ليَدْعو لأولئك العلماء بالرحمةِ والرِّضوان؛ لأنَّهم قد خدموا اللغةَ، وأسسوا أصول علم النحو وقواعده، وشادوا فُروعه، ولمّوا شتاته، وجمعوا أطرافه، وقربوا أقاصيه، وذَلَّلوا دانيه، ممَّا حدا ببعض الكُتَّاب أن يصفَ علم النحو بأنَّه علمٌ قد نَضَجَ واحترقَ[1] .

وخليقٌ بمن يَدْلِفُ إلى روضة هذا الفنِّ النَّضيرِ أن يَعرفَ سببَ وضعِه وكيف نشأ ؟، والمراحل التي اجتازها حتى استوى قائمًا ـــ وأن يقف على تأريخ مشاهير رجاله الذين عبَّدوا مَهْيَعَه، وأقاموا صُوى الهداية على حِفَافَيْهِ خوف الدُّثورِ والضلال، وعلى طبقاتِهم في عصورهم المختلفة وأوطانِهم المتغايرة، وعلى ما شجر بينهم من خلاف في الآراء رغبةً منهم في بيان الحقيقة، وأن يُلِمَّ بمؤلفات هذا الفن الكثيرة ، وبتنوع اتجاهاتِها، وبترتيبها الزمني، وبالصِّلة بينها نقلاً، أو تعليقًا، أو نقدًا، ففي الحقِّ إنَّ هذا العلمَ قد أربى على سائر العلوم في مصنفاته[2] .

وبعد هذا فقد ثبتَ فضلُ اللُّغةِ العربيةِ بالكتابِ، والسنةِ، والإجماعِ، والعقلِ.

---

(١) انظر مقدمة " الصعقة الغضبية " ص ( ٥-٦) بتصرف.
(٢) انظر " نشأة النحو" محمد الطنطاوي ص (٥) .

## أولاً : الكتاب :

قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[ يوسف : ٢ ]

قال تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [ النحل : ١٠٣ ]

وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [ الشعراء : ١٩٥ ] ، وغير ذلك من الأدلة القرآنية الكثيرة.

ووجه الدلالة على المدَّعَى هو أن الله تعالى أخبر أنه أنزل القرآن عربيًا في سياق التَّمدحِ، والثناء على الكتاب أنه مبينٌ لم يتضمن لُبسًا، عزيزٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنْزيلٌ من حكيم حميد . . إلخ.

وذلك يدل دلالةً ظاهرةً على شرفِ اللغة التي أُنزل بِها ، وهذا مما لا نزاع فيه، وحينئذ لو ادَّعى مُدَّعٍ أن تَعلُّمَ هذا العلم ــ اللغة العربية ــ واجب ــ فضلاً عن أن يدعيه مستحبًّا وفضيلةً، ومنقبةً - من حيث أن امتثال أحكام الله في كتابه واجب، وذلك موقوف على فهم مضمون الكتاب، وفَهْمِ مضمون الكتاب متوقفٌ على معرفة اللغة التي أنزل الكتاب بِها، ومأخذ ذلك من فَنِّ العربية بالإجماع لكان ذلك دليلاً لا جواب عنه، وبه احتج الأصوليون على وجوبه

على الكفاية.

فالعجب ممَّن يُنكرُ فضلَ هذا العلمِ كيف يُعدُّ من الناس، لكن لا جرم ، لم نَرَ أحدًا أنكر فضلهم إلاَّ جاهلاً به وهو معذور، فإنَّ القائلَ يقول:

**يا نفسُ فاستيقِني عِلمًا ومعرفةً    بأنَّ مَنْ جَهِل الأشيا يُعاديها**[1]

ويقال في المثل : " المرءُ عَدُوٌّ ما جَهِل "[2] .

## ثانيًا : من السنة :

قال أبو الطيب : فقد روينا أن رجلاً لَحَن بحضرته صلى الله عليه وسلم فقال: «**أرشدوا أخاكم فقد ضَلّ**»[3].

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال : مَرَّ عمرُ بقومٍ قد رَمَوْا رِشْقًا[4] فأخطأوا ، فقال : ما أسوأ رميكم، قالوا : نحنُ متعلمين، قال : لَحنُكم أشد عليَّ من سوءِ رميكم، سمعت رسول الله صلى الله

(١) انظر "الصعقة الغضبية " للطوفي، ص (٢٣٦) .

(٢) هذا المثل يُنسب إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وقد ورد في "مجمع الأمثال" للميداني (٤/٥٥)، بهذا النص : " الناس أعداء ما جهلوا "، وانظر "كشف الخفاء " للعجلوني (٢/٣٢٠) .

(٣) ذكره السيوطي في " الجامع الكبير" (٢٨٣٠) ، ورجاله ثقات، والحاكم بلفظ " أرشدوا أخاكم " دون الزيادة، وقال عنه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣٦٩٥) .

(٤) الرِّشْقُ : بكسر الراء : الوجه من الرمي، إذا رمى القوم بأجمعهم، انظر "المصباح المنير " مادة : رشق.

عليه وسلم يقول : « **رحم الله امرءًا أصلح من لسانه**» [١].

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ـــ رضي الله عنـــه ـــ قـــال : "كانوا يُؤمرون ، أو كنَّا نُؤمر أن نتعلـــم القـــرآن ، ثمَّ الســـنة، ثم الفرائض، ثم العربية، الحروفُ الثلاثة، قال : قلنا : ومـــا الحـــروفُ الثلاثةُ ؟، قال: الجرُّ، والرفعُ، والنَّصبُ" [٢] .

## ثالثًا : الآثار :

فقد روي عن أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قـــال: " لأنْ أَعربَ آيةً أحبُّ إليَّ من أن أحفظ آيةً "[٣] .

---

(١) أورده صاحب "كشف الخفاء" (١/٥١٣ ) ، ونقل عن بعض العلمـــاء القـــول بأنـــه ضعيف، وقال عنه الشيخ الألباني – رحمه الله – في "ضعيف الجـــامع" (٤٥٦) ، أنـــه موضوع ، ورقم الحديث (٣١٠٣) ، وانظر : "العلل المتناهية" لابن الجوزي (٢/٢١٥)، و"فيض القدير" للمناوي (٤/٢٣) ، و"إيضاح الوقف" (١/٢٢) ، و"الأضداد" (٢٤٤)، و"غريب الخطابي" (١/٦٠)، و"بَهجة المجالس" (١/٦٤)، و"معجم الأدباء" (١/٦٧ ) .

(٢) انظر " فضائل القرآن " لأبي عبيد، ص (٢٠٩) ، و" البيـــان والتبيـــين " للجـــاحظ ، ص(٢/٢١٩)، و"غريب الحديث" لابن قتيبة، (٢/٦١ ، ٤١٨)، و" العقد الفريد" لابن عبد ربه، ( ٢/٢٧٦ )، و" أمالي القالي " لأبي علي القالي، (١/٢٦)، و"تنبيه الألبـــاب على فضائل القران" للشنتريني ، ص (٧٩)، وقد نُسبت هذه الرواية إلى غير ما ذكر مثل عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن مروان، والله أعلم.

(٣) انظر "فضائل القران" لأبي عبيد ص (٢٠٨)، و"إيضاح الوقف والابتـــداء" لأبي بكـــر الأنباري (١/٢٠)، و"تنبيه الألباب" ص (٧٦)، وورد هذا منسوبًا لأبي بكر، وعمر معًا بألفاظ متقاربة.

وقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : " لو أعلم أني إذا سافرت أربعين ليلة أعرب آيةً من كتاب الله لفعلتُ" (١) .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "تعلموا العربيةَ، فإنَّها تزيدُ في العقلِ، والمروءة" (٢) .

وكتب - أي عمر - إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أنْ مُرْ مَنْ قِبَلَك بتعلُّم العربية، فإنَّها تدل على صوابِ الكلامِ، ومُرْهُم برواية الشِّعر فإنه يدلُّ على معالي الأخلاق" (٣) .

وروي عنه - أيضا - : " أنه مَرَّ على قومٍ يُقرئ بعضُهم بعضًا، فقال : اقرأوا ولا تَلحنوا" (٤) .

وقال - أيضًا - : " تعلَّموا الفرائضَ، واللَّحنَ كما تَتَعلَّمون القرآن" (٥).

وحَدَّث يزيدُ بنُ هارون بِهذا الحديث فقيل له : ما اللَّحنُ ؟، فقال : النَّحوُ (٦) .

---

(١) انظر "الوقف والابتداء"، (٢٦/١)، و"الإتقان" للسيوطي (١٧٥/٢) .
(٢) انظر "الفاضل" للمبرد ص (٤)، و" إيضاح الوقف" (٣١/١)، و "غريب الخطابي"، (٦٠/١)، و "تنبيه الألباب"، ص (٧٠)، و"معجم الأدباء"، (٧٧/١).
(٣) انظر" إيضاح الوقف والابتداء"، (٣١/١)، مع اختلافٍ في الضمير.
(٤) انظر المصدر السابق (١٩/١-٢٠).
(٥) انظر المصدر السابق (١٥/١)، وما بعدها.
(٦) انظر المصدر السابق .

وقال : أبو العالية : " كان ابن عباس يُعلِّمُنا اللَّحنَ"(١).

واللَّحنُ : الصَّوابُ، من قولهم : فلان ألحنُ بحجتِه (٢).

وقال عمر - رضي الله عنه - : " عليكم بالفقه في الدِّين، والتَّفهمِ في العربية، وحسنِ العبارة" (٣).

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقول : "النَّحوُ حِليةُ البيان"(٤) .

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "جوِّدوا القرآن، وزيِّنوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنه عربي، والله يحبُّ أنْ يُعرب" (٥).

وقال الحسنُ البصري - رحمه الله - : " من لَحَنَ في القرآن فقد كذب على الله" (٦).

وقال يحيى بن عتيق - رحمه الله - : " سألتُ الحسنَ البصريَّ فقلت : يا أبا سعيد : الرجلُ يَتعلَّمُ العربيةَ يلتمسَ حُسنَ المنطق،

---

(١) انظر" إيضاح الوقف والابتداء"، (١/٢٥ - ٢٦)، و " الأضداد"، ص (٢٤٠)، و"الفائق" للزمخشري (٣/٣٠٨)، و "النهاية" لابن الأثير (٤/٢٤٢ ).

(٢) انظر " الصعقة الغضبية" للطوفي ص ( ٢٤٣-٢٤٤) باختصار.

(٣) انظر"فضائل القرآن" لأبي عبيد، ص (٢٠٩)، و"إيضاح الوقف" (١/٤٩) .

(٤) انظر "الصعقة الغضبية" للطوفي، ص (٢٤٦) .

(٥) انظر "إيضاح الوقف والابتداء" (١/١٦، ٣٥)، و"تفسير القرطبي" (١/٢٣) .

(٦) انظر "تنبيه الألباب" ص (٩٠) .

ويُقيمُ بِها قراءتَه، فقال : حَسنٌ يابُنيَّ، فَتَعَلَّمَها، فإنَّ الرجلَ قد يقـــرأُ الآيةَ فيَعيَا بوجهِها فيهلك " (١) .

وعن شعبة – رحمه الله – قال : مَثلُ الذي يتعلم الحديث، و لم يتعلم العربيةَ كالرأس بلا بُرنس"(٢) .

وعن ابن شهاب – رحمه الله – قال : " ما أحدث الناسُ مروءةً أعجبَ من تعلُّم الفصاحة"(٣) .

وعن ابن شبرمة – رحمه الله – قال : " كان يقال : إذا أردت أن تُعظَمَ في عينِ من كنت عنده صغيرًا، ويصغرَ في عينكِ من كـــان عندك كبيرًا فَتعلَّم العربيةَ" (٤) .

وعن أبي الدينار – رحمه الله – قال : " تَعَلَّموا العربية، فإنَّـــها المروءةُ الظاهرةُ، وهي تُرتِّبُ الوضيعَ مراتبَ الأشراف"(٥).

---

(١) انظر "فضائل القرآن" لأبي عبيـــد ، ص (٢٠٩) ، و" إيضـــاح الوقـــف" (٢٧/١) ، و"معجم الأدباء"، (٨٣/١)، و "الإتقان"، ص(١٨٠/١)،(١٨١/٢) .

(٢) انظر"بهجة المجالس" (٤٦/١) .

(٣) انظر " إيضاح الوقف" (٣٤/١)، و "تنبيه الألباب" ص (١٠١)، و" معجم الأدبـــاء" (٧٨/١ ، ٨٣).

(٤) انظر : " إيضاح الوقف" (٣٢/١)، و"تنبيه الألباب" ص (٩٦)، و"عيـــون الأخبـــار" (١٥٧/٢)، و"بهجة المجالس" (٦٦/١) .

(٥) انظر "إيضاح الوقف" (٤٥/١) .

وكان أيوب السِّختياني ــ رحمه الله ــ إذا لَحَنَ قال : "أستغفر الله"[١].

وقال الشعبي ــ رحمه الله ــ : " النَّحوُ في العلم كالملحِ في الطعام، لا يستغني شيءٌ عنه" [٢] .

## رابعًا : الإجماع :

أجمع أهل العلم على استحسان هذا العلم، والحثِّ عليه، والنَّدبِ إليه سلفًا وخلفًا، مسلمًا وكافرًا، عربًا وعجمًا، من لَدُن الصحابةِ، والتابعين، وتابعيهم إلى عصرنا هذا . . حتى إنَّا لنرى الكفارَ من اليهودِ والنصارى يُكافحون على علمِه ، ويتقرَّبون إلى أهله، عيانًا وسماعًا [٣] .

فكتب الحريري في كتاب "دُرَّة الغواص في أوهام الخواص " : أنَّ يهوديًّا سأل أبا عثمان المازني أن يُقرئه كتاب سيبويه، ودفع إليه مئة دينار، فردَّها، ولم يفعل، وكان محتاجًا، فقال له أبو العباس المبرد: لِمَ لَمْ تُقرئه ؟، فقال : إنَّ في كتاب سيبويه آياتٍ من القرآن، فلا

---

(١) انظر" إيضاح الوقف" (١/٣٣)، و"تنبيه الألباب" ص (٨٦،٩٤)، و "معجم الأدباء"، (١/٧٩)، و "غريب الخطابي"، (١/٦١) .

(٢) انظر "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي (٢/١٦) .

(٣) انظر" الصعقة الغضبية" للطوفي ص (٢٦٣) باختصار.

أُقرئُها يهوديًّا"(١) .

**خامسًا : العقل :**

إنَّه لا شك ، ولا مِريةَ عند كلِّ ذي عقلٍ سليم ، وطبعٍ مستقيمٍ أن الصَّلاحَ خيرٌ من الفساد، والصحةَ خيرٌ من السَّقمِ، ولا خلاف أن اللَّحنَ في الكلامِ فسادٌ له، وسقمٌ فيه، وإعرابَه صلاحٌ له، وصحةٌ فيه، وهاتان مقدمتان لا سبيل إلى إنكارهما، وحينئذٍ يلزمُ أنَّ فضلَ علمِ العربيةِ ثابتٌ بديهةٌ .

وهناك أدلةٌ كثيرةٌ غير ما ذُكر تجاوزنا ذكرها رجاء الاختصار.

وهناك جملةٌ كبيرةٌ من أقوالِ سلفِ الأمة من أهل العلم تبيِّنُ فضلَ النَّحوِ، والقَدرَ الواجب على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمه منه؛ ننتقي منها ما يلي:

يقول الإمام الشافعي ــ رحمه الله ــ : " . . فعلى كلِّ مسلمٍ أن يتعلمَ من لسانِ العرب ما بَلَغَهُ جَهْدُه، حتى يشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، ويتلو به كتابَ الله، وينطِقَ بالذكرِ فيما افتُرِض عليه من التكبير ، وأُمِرَ به من التَّسبيحِ والتَّشهدِ وغيره"(٢).

(١) انظر "درة الغواص" ص (٩٦)، و "الصعقة الغضبية" ص (٢٦٣ –٢٦٤) .

(٢) انظر " الرسالة" للشافعي ص (٤١) .

وقد تقدَّم كلامُ شيخِ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في بيان أهمية اللغة العربية : " . . ومعلوم أن " تعلم العربية، وتعليم العربية " فرض على الكفاية ؛ وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللَّحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فَهم الكتابة والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابِها.

فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا ؛ فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية المستقيمة ، والأوزان القويمة : فأفسدوها بمثل هذه المفردات، والأوزان المفسدة للِّسان ، الناقلة عن العربية العرباء إلى أنواع الهذيان؛ الذي لا يهذي به إلا قوم من الأعاجم الطَّمَاطم الصميان ؟" [1].

ونقل شيخُ الإسلام عن الإمام أحمد كراهةَ الرَّطانةِ [2] ، وتسميةِ الشهور بالأسماءِ الأعجمية، والوجهُ عند الإمام أحمد في ذلك : "كراهةُ أن يتعوَّدَ الرَّجلُ النُّطقَ بغير العربية".

---

(١) انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٣٢/٢٥٢ ).

(٢) الرَّطانةُ : بفتح الراء وكسرها ، والتَّراطُنُ : " كلامٌ لا يفهمه الجمهور ، وإنما هو مواضعةٌ بين اثنين أو جماعةٍ، والعربُ تخصُّ بها غالبًا كلامَ العجمِ "، انظر "النهاية " لابن الأثير (٢/٢٣٣) .

ثم قال شيخ الإسلام : " لأنَّ اللِّسان العربي شعــــارُ الإســـلامِ وأهلِهِ، واللغات من أعظمِ شعائرِ الأممِ التي بها يتميَّزون" [١] .

والحمدُ لله ربِّ العالمين، ولا عُدوان إلاَّ على أعداء اللُّغةِ والدِّين من الشعوبيين، ودعاةِ العاميَّةِ من المستشرقين .

* * *

(١) انظر " اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية ص (٢٠٣) .

# الفصل الثاني
# أَصْلُ وَضعِ عِلمِ النَّحو

لقد نشأ النَّحوُ في العراقِ صَدْرِ الإسلام عربيًّا صِرفًا على مقتضى الفطرة، ثم تَدرَّج به التَّطورُ تمشيًا مع سنة التَّرقي حتى كملت أبوابه، غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته، ولا في تدرجه، وقد اختلف العلماء في أول ما وُضِع منه على رأيين:

**أحدهما** : أن أول ما وُضِعَ من أبوابه هو اللَّحن فيه، ثم استمر الوضع فيما بعده على هذا النمط، وذلك ما ذهب إليه جمهور النحاة اعتداداً بالروايات المستفيضة التي اقترن فيها الوضع باللَّحن، إلا أن تعيين الباب الموضوع أولاً منوطٌ بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات.

**والآخر** : أن أول ما وُضِعَ منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر والاستنباط ؛ لأنَّ وضعه مبنيٌ على أساسٍ من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن، فالموضوع أولاً ما كثر دورانه على اللِّسان ثم ما يليه وهكذا ، لذا قيل : إن الموضوع أولاً الفاعل ، ثم رَدِفَه المفعول ، ثم المبتدأ والخبر . . وهكذا.

وما تقدم هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفًا بعد السلف، والمعول

عليه منهما هو الأول ، والله أعلم [١].

وبهذا يتضح لنا أنَّ علمَ النحو أصلُه عربي محضٌ لا علاقة له بشيء من خرافات، وإفرازات المستشرقين، من كونه عِلم نُقل إلينا من لغةِ اليونان ... إلخ ! .

* * *

# الفصل الثالث

# واضِعُ عِلمِ النَّحوِ

روي عن أبي الأسود الدؤلي ( ٦٩هـ) أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فوجدتُ في يده رُقعةً، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟، فقال : إني تأملت كلامَ الناس فوجدتُه قد فسد بمخالطته هذه الحمراء - يعني: الأعاجم -، فأردت أن أضع لهم شيئًا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه ، ثم ألقى إليَّ الرقعة فوجدت فيها : الكلامُ كلُّه اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ.

**فالاسم** : ما أنبأ عن المسمى ، والفعل : ما أُنبئ به ، والحرف : ما جاء لمعنى، وقال : أنحُ هذا النَّحو، وأضف إليه بما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أنَّ الأسماءَ ثلاثةٌ : ظاهرٌ، ومضمرٌ، واسمٌ لا ظاهرٌ ولا مضمرٌ به، وإنما يتفاضل يا أبا الأسود فيما ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ، والمراد بذلك المبهم.

قال أبو الأسود فكان ممَّا وقع إلي ( إنَّ، وأخواتِها ) ، ما خلا ( لكنَّ ) ، فلما عرضتُها على علي - رضي الله عنه - قال : وأين ( لكنَّ ) ؟ ، فقلت : ما حسبتُها منها، فقال : هي منها، فألحقها، ثم قال : ما أحسن هذا النَّحو الذي نحوت !، فلذلك سُمِّيَ النَّحو نحوًا.

ويروى أن سبب وضع علي ــ رضي الله عنه ــ هذا العلم أنه سمع أعرابيًا يقرأ " لا يأكله إلاَّ الخاطئين " فوضع النَّحوَ [١].

ويروى أنه قدم أعرابي في زمان عمر - رضي الله عنه - فقال : مَنْ يقرئني شيئًا مِمَّا أُنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؟، فأقرأه رجلٌ " براءة "، فقال : " أنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه " - بكسر اللام -، فقال الأعرابي : أَوَ قد برئَ الله من رسولِه؟، إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر - رضي الله عنه - مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

قال : يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذه السورة " براءة "، فقال : " أن الله بريء من المشركين ورسولِه "، فقلت: أوَ قد برئ الله من رسوله ؟، إن يكن قد برئ من رسولِه فأنا أبرأ منه، فقال له عمر - رضي الله عنه - : ليس هكذا يا أعرابي. فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟

فقال : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾.

فقال : الأعرابي : وأنا والله أبرأ مِمَّن بريء اللهُ ورسولُه منه، فأمر

---

(١) صواب الآية قوله تعالى : ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ [ الحاقة : ٣٧ ].

عمر بن الخطاب أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، فأمر أبا الأسود أن يضع النحو .

ويروى ــ أيضا ــ : أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته: ما أحسنُ السماءِ - بضم النون مع الإضافة - فقال لها : نُجومُها ، فقالت : إني لم أُرِدْ هذا، وإنما تعجبت من حُسنِها !، فقال لها : إذًا فقولي : ما أحسنَ السماءَ، - بفتح النون والهمزة -، فحينئذ وُضع النَّحو ، وأول ما رُسم باب التعجب.

فثبت بما ذكرنا أن أول من وضع النحو، وحَدَّ حدودَه، ومهدَ قواعدَه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأن جميع الروايات - على اختلاف صفاتِها - مستندةٌ إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يستند في معرفتِه، وتلقيه إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - فإنه لما سُئل : من أين لك هذا النحو ؟، فقال : لُقِّيتُ حدودَه من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [1] .

* * *

(١) انظر "نزهة الألباء" لابن الأنباري ، ص ( ٤-١١ ) ، و" الصعقة الغضبية " للطوفي، ص (٢٢٧ – ٢٣١)، باختصار، وقلَّ أن يخلو كتابٌ من كتبِ الأدب، والنحو من هذه القصة مع اختلاف في الألفاظ والرواية.

# الفصل الرابع
# أوَّلُ بدايةِ الخطأ في اللُّغة العَربية

قال أبو الطيب : واعلم أنَّ أوَّلَ ما اختل من كـــلام العـــرب، وأحوجَ إلى التعليم الإعراب، لأنَّ اللَّحنَ ظـــهرَ في كـــلام المـــوالي والمتعرِّبين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد روينا أن رجلاً لَحَن بحضرته صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أرشدوا أخاكم فقد ضَلّ" [١] .

وقال أبو بكر – رضي الله عنه –: " لأن أقرأُ فأُسقطُ أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن" [٢] .

وقال ياقوت : مَرَّ عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ علـــى قوم يسيئون الرمي ، فقرعهم ، فقالوا : إنَّا قومٌ (متعلمين) ، فأعرض مُغضبًا، فقال : والله لخطؤكم في لسانِكم أشدُّ عليَّ من خطئكـــم في رميكم [٣].

---

(١) ذكره السيوطي في " الجامع الكبير" (٢٨٣٠)، ورجاله ثقات، والحاكم بلفظ "أرشدوا أخاكم " دون الزيادة، وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣٦٩٥).

(٢) انظر "الخصائص" لابن جني (٤٠٨/١) ، و "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (٨٢/١) وغيرهما.

(٣) صواب الجملة كذا : إنَّا قومٌ متعلمون.

وقال ابن قتيبة : سمع أعرابي مؤذنًا يقول : أشهد أن محمدًا رسولَ لله - بنصب رسول -، فقال : ويحك !، يفعلُ ماذا؟ (١) .

ودخل أعرابي السوق فسمعهم يَلْحَنُون، فقال : سبحان الله ! ، يَلْحَنون ويَرْبَحون! ، ونحن لا نَلْحَنُ ولا نربح (٢).

وقد رُوي : أن كاتبَ أبي موسى كتب إلى عمر — رضي الله عنهما — : " من أبو موسى" (٣) ، فكتب إليه عمر : " إذا أتاك كتابي هذا فاجلده سوطًا، واعزله من عملك" (٤) .

وكان عمر - رضيَ الله عنه - إذا سمع رجلاً يُخطئُ قَبَّحَ عليه، وإذا أصابه يَلْحَنُ ضَرَبَه بالدِّرَّة (٥).

وهذا تعزيرٌ منه لِمَنْ فَعلَ ذلك ، ولا يكون التعزيرُ إلاَّ على تركِ واجبٍ ، أو فعلِ مكروهٍ ، والله أعلم.

---

(١) صواب الجملة كذا : أشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله - بضمِّ رسول -؛ لأنه خبر إنَّ ، وبه تستقيم الجملة وتظهر الفائدة؛ لأن المبتدأ تتوقف فائدتُه على خبره ؛ وإلاَّ أصبح الكلامُ مبتورًا لا فائدة فيه.

(٢) انظر "عيون الأخبار" لابن قتيبة (١٥٨/٢) .

(٣) صوابها كذا : " من أبي موسى " . .

(٤) انظر"إيضاح الوقف"، (٢٥/١)، و "تنبيه الألباب" ص (٨٩)، و "البيان والتبيين"، (٢١٦/٢ ).

(٥) انظر"إيضاح الوقف" (٥١/١)، و "تنبيه الألباب" ص (٩٥) .

وقيل للحسنِ البصريّ - رحمه الله - : إنّ لنا إمامًا يَلحَنُ ، قال: أخرجوه [١] .

وروى الخطابي - رحمه الله - بسنده عن ابنِ عمر - رضي الله عنه -: أنه كان يضربُ ولدَه على اللَّحن[٢] ، وغير ما ذُكر من أمثال هذه القصص ، والأحداث كثيرٌ جدًا يتعذر استتباعه، وتقصِّيه.

وهل بعد هذا كلّه تَمُلتْ أمةُ الإسلام ؟، أو عَميتْ عن هذه الأقوالِ السلفيةِ القاطعةِ بتجهيلٍ، وتخطئةٍ، وتعرية اللَّحانيين في كلامهم؛ يوم أن جعلتْ من شعراءِ "النبطي" أهلِ اللَّحنِ والرَّكاكةِ شعراءَ، وأدباءَ ؟! .

وفيهم أقول :

**أَعينَيَّ جودا لشرٍّ ألمّ ويا قلبُ صبرًا فكُلّي ندمْ**

**فقد قام فينا دُعاةُ العَرَبْ بأشباهِ شعرٍ كلحنِ العجمْ**

وهكذا انتشرت جرثومة اللَّحن فأعْدَتْ الخاصة حتى صاروا يَعِدُّون من لا يَلحَن من الفصحاء أمرًا عجيبًا.

---

(١) انظر "إيضاح الوقف" (٢٩/١)، و "تنبيه الألباب" ص (٩٢)، و "تفسير القرطبي"، (٢٣/١) .

**قلت** : رحم الله أبا سعيد الحسن البصري !؛ فمن يبقى لنا حينئذٍ لو أخرجنا من مساجدنا كلَّ من كثر لحنه، وقلّتْ فصاحته ! .

(٢) انظر" الغريب" للخطابي، (٦٣/١)، و "الصعقة الغضبية" ص (٣٢٥) .

قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جِدٍّ ولا هزلٍ : الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابنُ القِرِّيَّة، والحجاج أفصحهم.

و لم ينتهِ اللَّحنُ بأهل الحاضرة؛ حتى انتقل إلى الأعراب الذين هم أصلُ اللِّسانِ العربي الفصيح.

قال الجاحظ: قالوا: وأوَّلُ لَحْنٍ سُمعَ بالبادية "هذه عَصَاتي"![1]، كلُّ ذلك والدولةُ الأمويةُ ما فتئتْ قائمةً، والنَّعرةُ العربيةُ مُستحِدَّة المِرَّة، ومانعة الذُّرة.

ومن خلال ما مضى نستلهم أن السلفية لم تكن دعوى يتجاذبُها الأدعياء، أو مظلةً يستظلُ بها من يشاء؛ بل السلفية عقيدةٌ ومنهجٌ في جميع شئون الحياة لا سيما في الانتماء إلى لغة الكتاب والسنة، واقتفاء آثار السلف.

يقول الأديب النحرير والمجاهد الكبير محمود بن محمد شاكر - رحمه الله - : " ... إنَّ أقوى الفريقين المتصارعين من سلفيين ومبتدعة، هو فريق السلفيين، لا من حيث كثرتِهم وغَلَبَتِهم ؛ بل من حيث القوة التي تشتمل عليها دعوتُهم؛ لأنَّها تؤدِّي إلى إعادة بناء

(١) الصواب كذا : " هذه عصاي " .

اللغة ؛ إذ لا معنى للانتساب إلى طريقة السلف، إلاَّ بأن يتملَّك السلفيُّ ناصيةَ اللغة وآدابِها تملُّكًا يمكِّنه من الاستمداد المباشر من القرآن والسنة على نفس النهج الذي كان السلف يستمدُّون به من القرآن والسنة في آدابِهم ، وأخلاقهم ، وثقافتهم، وفقههم، وعلمهم، وتفكيرهم، وفي سائر ما يكون به الإنسان حيًّا رشيدًا قادرًا على بناء الحضارة" (١) .

* * *

(١) انظر "أباطيلٌ وأسمارٌ" لمحمود شاكر ( ٢/٥٠٥) .

# المبحث الثاني
# العاميَّةُ أخطارٌ، وتأريخٌ



# الفصل الأول

# خطورة الدَّعوةِ إلى العاميَّة

حينما أدرك أعداءُ الإسلام أن اللغةَ العربيةَ هي الوعـــاءُ الحـــاملُ للثقافة العربية والإسلامية؛ جعلوا دراستَها السِّلاحَ الفعَّال في غزو الأمة الإسلامية؛ لأنَّ فَهمَها يتُيحُ لهم أن يفهموا التراث العربي والإســـلامي، فإذا خطر لهم أن يجادلونا في تراثنا جادلوا عن بصيرةٍ وعلم.

لذا يُعدُّ الصِّراع بين الشرق العربي، والغرب الأوربي من أقـــدم الظواهر التاريخية التي شهدها العالم ، وقد كان لهذا الصراع أشكالٌ، بعضُها عسكري جَلي، وبعضُها ثقافي خفي، ومن أشكاله الثقافيـــة الخفية الاستشراق الذي ما فتِئ يضرب شواطئنا بأمواج مختلفة المظاهر مختلفة الأغراض، وأعتاها موجةً الدراسات اللغوية ! .

فكان من البَلاهة أن يَتصورَ الواحدُ منَّا حركـــةَ الاســـتشراق أعمالاً فرديةً نَهض بها عُشَّاقُ الشرق من الأوربيين؛ فالحقُّ أنَّه حركةٌ منظمةٌ وأنه : " بدأ أكثر ما يكون تنظيمًا، واستمرارًا بالفاتيكان"[١] .

---

(١) انظر " المستشرقون "لنجيب العقيقي ( ١/١٠٤ ) .

وقد التزمتُ في كتابي هذا التأريخ الهجري، وطرحتُ ما سواه – الميلادي –، لعمـــوم الفائدة المحصلة عند القارئ المسلم نصرةً للتأريخ الإسلامي خلافًا لما درج عليه كثير من كتابنا المعاصرين تحت وطأت الانهزام التأريخي أمام الغرب أو مجاراةً للتبعية الممقوتة ! .

وبمباركة " البابا " قمةُ السلطةِ الدينيةِ المسيحيةِ ؛ أُنشئت المؤسساتُ القادرةُ على العمل الدءوب، وأهم هذه المؤسسات : كراسي تدريس العربية في الجامعات، والمكتبات ، والمطابع، والمجلات الشرقية .

فقد أُقيم في كلّ جامعةٍ كرسي دائم أو أكثر لتدريسِ الفصحى حينًا واللّهجات العامية حينًا آخر، وربما كانت فرنسا أسرع الدُّول إلى الصَّدعِ بأمر "البابوية" القاضي بإنشاء مدارس لدراسة الثقافة العربية ، إذ أنشأت منذ القرن الثاني عشر مدرسة "ريمس" بأمر "البابا سليفستر" الثاني . . وأمر "البابا إكليمنتس" الخامس في مجمع "فينا" (٧١٠ ــ ٧١١هـ) بإنشاء كراسي للعربية، والعبرية، والكلدانية في عواصم العلم من أوروبا " [١] .

ففي ألمانيا وحدها أقيمت للعربية كراسٍ رسمية في أكثر من عشرين جامعة، وفي الولايات المتحدة أصبحت الجامعات المشتغلة بتدريسها ستَّ عشرة جامعة، وأنشئت مثل هذه الكراسي في جامعات كمبردج، وخاركوف ، وموسكو ، وبطرسبرج وغيرها . . وقد أقيمت في أوروبا، وأمريكا مكتبات عربية ضَمَّتْ الكثير من

---

(١) انظر المصدر السابق ( ١٣٩/١) .

ذخائر العرب وحسبنا أن نُشيرَ إلى بعضها :

ففي مكتبة باريس الوطنية وحدها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي، وفي روسيا تضم جامعة "ليننغراد" خمسة آلاف مخطوط عربي ، وفي مكتبة جامعة "برينستون " الأمريكية مائة وتسعون ألف مجلد عن الثقافة العربية . وإذا عرفنا في ألمانيا سبعة آلاف مكتبة رسمية تُشرف عليها البلديات ، وأنَّها كلَّها غاصة بِمخطوطاتنا أدركنا مبلغ قدرة المستشرقين على دراسة لغتنا لتحقيق مقاصدهم الظاهرة والباطنة.

وبالإضافة إلى ذلك هناك المطابع والمجلات الشرقية، فقد بدأت إيطاليا بالطباعة العربية منذ سنة (٩٣٦هـ) ، وتلتها فرنسا سنة (٩٤٤هـ) ، ثم نَهجت النَّهج نفسه دول أوروبيَّة كثيرة، وراحت المطابع تملأ الأسواق بالمجلات التي أنشأها المستشرقون بالمئات، ففي فرنسا وحدها صدرت عشرات المجلات الاستشراقية ، أشهرها الآسيوية التي أصدرها "دي ساسي"، وأربت منشوراتُها بين عام (١٢٣٧-١٣٩٤هـ) إلى (٣٣٠ ) مجلدًا، وفي ألمانيا صدرت مجلات كثيرة منها مجلة الإسلام التي أنشأها "كارل هنريخ" سنة (١٣٣٨هـ) .

وما ذكرناه من مؤسسات ووسائل ليس إلا نماذج بسيطة، لا تمثِّل الحقيقة كلها ، أمَّا الحقيقة نفسها فلا يستطيع باحثٌ ــ مهما

يكن حظه من الإحصاء والاستقصاء ـــ أن يحيط بِها لسبب معروف، وهو أن ما نعرفه من جهود المستشرقين، وبحوثهم اللغوية هـــو مـــا يريدون أن نعرفه من دراساتِهم لا دراساتِهم كلها.

وفي هذه الدراسات ومضاتٌ بارقاتٌ تشهد لهم بالفَهمِ العميقِ، والاستنباطِ الدقيقِ، وشبهاتٌ كالحاتٌ تُلبس الحقَ بالباطل.

فينبغي ألاَّ ننظر إلى دراسات المستشرقين كلِّها بعين الرِّضـــى، وأن نُعلِّلها بالجهل أو بسوءِ فَهم ، إن حُسنَ الظنَّ فيهم لا يزيدُهم إلا تماديًا في الباطل والكيد، فليس مـــن المجـــدي أن نصـــارع الغُـــزاةَ بالعواطف، وإنما علينا أن نحاربَهم بسلاحهم، ونكشف عن شبهاتِهم، وأهمها ارتباطُ كثيرٍ بالدوائرِ الاستعمارية ، وغمزاتِهم الخفية المستورة بمناهج علمية ، وحرصهم على دراسة اللهجات العاميِّة لإحلالهـــا مَحَلَّ الفصحى.

فإننا لا نبالغ إذا زعمنا أن الدعوة إلى العاميـــة، وإلى دراســـة اللهجات العامية، وتدريسها كانت الملتقى عند أكثر المســـتشرقين ، وأن كثيرًا منهم شاركوا في دراستها ، واستنباط قواعدها تمهيدًا لجعل كل لهجة من اللهجات العامية لغةً رسميةً محليةً، ثم لغة أدبيـــة فمـــا فحوى هذه الدعوة المشبوهة ؟.

نتسامحُ كثيرًا إذا عددنا موقف المستشرقين من لهجاتنا العامية شبهًا تحتمل التأويل، فالمستشرقون ــ وهم محاربون مُدَرَّبون ــ حرصوا على حماية أنفسهم ممَّا يقذفون به الأعداء، فكانوا دعاةَ توحيدٍ في بلادهم، ودعاة تبديد في بلادنا " فالجمعية الوطنية الفرنسية" عهدت عام (١٢٠٨هـ) إلى الأب "غريفوار" بأن يضع تقريرًا يُبينُ فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللَّهجات الشعبية – أي: الداخلة على لغتهم الأمّ الفرنسية –، ولتشجيع الفصحى في فرنسا[1]؛ هذا في بلادهم، أمَّا في بلادنا فإنَّ كهنةَ الاستشراق الفرنسي قالوا: "من الخطرِ أن نترك كتلةً ملتحمةً من المغاربة تتكون، ولغتُها واحدةٌ، وأنظمتُها واحدةٌ، لا بد أن نستغل لفائدتنا العبارة القديمة " فَرِّقْ تَسُد" [2] .

وحسبك أن تُرسل بصرَك ساعةً واحدةً في كتابٍ واحدٍ لِيَرُوعَك ما ترى من أجنادٍ وإمدادٍ، ومن تَصميمٍ قديمٍ على تَحطيمِ الفصحى . أمَّا الكتابُ فهو "المستشرقون" لنجيب العقيقي، وأمَّا ما يَرُوعُك فأمورٌ منها:

(١) انظر" اللَّهجات العربية " لعبد الغفار هلال ص (٣٨٨ – ٣٨٩) .

(٢) انظر"الحركة الفكرية ضد الإسلام" لعبد الفتاح دويدار ص (١٨٠) .

قِدمُ المعركة ، وانضواءُ قادتِها تحت ألويةِ الحملات العسكرية ، واتساع ميادينها، واستعداؤها العاميَّات على الفصحى، وتجنيد الدَّاعين إلى العامية وإلى الأدب العامي في الفريق المعادي لوَحدةِ العرب، والمناصر لتمزيق المسلمين.

* **أمَّا قِدمُ المعركةِ فالدليل عليه** : أنه مُنذُ مطلع القرن السادس عشر نَشر "بدرودي الكالا" الإسباني معجمًا للّهجة العربية في غُرناطة، ثم اندفع المستشرقون يتنافسون في دراسة اللّهجات العامية في الوطنِ العربي كلّه.

* **وأمَّا انضواؤها تحت الألويةِ العسكرية فدليله** : أنَّ دراساتٍ كثيرةً سارت في رِكابِ الحملات العسكرية، فقد رافق حملةَ "نابليون" على مصرَ ، وغَزوَ الإيطاليين ليبيا اهتمامٌ واضحٌ بدراسةِ اللهجات العاميَّة إذ ألَّف "مارسيل" الفرنسي المشترك في حملة نابليون "كنز المصاحبة"، وهو معجمٌ فرنسي عربي بالعاميَّة المصرية، وقد ضمَّنه مفرداتِ هذه اللّهجة وتراكيبها وقواعدها، وألَّف الإيطالي "سيزارو" العربية المتكلّمة في طرابلس، في فترة الغزو الإيطالي لليبيا.

ثم اتسع ميدان الغزو الاستشراقي للفصحى ، وامتدَّ من الفرات إلى النيل ، ومن خليج العرب إلى بحر الظلمات.

ولو قرأت ساعةً في كتابِ العقيقي وحدَه لأحصيتَ سبعين دراسةً تناولت لهجاتِ العراق، وسورية، ومصر، والسودان، وتونس، والمغرب![1] .

وبعد أن اتسع ميدان الصراع استعدى المستشرقون أبناء الفصحى على أُمِّهم، واتخذ هذا الاستعداء صوراً كثيرةً، منها: اتِّهام الفصحى بأنَّها سببُ التَّخلفِ عند العرب.

قال أستاذُ الأدب ، وملاذُ العربية محمود شاكر في حديثه عن المستشرق الإنجليزي "ويلككس" : " ألقى محاضرةً ، ونشرها في مجلة الأزهر التي آلت إليه سنة (١٣١٠هـ) وزعم أنَّ الذي عاق المِصريين عن الاختراع هو كتابتُهم بالفصحى، ودعا إلى التأليف بالعامية" [2] .

ووَدَّ المستشرقون ــ وهم يستعدون العاميَّات على الفصحى ــ لو يُثيرون البراكينَ الخامدةَ في الوطن العربي لِيُدَمِّروه، ورغبوا في تشجيعِ لهجاتٍ تُوشك أن تنقرضَ، وبعث لغاتٍ ميتةً انقرضت واندثرت.

كما يقول "كامبغماير" عن الفرنسيين إنَّهم : " لا يحبون نَهضة

---

(١) سيأتي لهذا مزيدُ تفصيلٍ ــ إن شاء الله ــ.

(٢) انظر" أباطيلٌ وأسمارٌ "لمحمود شاكر (١/١٦٥ – ١٦٦) .

اللغة العربية في مراكش، ولا سيما بين البربر[١]؛ بل يحبون، ويحب معهم صنائعهم أن تنهضَ البربرية، والقبطية، والسريانية ، والآرامية ، والآشورية من بين القبور والكهوف، والحجارة المنقوشة على جدران المعابد الوثنية لتطرد الفصحى إلى نجدٍ والحجازِ ![٢].

فحين أدرك أعداء الإسلام أن القضاء على وَحدَةِ المسلمين لا يمكن أن تتمَّ ما دامت أن هناك لغةً واحدةً يتكلمها المسلمون، ويربطون بِها حاضرهم بماضيهم، ذلك أن اللغة هي تراث الأمة الإسلامية، وحين تترك أمةٌ لغتها فإنَّها في الوقت ذاته تتنازل عن تراثها ضرورةً، ويصبح من السهل عليها أن تندمج في أية حضارة، وتتأثر بأية ثقافة ، كما هو ماثلٌ في كثير من بلاد المسلمين !؛ لاسيما التي تنجَّست أراضيها بأقدام الغزاة الصليبيين، وتلوَّث إعلامها بسموم العلمانيين.

لهذا حاول المستشرقون القضاء على اللغة العربية، وإحلال العامية محلَّها، كما مرَّ معنا.

---

(١) انظر " الحركة الفكرية ضد الإسلام" لعبد الفتاح دويدار ص (١٨٠) .

(٢) انظر مقال "ومضاتٌ وشبهاتٌ في دراسات المسترقين اللغوية " للأستاذ غازي مختار، ضمن مجلة "القافلة" العدد الأول – المجلد الثالث والأربعون، بتاريخ محرم (١٤١٥هـ)، بتصرف.

وكلٌّ هذا منهم كان تمهيدًا وتعبيدًا لاستعمار البـــلاد العربيـــة والإسلامية الذي يعتبر أسمى أهدافهم، وأفضل خططهم! .

أما هدف نشر العاميَّة اليوم فهو بقاءُ الأمة الإسلامية منفصلـــةً ضعيفةً حتى يُقضى على ما بقي لها من رابطةٍ وصلةٍ متمثّلةٍ في اللغـــةِ العربية.

وتلامذةُ المستشرقين من أبناء الأمة العربية قد قاموا بالمهمةِ الآن خير قيام ممَّا أرْبى على جهود الأجانب الغربيين - للأسف - .

في حين أننا نجد الأجانب من المستشرقين وغـــيرهم يعملـــون بتخطيطٍ وأهداف معروفة، أمَّا عامةُ هؤلاء يعملون بلا أهداف، ولا تخطيط فيما يظهر، والله أعلم بنيَّاتِهم وخفايـــا ضمـــائرهم، ونحـــن نطارحهم الرأي على أساس تبليغ الحجةِ وتَبيين أخطائهم، والتحذير من دعوتِهم، وحسابُهم على الله.

لأجل هذا كان ينبغي أن ندرك أنَّ قضيةَ اللُّغة ، أو قضيةَ الفكر أهم من كلِّ قضية، لأنَّ النظرياتِ في الاقتصاد، والطب ، والسياسة وغيرها نظرياتٌ مرحليةٌ تؤثر تأثيرًا زمنيًّا مؤقتًا ثم سرعان ما تـــزول ويَحِلُّ غيرها، وبزوالها تزول آثارها؛ كما هي سنَّةُ التَّرقي والتَّجديد.

أما الفكرُ فهو قضيةٌ تَحكُمُ مستقبل الأمة، وتمتـــد آثارهـــا إلى الأجيال القادمة ـــ كما هو الحال ـــ وقد تُحدِّدُ مصيرَها إلى الأبد،

والحالة هذه إذا لم يُتَدارَكْ هذا الخطأ الفكـــري، ويُســتأصَلْ قبــل انتشاره؛ فهناك تبدأ سنة الله الكونية في وجود أمة ممسوخة ممقوتة لا دين لها ولا دنيا ــ عياذًا بالله ! .

لذا كانت الدعوةُ إلى العامية في بلاد المسلمين بجميع صورهــا سواء كانت شعرًا، أو نثرًا، أو كتابةً، أو غير ذلك يُعدُّ خطرًا عظيمًا، وشرًّا مستطيرًا على بناءِ ووَحــدَة الأمــة الإســلامية ــ عربيِّــها وعجميِّها ــ؛ لأنَّ الدعوة إلى العامية الآن في معظم بــلاد المســلمين ليست غريبةً، ولا أجنبيةً يُشكُّ في إخلاصها ونيَّاتِها؛ ولكنَّها دعــوةٌ محليةٌ تتكلم بألسنتنا، ومن أبناء جلدتنا ، وتستظل تحت سمائنا فــهي حينئذٍ أبعدُ ما تكون عن الشكِّ، أو الرِّيبةِ، وما يحــدث الآن مــن اهتمام بالعاميَّات في الجزيرة والخليج يُعبِّرُ ــ للأسف ــ عن غفلــةِ أهلها، وعدم إدراكهم الخطرَ الدَّاهم الذي سيمحق ثقافة الأجيــال القادمة ، ويُنسيهم إرثهم الثقافي، ويفصلهم عن ماضيهم إن اســتمر دعاة العامية في دعوتِهم التَّغريبية، ومخطَّطاتِهم العدائية ! .

كلُّ ذلك أوجب منَّا دراسةَ العامية، والشعر "النبطي" في مثــل هذا البحث المختصر الذي نحاول من خلاله توضيح وكشف أبعــاد وأهداف الدعوة إلى العاميات واللَّهجات المحلِّية في هذا الجزء الغــالي من جزيرتنا، وبيان خطر ذلك على مسير الأمة الإسلامية، ومستقبلها

أمام التحدي الكبير الذي تفرضه عليها حضاراتُ العصرِ المادّي الجائرِ الذي لا يرحمُ ضعفًا، ولا يسمع غيرَ صوتِ القوة، وغير ذلك ممَّا ستراه ــ إن شاء الله ــ .

أمَّا العامية في معناها السَّاذَج، وكذا العوام الذين لا يحسنون غيرها لا يعدُّ خطرًا على اللغة العربية الفصيحة، ولا خوف منهما على الفكر، والثقافة ؛ لأن العوام لا يملكون فكرًا، وأغراضًا، وأهدافًا يخشى منها، لذا لم يتصدَّ لحرب العامية أحدٌ؛ مع أنَّها موجودةٌ من أمدٍ بعيدٍ في الجزيرة، وبلاد المسلمين؛ والسبب أنَّ الشعر "النبطي"، والنثر العامي كان ترديدًا وإنشاداً يدور على ألسنَةِ العوام ، ولم يكن لها آنذاك مفكرون، ومنظرون، ودعاة كما هو اليوم.

فالحديث إذن هنا ليس عن العامية ؛ إنَّما حديثنا عن الفكر العامي الذين يتبناه دعاتُه كقضيةٍ فكريةٍ جدليةٍ يثيرون حولَها الآراء ، ويدافعون عنها بكلّ ما يملكون من وسائلَ وطرائقَ خفيَّةٍ وجليَّة.

فوجودُ دعاةِ العامية الآن في الجزيرة وغيرها أصبح مصدرَ قلقٍ وخوفٍ لا على الفصحى فقط ــ كما يظنُّه كثيرٌ من المهتمِّين بالدِّراسات اللُّغوية ــ؛ بل هو في الحقيقة معولُ هدمٍ في تمزيقِ الأمةِ الإسلاميةِ الواحدةِ إلى دُولٍ بعددِ اللَّهجاتِ التي تُنشرُ فيها، وتقسيمُ الدولةِ الواحدةِ إلى أقاليمَ وأجزاءَ بعددِ اللَّهجاتِ المحلِّية فيها ؛ هذا إذا

علمنا أنَّ أهلَ كلّ لهجةٍ سوف ينتصرون للهجتهم؛ وذلك بالذَّبِّ عنها، ونشرها وتأصيلها حتى تسودَ غيرها من اللهجات، والنتيجة الحتمية بعد هذا هو زرع ونشر البغضاء، والحقد، والجدل، والاستهزاء، والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، ولو لم يكن من هذا الخطر الذي يثيره الاهتمام بالعاميات واللهجات الإقليمية على بناء الأمة، ووَحَدة الشعور بين سكانِها إلاَّ قضيةُ "التَّتْرِيك" (١) المعروفةِ للجميع لكفى ذلك؛ عندما انتصر الأتراك للغتهم، وحاولوا فرضها على غيرها فانتصرت الأمم الأخرى للغاتِها، وتحركت في نفوس سكان الأقاليم العثمانية الأخرى النَّعرة والغضب، وشرع كلُّ قوم يدافعون عن لغتهم حتى تفككت الروابطُ بينهم، وانقسمت الدولة إلى دول، والأمة إلى أمم، وهكذا!.

ولو حاول الباحث استقراء الفكر العامي السائد في صحافة الجزيرة والخليج في الوقت الحاضر ، وتَتبُّع نشاط دعاة العامية، وما يعلنون ويصرحون به لسهل عليه اكتشاف ما يريدون، وما يرجون تحققه في نِهاية المطاف.

وما هذه المقدمات التي يطرحونَها ويدافعون عنها، ونشاهدها

---

(١) أي : إحلالُ اللُّغة التركية في تركيا بدلاً من اللُّغة العربية، وهو ما حصل على يدِ الهالك مصطفى كمال أتاتورك.

ظاهرة في تصرفاتِهم إلاَّ دليلٌ ظاهرٌ على تمرير أفكارهم وخططهم على جيل الأمة وفكره؛ كما كانت بالأمس عند دعاة العامية في مصر والشام، وإن لم يكن هذا القصد واردًا في حسبان محبيها اليوم ؛ لكنَّه سيكون النتيجة الحتمية في الأمد القريب إن لم تستيقظ الأمة من سباتِها، ويقوم العلماء بواجبهم نحو هذا الخطر الدَّاهم على فكر الأمة ولغتها، والله أعلم.

وقد تحدث عددٌ كبيرٌ من العلماء الأجانب ، والدَّارسون للُّغات عن معجزة اللغة العربية ، وأبدوا في الوقت نفسه استغرابَهم لاستمرار اللغة العربية الفصحى في طريق الحياة حتى الآن، وخروجها منتصرةً على كلِّ الظروف، والأحوال التي تَمُرُّ بِها.

وقالوا : إن هذا لم يحدث لأيَّةِ لغةٍ من لغاتِ الأمم !، واستكثروا بقاءها، وصمودها بالرُّغم من ضعفِ أهلِها، وذهابِ سلطانِها منذ أمد بعيد ، فهل بعد هذا من رجلٍ رشيد يا أهل الجزيرة والتوحيد؟! .

وقد حاول الغربيون ـــ الذين ألجأتْهم مصالِحُهم التعامل مع الفكر العربي ـــ خلخلةَ بُنيان اللُّغة، وبَعثَ الشَّك في قدرتِها على الدَّوام والاستمرار القوي الذي يلبي حاجة الأمة، وأنَّها لم تعُدْ تصلح لهذه الأعصار والأمصار لاسيما عند النقلة الحضارية المادية التي

استجدَّت فيها الأسماء والمسمَّيات، وتنوَّعت الروافد الفكرية، وتكاثرت المنتجات الصناعية . . إلى آخر قالاتِهم المرذولة، وشبهاتِهم المشبوهة.

فليت شعري لو أن هذه القالات والشبهات كانت وقفًا على أفكار وألسنة أعداء الإسلام والمسلمين، إلاَّ أنَّها ــ للأسف ــ تجاوزت حدودها حتى اتسعت لها قلوبُ بعضِ أبناءِ المسلمين من العرب، وتشدَّقت بِها ألسنةُ بعضِ المفكرين من العلمانيين المنهزمين أمام الحضارة الغربية!.

وهكذا ما زالت الحسرةُ تتبعها حسرةٌ، والدمعةُ تبعثها دمعةٌ، والآهاتُ تثيرها حسراتٌ! .

إنَّ ما يحدث اليوم بأمتِنا الإسلامية ولغتِها أمرٌ لم تَعهدْه من قبل؛ كما أنَّنا لا نظنُّ أنه سيأتي عليها زمانٌ تكون فيه أسوأَ حالاً ، وأقلَّ شأنًا ممَّا هي فيه الآن ــ والله أعلم ــ فهل يا تُرى أنَّ المسلمين في سلامةٍ من هذا الذَّنبِ العظيم ؟، أو أنَّ الله تعالى لن يؤاخذنا بما نحن فيه ؟ ، أو هل يا تُرى أنَّ الله قد اتَّخذ قومًا غيرنا ليسوا مثلنا لعِزَّةِ هذا الدِّين ؛ فحينئذٍ كنَّا أهلاً لهذا الهوان، والإذلال، والصَّغار الذي لم نزل نتجرَّعُه بكرةً وعشيةً ؛ حتى شَبَّ عليه الصغيرُ، وشاب عليه الكبير !، اللَّهم رُحماك، اللَّهم رُحماك.

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السُّفهاء منَّا، وارحمنا ما بقي الصالحون فينا، وكان الآمرون بالمعروف النَّاهون عن المنكر بيننا.

فمن هؤلاء الغُيُرِ الذين قتلتهم الحسرةُ، وخنقتهم العبرةُ على اللُّغةِ العربيةِ الشاعرُ : حافظ إبراهيم، الذي أنصف اللغة العربية من عقوق أبنائها ، وانتصر لها من بين أعدائها بقصيدته العصماء ؛ التي لو كان لي من الأمر شيء لأرضعتُها الأطفال، وحَفَّظْتُها الأجيال، ورفعتُها فوق النجوم والجبال، وعلَّقتُها على أستار الكعبة يقرؤها الحاجُ والمعتمر.

فهاكها أخي المسلم كما كتبها صاحبها طريَّةً لا شية فيها [(١)] :

رجعتُ لنَفسي فاتَّهمتُ حَصاتِي ... ونَاديتُ قومي فاحتسبتُ حَياتِي

رَمَوْني بعُقمٍ في الشَّبابِ ولَيْتَني ... عَقِمتُ فلم أجْزِعْ لقولِ عِدَاتِي[(٣)]

وَلَدتُ ولَمَّا لم أجِدْ لعَرائسي[(٢)] ... رجالاً وأكفاءً وأَدْتُ بَناتي[(٤)]

وسِعتُ كتابَ اللهِ لَفظاً وغَايةً ... وما ضِقتُ عن آيٍ به وعظاتِ[(٥)]

---

(١) انظر ديونه ( ١/٢٠٩-٢١١ ) .

(٢) العرائس : الألفاظ المجلوة الحسنة .

(٣) العِداة : الأعداء، يقول : اتَّهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٤) وأد البنت : دفنها حية .

(٥) الآي :جمع آية .

فكيف أضِيقُ اليومَ عن وَصفِ آلةٍ وتَنسيقِ أسمـــاءٍ لمخترعـــاتِ

أنـــا البحرُ في أحشائِه الدُّرُّ كامِنٌ فهل سألوا الغواصَ عن صَدَفاتي

فيا ويحكُم أبـلى وتُبَلى مَحَاسِنِي ومنكم وإن عزَّ الدَّواءُ أسَاتــي[1]

فلا تَكِلُونـــي للزَّمـــان فـإنَّنـــي أخافُ عليكـــم أن تَحِينَ وَفَاتــي

أرى*لرجالِ الغربِ عِزّاً ومَنعَـــةً وكم عَزَّ أقـــوامٌ بِعِـــزِّ لُغـــاتِ

أَتَـــوْا أهلَهـــم بالمعجزاتِ تَفنُّنـــا فيا ليتكـــم تأتـــون بـــالكلماتِ

أيُطربُكُم من جانبِ الغربِ ناعِبٌ ينادي بِوأدي فـــي رَبيعِ حياتي[2]

ولـــو تَزْجُرونَ الطَّيرَ يوماً علِمتُمُ بمـــا تحتَه مـــن عَثرةٍ وشَتَاتِ[3]

سَقى اللهُ فـــي بَطنِ الجزيرةِ أعْظُما يَعِزُّ عليها أن تَـــلِينَ قَنَاتــــي[4]

حَفِظنَ وِدادي في البِلَـــى وحَفِظتُه لَهنَّ بقَلـــبٍ دائـــمِ الحَسَراتِ

وفاخَرتُ أهلَ الغربِ والشَّرقُ مُطرقٌ حَياءً بتلك الأعظُمِ النَّخِرَاتِ[5]

---

(١) الأساة :جمع الآسي، وهو الطبيب .

(٢) الناعب : المصوت بما هو مستكره .

(٣) زجر الطير، هو أن ترمي الطائر بحصاة أو تصيح به، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً، وإن ولاك مياسره تطيرت منه، وهذا كلُّه لا يجوز لأنَّ التطير في الإسلام باطلٌ مذموم يقدح في صحة التوكل على الله وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا طيرة . . " الحديث .

(٤) الأعظم : من دُفن في الجزيرة من العرب الأوليين . القناة : الرمح .ولينها كناية عـــن الضعف .

(٥) النخرات : البالية المتفتتة .

أرى كلَّ يومٍ بالجَرائدِ مَزلقًا     مِنَ القبرِ يُدنيني بغيرِ أناةِ

وأسمعُ للكُتَّابِ في مِصرَ ضَجَّةً     فأعلَمُ أنَّ الصَّائحين نُعاتي[١]

أيهجُرُني قومِي عفا الله عنهم     إلى لغةٍ لم تَتَّصلْ بِرواةِ[٢]

سَرَتْ لُوثَةُ الأفرنجِ فيها كما سَرى     لُعابُ الأفاعي في مَسيلِ فُراتِ[٣]

فجاءَتْ كثَوبٍ ضَمَّ سَبعين رُقعةً     مُشَكَّلةَ الألوانِ مُختلِفاتِ

إلى مَعشرِ الكُتَّابِ والجمعُ حافلٌ     بَسَطتُ رَجائي بعد بَسطِ شَكاتِي

فإمَّا حَياةٌ تَبعَثُ الميتَ في البِلى     وتُنْبِتُ في تلك الرُّمُوسِ[٤] رُفَاتِي

وإمَّا مَماتٌ لا قِيامةَ بعده     مماتٌ لَعَمري لم يُقَسْ بمماتِ

وليس لنا بعد هذه القصيدة إلاَّ أن نُحاسِبَ أنفسنا قبل أن نُحاسَبَ، وأن نأخذَ على أيدي العابثين بلغتنا قبل أن تغرقَ سفينةُ الفُصحى ولاتَ حين مناص .

* * *

---

(١) النعاة : جمع ناعٍ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة، أي : لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية كما هو الشأن في العربية، ويشير إلى اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللُّوثة : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعي : سُمها . والفرات : الماء العذب .

(٤) الرموس : جمع رَمْس ، وهو : القبر .

# الفصل الثاني
# بِدَايات العَامِيَّةِ

لقد أجمعت دولُ الغرب على محاولـــة التســـلُّل إلى مقومـــات الحضارة الإسلامية، وفكرها، وأدبِها، وتظافرت جـــهودهم علـــى حربِها، وتصويرها بصورةِ العاجزِ الذي لا يقـــوم بـــأغراض الأمـــة وتطلعاتِها، ووجدت أن في العاميات منفذاً إلى أغراضها التي تســـعى إلى تحقيقها .

فتوجَّه الاهتمام الأوروبي كلُّه قبيل الوثبة الاستعمارية إلى دراسة العاميات العربية وفهمها ، ومحاولة طرحها بديلاً عن اللغة الفصحى ، تلك الروح التي يسعى الاستعمار إلى إماتتـــها ، أو تفريغـــها مـــن مكمن قوتِها، وصلابتها .

وكانت مصرُ أُولى البلاد العربية الإسلامية التي توجَّـــه إليـــها اهتمام الطَّامعين، والمستشرقين، ودعاة العامية فخططوا على أن تكون المحطة الأولى التي يُمكن الانطلاق منها بقوة إلى كل أنحاء العالم العربي الإسلامي، فحينها بدأت زعزعة مكانة اللغة العربية، ومكانة موروثها الذي يحتفظُ بمقومات المجد الأصيل، ويَدَّخرُ للأجيال صوراً مشرقـــةً من تأريخهم التي يطمع الغربيون في طمسِه ما أمكن إلى ذلك سبيلا .

وكان من المستحيل التَّفكير في إحلال آيَّة لغة أجنبية، أو تشجيعها ولكنَّه من المعقول في رأيهم التَّفكير في اللهجات العاميَّة العربية، وإعطائها فرصةً للظُّهُور على مسرحِ الحياةِ الثقافيةِ والفكرية، ومن خلال هذا الحقد الدفين في نفوسهم بدأت انطلاقة العامية الأولى تدبُّ في جسم الأمة الإسلامية بين الحين والحين كما سيأتي ذكره ــ إن شاء الله ــ .

فكانت مدارسُ الاستشراقِ أوَّلَ الحضانات التي تبنَّت العامية وتدريسها ! .

فمدارس الاستشراق القديمة كانت تحاول جادَّةً في تأصيل العامية، ومَدِّها على حساب اللغة الفصحى، وإعطائها المساحة التي كانت للفصحى؛ في حين كانت العامية منتشرة آنذاك في البلاد العربية، وهو الأمر الذي شجَّع الكثيرين منهم على التَّطَاول على اللغة الأم ــ العربية ــ أملاً في زحزحتِها عن مكانِها ؛ لأنَّ في البُعدِ عنها بعدًا عن مصدرِ القوةِ التي تخشاه أطماع الأعداء ، ولأنَّ حَجْبَها عن الأجيال المقبلة في غاية الأهمية بالنسبة للغرب؛ حتى يُحَقِّقَ ما يريد إذا سَدَّ مساربَ الاتصال الذاتي، والأخذ المباشر من معين لغتنا الفصحى ! .

وفي ذلك ــ أيضا ــ فَصْلٌ لوَحْدَةِ الأمة الإسلامية، وتفكيكٌ لأجزائها إلى أقاليمَ وأقطار لكلٍ منها عاميتُه الخاصةُ به كما هو واقعٌ الآن؛ ومن ثَمَّ سينعكس اهتمام هذه الأقاليم بعاميتهم ولهجتهم الحيَّة على اللغة العربية ؛ حتى تصل إلى أن تكون لهم بمثابة الفصحى، فبها يكتبون تراثهم الإقليمي الضيق ، ومن خلالها ينشرونه في الأقاليم المختلفة ! .

فدونك أخي القارئ بدايات نشر العاميّات في العالم الإسلامي باختصار : -

١ ــ فقد بدأت أُولى المدارس التي قصرت اهتمامها على تدريس العاميَّة العربية في إيطاليا، وذلك في عام ( ١١٣٩هـ )[1]، ولا يخفى الجميعَ الرَّابطُ بين إيطاليا القريبة من البلاد العربية الواقعة على الساحل المقابل للبحر الأبيض وبين هذه البداية ! ، كما لا تخفى نتائجُ اهتمامِها بعاميَّات مصر والشام، ومحاولة التأثير المباشر عليهما عن طريق فَهْمِ العاميَّة .

وقد استمرت هذه المدرسةُ بعض الوقت ثم توقفت، وفي عام (١٣٠٥هـ) عادت مرةً أخرى لتؤدي رسالتها؛ ولكنها ليست

---

(١) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى اسكندر، بمجلة اللغة العربية بالقاهرة ، (١٣٥٥هـ)، ص ( ٣٦٨ ).

وحدها هذه المرَّة؛ بل سبق عودتَها مدرسةٌ أخـــرى في جـــزءٍ مـــن أوروبة، في "النَّمسا" عام ( ١١٦٧هـــ )، وكـــانت متخصصـــةً في مهمةٍ محددةٍ، وهي : مهمة إرسالية، وقد وضعت مناهجَها على هذا الأساس حيث كانت متخصصةً بإعدادِ المبعوثين الذين سيعملون في البلاد العربية، ولذا سُمِّيَت بـــ "مدرسة القناصل" .

واهتمت بالعاميَّات العربية اهتمامًا واسعًا، واستعانت ببعـــــض العرب ومنهم: حسن المصري، للقيام بتعليم العاميَّة التي لا يُحســـــنها غير أهلها، وألَّف حسنُ هذا كتابًا بالعاميَّة سنة (١٢٨٥هـــ) بعنوان " أحسن النُّخَب في معرفةِ لِسانِ العرَب "، وكان هـــذا في العاميَّـــة المصرية خاصة .

٢ـــ أما فرنسا فقد بدأت الاهتمام بالعاميَّات العربية في العقـــدِ نفسِه من السنوات فأسست مدرسة "اللُّغات الشرقية الحيَّة في باريس" عام (١١٧٢هـــ ) ، وأظهرت اهتمامًا خاصًا بالشَّام، ولبنان بالذات لِمكانة الأقلِّيات الدينية فيه كما يقولون ، وطلاَّب هذه المدرسة هم: القناصل، والتجار، والمترجمون، والعلماء المتَّصِلون بشـــؤون البـــلاد العربية، ودُرِّست اللَّهجات العامية، وكيفية نُطقها، وضبطها واضطلع بذلك المستشرق "سلفستر دي ساسي " الفرنسي، وكـــان كتـــابُ سلفِه ومواطنِه "دي سفاري " ( أصـــولُ اللغـــةِ العربيـــةِ العاميـــةِ

والفصحى)، الذي قدَّمه إلى حكومةِ فرنسا خير معين له في مهمتــــه؛ حيث اطلع على اللَّهجات العربية العامية، ولكنَّه لم يكتفِ بذلك؛ بل ضَمَّ إليه عربيًا آخر هو : " ميخائيل الصبَّاغ "[1]، وعيَّنــــه مدرسًــا للعربية ومؤلفًا فيها ! .

فكتب عِدَّةَ كُتُبٍ منها : " اللُّغة العربيـــــة العاميَّـــة في مصــرَ والشَّام"، و" الرِّسالة التَّامة في كلامِ العامَّة "، و" المناهج في أحـــــوال الكلام الدارج "[2] .

٣ــ أمَّا روسيا فلم تَغفل عن أهمية اللَّهجات العامية في ســـــبيل خدمة مصالحها، وكان الباعث لها هو تربُّصُها، وعدوانُـــــها الــــذي كانت تبيِّتُه للدولة العثمانية، وللُّغة العربية وثقافتها، وكــــان حــــالُ تركيا في ذلك الوقت حالاً يدعو جاراتها إلى الطَّمع فيها؛ فأصبح كلُّ عدوٍ لدودٍ لها يحرصُ كلَّ الحرصِ على أن ينالَ حظَّه من ممتلكــــات الدولة الإسلامية المتداعية، فقامت روسيا بالواجب المطلــوب منــــها

---

(١) ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم الصَّباغ هلك سنة (١٢٣٢هــــــ)، ولــد في عكــا — فلسطين —، وتعلم بمصر، ومات في باريس، وهو كاثولوكي صليبـــي، لــــه اشتغــال بالتأريخ ، ومن كتبه "تأريخ بيت الصباغ وحال الطائفة الكاثوليكية " . انظر " الأعلام" للزِّركلي (٣٣٨/٧).

(٢) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى إســـكندر، مجلـــة اللغـــة العربيـــة بالقـــاهرة ، ١٣٥٥هـــ)، ص ( ٣٦٨ ) .

تضامنًا مع دول أوروبة، وهو بعثُ النَّعَـــراتِ القوميـــة النصرانيـــة، ومحاولة تحريك الأقليات الدينية، والعرقيَّة حـــتى تســـتطيع خلخلـــة بُنيان الإسلام المرصوص، ولم تجد أقرب إلى ما تريد وما يحقق أهدافها السياسية ، والدينية، والعرقية من تشجيع اللّهجات العامية، والاهتمام بِها فأقامت مدرسة " لازارف الإكليريكية للغات الشرقية " في مدينة موسكو عام ( ١٢٢٩هـــ )، وجمعت فيها بـــين تعليـــم العربيـــة الفصحى وعاميَّاتِها، واللغات الشرقية الأخرى .

وكانت هذه المدرسة فرعًـــا مـــن الجامعـــة الإمبراطوريـــة في "بطرسبرغ " ، ولم تنسَ على بعدها – عن العالم العربي – أن تستعين بالعرب الذين يعرفون عاميَّات البلاد العربية فاستقدمت الأســـتاذ : محمد عياد الطنطاوي[١]، وجعلته مســـاعدًا للمســـتشرق الروســـي "نفروتسكي "، وأسند إليه تدريس العاميات، والتأليف فيها؛ فـــألف في العربية العامية عِدَّة رسائل، وتزامن اهتمام روسيا القيصرية بالعامية

(١) محمد عيَّاد الطنطاوي هلك سنة (١٢٧٨هـــ)، تعلّم وعلّم في الأزهر اتصل به بعـــض المستشرقين، ودُعي لتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية بـــــ"بطرســـبورج" (لينِنغراد)، واستمر إلى أن توفي بها، وقد تخرَّج عليه بعض المســـــتشرقين مـــن الـــروس وغيرهم، منهم المستشرق الفنلندي الأصل "فالن "، وله معه مراسلات، وكانت له زوجة علوية من مصر . انظر " الأعلام" للزِّركلي (٦/ ٣٢٠) .

مع اندلاع حرب " القرم " الشهيرة عام ( ١٢٧٠هـ ) ، التي كانت دولة الخلافة الإسلامية طرفًا فيها، وقد نالت كتب الطنطاوي عنايةً فائقةً فطبعت في " ليبسيك " سنة (١٢٦٤هـ)[١] .

٤ـ أمَّا المجر فقد أنشأت "الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد" عام (١٣٠٨هـ) ، واهتمت بالعاميات العربية ـ أيضًا ـ، وكيفية النطق بِها ودرست أصواتُها[٢] .

٥ـ أما ألمانيا فقد كان اهتمامها بالعالم العربي الإسلامي، وبتركيا خاصة اهتماما كبيرًا، فقد أسست مكتبًا في مدينة " برلين " مهمته تدريس اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية، ولهجاتُها العامية، وفيه تحدَّدت التَّخصصات، وأصبح هناك متخصصون في أكثر العاميات العربية من أهل الأقاليم نفسها ممَّن يحسنون عامية أقاليمهم، ويعرفونَها .

فالدكتور : أحمد والي ، وهو طبيب مصري يعيش في ألمانيا قام بتدريس لهجات مصر العامية لا غير، بينما قام : أمين معربس، والدكتور : "مارتن هرتمن " الذي كان قنصلاً لبلاده في بيروت

---

(١) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى إسكندر، مجلة اللغة العربية بالقاهرة (١٣٥٥هـ)، ص ( ٣٦٨ ).

(٢) انظر المصدر السابق .

بتدريس اللهجات الشامية العامية .

ومن هذا المكتب تخرَّج معظمُ أساتذة أمريكا الشمالية، كما ألَّف المكتب الألماني سلاسلَ من كتب التدريس لحلقات الدوائر الشرقية في الولايات المتحدة الأميريكية، وقد اتسعت دائرة اهتمامه وامتدت إلى المغرب الأقصى[1]، وأسس مجلة مختصة للبحث في هذه اللغات ولهجاتها العامية .

أما مدرسة " هامبرغ " الاستعمارية التي كانت أهدافها تعليم السُّواح، والتجار، والموظفين لغات الشرق وعاميَّاته، فلم تكتفِ بتعليم العاميات؛ بل أصرَّت على أن ينطق بِها الأوربيون بلا رطانة؛ حتى لا يلفتوا الانتباه ! .

٦ــ أمَّا بريطانيا فممَّا يلفت النظر ويثير العجب أن دراسة العاميات فيها بدأت متأخرة نوعًا ما بالنسبة لغيرها من دول شرق أوروبا وغربِها؛ ولعلَّ السبب يعود إلى اهتمامها بالهند وسكانه، وسبق استعمارها وما كانت تقوم به من نشاط هناك بالإضافة إلى ما عرف عنها من أنَّها دولة استعمارية تعتمد على الاستعمار الاقتصادي والسياسي، ولا تعير الجانب الثقافي كبير اهتمام؛ خاصة في البلاد التي

---

(١) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى اسكندر، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، (١٣٥٥هـ)، ص ( ٣٦٨ ).

كانت خاضعة لسيطرتِها، وكلنا يعرف أنَّها حَلَّت في سواحل الخليج سنين كثيرة، وخرجت دون أن تترك أثرًا ثقافيًا يُذكر .

وأيًّا ما كان السبب في تأخُّرِ بريطانيا في فتح مدارس العاميات مقارنة بإيطاليا مثلاً فقد بدأت دراسة اللهجات العامية في لندن قويةً في أوائل القرن العشرين؛ حيث أنشأت جامعة لندن فرعًا فيها تخصَّصَ في تدريس العاميات والعربية الفصحى، واستخدمت لهذه المهمَّة : حبيب أنطون السلموني اللبناني الأصل[1] في تدريس العاميات العربية، ووضع لها معجمًا بالعربية والإنجليزية؛ كما انتهزت زيارة : أحمد فارس الشدياق[2] لبريطانيا، واقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب بالعربية المحكية ـــ أي : العامية ـــ ليكون منهجًا لها في

(١) حبيب بن أنطون السلموني الكريتي الأصل، هلك سنة ( ١٣٢٢هـ)، ولد في بيروت ونشأ بها، وتلقى العلم في مدرسة الروم الكاثوليك، وكلية القديس يوسف، وفي سنة (١٣١٥هـ) سافر إلى لندن وتعرَّف باللُّورد روزبري وغيره من مشاهير الإنجليز، وساح في جهات العجم والهند، وعُيِّن أستاذًا في إحدى جامعات لندن، وعُضوًا في الجمعية الملكية الشرقية بلندن. انظر "الأعلام الشرقية" لزكي مجاهد ( ١٠٠٥/٣ ) .

(٢) أحمد فارس الشدياق، هلك سنة ( ٥-١٣٠٤هـ)، من سلالة المقدم رعد بن خاطر الماروني، وكان أبواه نصرانيين مارونيين، رحل إلى مصر وتلقى فيها بعض علوم اللغة من علمائها، ثم رحل إلى مالطة فأدار فيها المطبعة الأمريكانية، وبعد مُدَّةٍ استدعته وزارة خارجية إنجلترا ليعاون الدكتور"لي" في ترجمة التوراة وتنقيحها، واعتنق الإسلام في تونس؛ وإن كان الأب "شيخو" يزعم أنه مات على النصرانية. انظر " الأعلام" للزركلي ( ١٩٣/١ )، و"الأعلام لشرقية " لزكي مجاهد ( ٩٧٧/٣ ) .

تدريس العاميات فأجاب إلى ذلك، وألَّف كتابه "العربية المحكية" عام ( ١٣١٣هـ )[١] .

هذه لمحةٌ موجزةٌ، وتعريفٌ مختصرٌ ببداية الاهتمام الرسمي لدول أوروبة بعاميات العالم العربي والإسلامي، وتركيزه على ما كان يصاحبه من عاميات البلاد العربية الموازية له، وكان هذا الاهتمام بداية حقيقية للاستعمار الذي حدث بعد ذلك، فحققت مدارس العامية ما يراد منها عندما تقدم طُلاَّبُها الجيوشَ الغازيةَ التي اجتاحت العالم الإسلامي فيما بعد كما هو مخططٌ لها ! .

إن الغرض الذي كان وراء اهتمام الغرب بالعاميات وتعلمها وتأسيس المدارس لها، واستقدام المعلمين من العالم العربي ومن الغربيين تجلَّت نتائجه وظهرت أهدافه عندما وقعت الحرب العالمية الأولى، واستعمرت البلاد العربية والإسلامية، وقامت كلُّ دولة مستعمرة بمحاولة تحويل الأمة عن لغةِ تراثها، ودينِها ، وحضارتِها إلى لغات عامية ضعيفة ركيكة تضر ولا تنفع ! .

وهذه التجربة التي حدثت وعرفت نتائجها كان من الأجدر بنا أن نحذرَ من تكرارها مرةً أخرى وألاَّ ننخدع بما جَدَّ من جديدٍ في

(١) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى إسكندر، مجلة اللغة العربية بالقاهرة (١٣٥٥هـ)، ص ( ٣٦٨ ).

فنِّيات القضية، وتبريرات الدُّعاة الجددِ إلى العامية اليـــوم؛ إذ كـــان الأولى بهم أن يأخذوا عبرةً ممَّا سبق لا سيما بعد معرفـــة نتائجـــه، وانكشاف أهدافه، ويجب ألاَّ تكرر المحاولات التي بدأها الأعداء .

أما ما يظهره مُحِبُّو الثقافة العامية عندنا من اهتمام بالعاميـــة، ونشرها، ومحاولة تقعيدها فهو عمل لا يهدف إلى شـــيء في واقـــع الأمر، إلاَّ أن نتائجه ستصبح أكثر ضررًا على الأمة الإسلامية، وعلى مستقبل أجيالها من ضرر الاستعمار الذي سَخَّر العاميات لأغـــراض مؤقتة؛ فتلك الأغراض قد زالت عندما ودَّع البلاد العربية وذهب إلى غير رجعة ، وخلَّفَ آثاره الفكرية التي يتشبث بِها اليوم مُحِبُّو العامية ومناصروها ، والله المستعان .

* * *

# الفصل الثالث
## التأليفُ، والنَّشرُ باللَّهجاتِ العاميَّة

إن الكثير من المعجبين بالعامية، والشعر "النبطي" يؤلفون وينشرون ما استطاعوا نشره ظانِّين أنَّ اهتمامهم آتٍ من اقتناع منهم بأهمية الفكر الشعبي فينشدون فيه الإبداع ، وهم لا يعلمون أنَّهم بعملهم هذا يسيرون على المنهج نفسه الذي سار عليه الغربيون منذ أكثر من مائتي عام تقريبًا وليس لهم من فضيلةٍ إلا التقليد ! .

ويصدق فيهم قول الشاعر الجاهلي :

**وهل أنا إلاَّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن تَرْشُدْ غزيَّةُ أرشُدِ**[1]

وما يقوم به أبناء العرب من نشر للفكر العامي، والشعر "النبطي" ليس نابعًا من قناعاتِهم الشخصية، وليس سدًّا لحاجةٍ أدركوها، ولا اكتشافًا لأهمية الفكر الإقليمي الذي بدأت طلائعه تظهر في السنوات القلائل الماضية؛ بل هم في الحقيقة متأثرون تأثرًا غير مُدْرَكٍ ولا محسوسٍ بأفكار ودراسات غربية حديثة في عالم يختلف فَهمُه ونظرُه وقيمُه الدينيةِ والاجتماعية عنَّا، فثقافتنا تتميز بخصوصية

(١) للشاعر الجاهلي دُرَيْد بن الصِّمَّةِ ، انظر " خزانة الأدب" للبغدادي ( ٣/٤٦١)، و"الشعر والشعراء"لابن قتيبة الدينوري ص(٥٤٣).

الدَّوام والاستمرار لأنها مرتبطة بوشائج لا يوجد ما يماثلها في حضارات الغرب أو الشرق، وفي تمسكنا بها ما يثير شجن الذين يودُّون أن لا تكون لنا وَحْدَةٌ مستقلةٌ، ولا شخصيةٌ متميزةٌ، ويعملون على دمجنا بحضاراتِهم ومفاهيمهم الفكرية التي لن نحسنها ولن نستفيد منها غير التقليد السَّاذَج ! .

إن الحقيقة المعروفة للناس هي أنَّ الاهتمام بالفكر العامي ـــ شعرًا كان أو نثرًا ـــ لم تنبع من نفوسنا، ولم تكن اقتناعات لشبابنا ابتداءً ، إنما أخذها متأثرًا بالاتجاه القوي نحو تقديس المأثورات العامية والمحلية ! .

والكلُّ يعرف ما قام به علماء الأمة الأولون من جهود في تتبع أخطاء العامة، وأهل اللَّحن فألفوا الكتب الضخمة، وكان أكثرها في الأخطاء التي تَشيعُ على ألسنة الناس في كلِّ جيلٍ، وتصدى لدراسة ذلك عددٌ غير قليلٍ من المؤلفين واللُّغويين ، ومنذ القرن الثاني الهجري حتى قبيل فترةٍ وجيزةٍ جدًا وقافلةُ العطاءِ مستمرةٌ ولن تقفَ ما لم يقف وجود اللَّحن ، وإن وضع المعجبون بالثقافة العامية، والشعر "النبطي" العثرات في سبيلها.

## منهجُ القدامى في إصلاح العاميَّة :

والهدف من منهجِ القدامى في إصلاح العاميَّة هو إصلاح ما يطرأ من لحنٍ وفسادٍ في اللُّغةِ على ألسنةِ المتكلمين، وردّه إلى أصلِه في اللُّغةِ، لا بالسُّكوتِ عنه ؛ حتى يكتسب صفةَ الاستمرار والقبول ، ومن أوائل الكتب التي وصلت إلينا في موضوع إصلاح العربية كتاب "ما تَلحنُ فيه العامة " [1] لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) على أرجح الأقوال[2] .

وجاء أبو عبيدة ( ٢٠٩هـ )، وصنع كتابًا بعنوان " لحن العامة"، وبعده كتب أبو عثمان المازني ( ٢٤٨ هـ) " لحن العامة "، ومثله -أيضًا - ألّف السجستاني (٢٥٥هـ ) كتابًا بعنوان " لحن العامة "، وكذا كتبَ أبو حنيفة الدِّينوري (٢٩٠هـ) في الموضوع نفسه ، ثمَّ جاء الزَّبيدي بعد منتصف القرن الرابع وألف في لحنِ العوام كتابًا تَتبَّعَ فيه أبسط الأخطاء التي يقع فيها عامةُ الناس ، وأقلها خطرًا وحاول بيان الاستعمال الصحيح ، وأتى بالدليل على صحة ما يذهب إليه من القرآن ومأثور كلام العرب .

(١) حققه رمضان عبد التواب، ونشره عام ( ١٤٠٣هـ ) .

(٢) انظر " طبقات النحويين اللغويين" لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ص ( ١٣٠ ) .

ولو تتبعنا ما كُتب حول أخطاء العامة، والحوافز على التأليف لوجدنا أنّ تلك الأخطاء شبيهة بما يستعمله اليوم خاصة الخاصة، ولا يرونه خطأ ولا عجمة ، للأسف والله المستعان .

لقد كان الهدف من الكتب التي تناولت موضوع اللّحن هو رَدُّ اللّسان العربي إلى مَعين الفصحى، وتجديدُ عهده بها حتى لا يَبعد عنها، ويطغى الأسلوب العامي والاستعمال الرَّديء على فصيح الكلام، وسيجد القارئ في هذه المحاولات الأولى فَشو اللّحن وانتشار العامية .

كما أنّ العلماء ـــ رحمهم الله ـــ لم يركنوا أو يستسلموا أمام وجود العامية والفساد اللُّغوي ، ولم يقولوا كما يقول الناس اليوم : إن العاميةَ موجودةٌ ولا بُدَّ من التعامل معها وإحيائها ، ودراستها ؛ لكنهم عرفوا أهمية العمل على الحَدِّ من سرعة انتشار العامية ، وسعوا إلى إثراء العربية الفصحى؛ حتى تَسُدَّ الطرقَ على منافذِ العامية، واستمروا يؤلفون في الفصحى ويعالجون أخطاء العامية، كما مرَّ معنا سالفًا .

**ومن تلك الكتب :**

١ـــ "حواشي درة الغوَّاص على أوهام الخواص "[(١)]، للإمام الحريري صاحب المقامات، يَرُدُّ فيه بعض الأخطاء .

---

(١) انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى إسكندر، بمجلة اللغة العربية بالقاهرة، ص (٣٥٢).

٢ــ " تثقيف اللِّسان "، للقاضي ابن عمر الصِّقِلِّي، من أهل القرن السادس الهجري .

٣ــ " الجمانة في إزالة الرِّطانة "، تأليف محمد بن القاضي التونسي، من أهل القرن التاسع الهجري .

ولا يكاد يمر قرنٌ على الأمة الإسلامية إلا وقد صُنِّفت فيه عدد من المؤلفات التي تعالج الأخطاء، وتحاول الإصلاح؛ حتى إذا جاء القرن الثاني عشر وجدنا مؤلفاتٍ كثيرةً فيه، مثل :

٤ــ " الطِّراز المذهب في الدخيل والمعرب " لمحمد الحلبي المتوفى عام (١١٤٧هــ).

٥ــ " قصد السبيل فيما في العربية من الدخيل "، تأليف محمد الأمين المحبي الدمشقي[١]، وغير ذلك عشرات المؤلفات التي يظهر فيها الاهتمام جليًا بلغةِ القرآن ، ومحاولة تجديد شباب العربية حتى تواكب مسيرة الحياة، وتؤدي رسالتها صافيةً نقيةً من الشوائب قريبةً من المنبع الصافي الذي لا تَلْتاثُ فيه ألسنة أبنائها عندما يبعدون عن لغة القرآن، ويبعدون عن ثقافته العريقة التي حوتها اللغة العربية .

وبعد الانتهاء من الحديث عن القرن الثاني عشر، وما أُلِّف فيه

(١) انظر المصدر السابق ص (٣٥٥).

من مؤلفات حول العربية، وما يعتريها من أخطاء تأتي على ألسنة العامة، نجد أن بداية القرن الثالث عشر الهجري وما تلاه من سنين إلى عصرنا لم يكن أقلّ وضعًا وحالاً ممَّا قبله؛ إذا ما علمنا أنَّه قد هَبَّتْ فيه على البلاد العربية ريحُ التجديد، وأتت المخترعات، وكثرت الوسائل ؛ وأقدمها وأهمها في ميدان اللغة ، والفكر، واللسان هي " الصحافة "؛ التي بدأت في مصر وفي غيرها من البلاد العربية !.

إلا أنَّ طبيعة العمل الصحفي جلب معه أضرارًا كثيرةً، فالصحافة تحتاج إلى السرعة، والالتزام بمادة محددة، ووقت محدد للصدور أيضًا ، وهذه المتطلبات تحتاج إلى كفاءات قادرة متمكنة من اللغة تواكب السرعة ، وتلبي الالتزام حتى تحافظ اللُّغةُ على سلامتها ، والصحيفةُ على التزامها .

ولم يكن ذلك متوفرًا في البلاد العربية عندما بدأت بها صناعة الصحافة، والمتتبع لتاريخ الصحافة ونشأتها يعرف أنَّها بدأت بأساليب ركيكة هي إلى العامية أقرب منها إلى الفصحى(١) .

فكثرت أخطاء الكُتَّاب والمُحَرِّرين في بداية الأمر، وصعب الاستعمال عليهم، وتَمَنَّع قِيادُ اللغة على كثير منهم ، فدخل أساليب

---

(١) انظر دراسة محمد الشامخ عن تاريخ الصحافة، نقلاً عن " الفصحى ..." لمرزوق ص (٤٥-٤٦)، باختصار .

الصحافة من الأخطاء ، والاستعمالات العامية غير البيِّنة والركيك[1]، وكذلك جاءت التراجم، وصيغت الجمل المترجمة بقوالب غير العربية، وإن عُرِّبتْ الألفاظ!.

فتصدى العلماء ، وأهل الحَمِيَّة على لغة القرآن إلى هذا الطارئ الجديد، ونَهض عددٌ من الكتاب وألفوا في صحيح العربية، وتتبعوا أخطاء الصحافة، وأساليب الكتاب، ومن أول من اهتم بتقويم أساليب الجرائد وكتابِها، وحاول تصحيح مسار اللغة في هذه الوسائل الهامة هو الكاتب : إبراهيم اليازجي، في كتابه " لغة الجرائد"، وعنوانه يدُل على مضمونه .

واستمر اليازجي يتابع أخطاء الجرائد، ويَردُّ ما شَذَّ من كلمات عربية إلى استعمالها الفصيح، ويُنبِّه عليها، ويقارن بين ما يقول الكاتبُ وما يريدُ وبين ما يذهب إليه معنى الكلام في أصل اللغة العربية، وهكذا .

فاستمر التأليف في سبيل الإصلاح، وألفت عشرات الكتب، فخرجت عن عدِّ العادِّ لكثرتِها ، وفي هذا دليلٌ على الاهتمام البالغ ،

(١) الرَّكيك : هو القليل، ورجل ركيك العقل : قليله، ورجل ركيك أو ركاكه : إذا كان النساء يستضعفنه فلا يهبنه ولا يغار عليهن.
انظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ( ر ك ) .

والمحافظة على اللِّسان العربي عند الغُيُر عليه .

**ومن تلك الكتب : –**

١ ــ " تذكرة الكاتب "، لأسعد داغر .

٢ ــ " عثرات اللِّسان " لعبد القادر المغربي .

٣ ــ " قُل ولا تقلْ " لمصطفى جواد .

٤ ــ " معجم الأخطاء الشائعة " لمحمد العناني، مع ما فيه مـــن هنَّات شرعية مستدركة.

٥ ــ " تقويم اللِّسانين " لمحمد تقي الدين الهلالي .

٦ ــ " العربية الصحيحة " لأحمد مختار عمر .

٧ ــ " المظاهر الطارئة على الفصحى " لمحمد عيد .

٨ ــ " الكتابة الصحيحة " لزهدي جار الله .

٩ ــ " لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط " ألفه : إبراهيم درديري، وجلُّ ما ذُكر من هذه الكتب وغيرها بين أيدي البـــاحثين اليوم تَهدف كلُّها إلى خدمة اللُّغة العربية، فالحمد لله رب العالمين .

* * *

# الفصل الرابع
# مؤلفاتُ المستشرقين بالعاميَّة

فإذا علمنا سالفًا أنه من أعظم أهداف المستشرقين استعمار البلاد الإسلامية؛ حيث اتخذوا لذلك أنجع الوسائل وأخبث المخططات التي كان من أهمها - بل أهمها - نشر العامية بين أبناء المسلمين رجاء قطعهم وفصلهم عن ماضيهم الثقافي، وتأريخهم المجيد.

فإذا عُلم ذلك كان بداهةً أن يهتم المستشرقون بالعاميات واللهجات نشرًا، وتأليفًا، وتصنيفًا .

لذا بدأت مؤلفات المستشرقين بالعامية العربية مبكرًا، ومن أقدمها[(١)].

١- " أصول اللغة العربية العامية والفصحى " .

ألفه المستشرق الفرنسي الشهير : "دي سفاري " سنة (١١٩٨هـ )، وقدمه إلى الحكومة الفرنسية، وهو عملٌ مرتبطٌ بسياسة فرنسا في البلاد العربية، وكتبه بتكليفٍ من الحكومة

(١) للمزيد من الاطلاع على أسماء الكتب، وأسماء مؤلفيها، انظر "اللهجة العربية العامية" لعيسى إسكندر، و "مجلة اللغة العربية" بالقاهرة، و"تاريخ الدعوة العامية وأثرها في مصر" لنفوسة زكريا سعيد .

الفرنسية ، وهدفه - كما هو معلوم - مساعدة دولته على فَهمِ رُوح الشَّعب العربي الأمي الذي يتعامل معه الاستعمار في ذلك الوقت ! .

٢- " أمثال المكيين " .

ألفه المستشرق " سنوك هور غرونجي " الهولندي .

٣- " بحث في لغة نجد الحالية " .

كتبه المستشرق " هس "، وقدمه لمؤتمر المستشرقين في أثينـــا في شهر نيسان عام (١٣٣٠هـــ ) .

٤- " الكلام الدَّارج بمصر القاهرة " .

بحثٌ قُدِّم لمؤتمر لندن في سنة ( ١٣٠٩هـــ )، وذكر فيه مؤلفُه كثيرًا من أزجال العوام، وألحانِهم، وموشحاتِهم، وأدوارهم .

٥- " كتاب الفوائد والقواعد والعقائد " .

ألفه " دسبارمي "، وهو باللُّغة العامية، وضمَّنه أزجالاً، وأغاني، وخرافات وطبع في الجزائر عام (١٣١٢هـــ ) .

٦- " لغة الجزائر العامية " .

تأليف المستشرق " هوداس " .

٧- " العربية ولهجاتها " .

تأليف " الكنت دى لاندبرج "، قَدَّمه للمؤتمر الدَّولي في الجزائر

عام (١٣١٣هـ).

٨- " مباحث عامية " .

تأليف " جيوسب فورلاني " .

٩- " قواعد في اللغة العامية المصرية " .

تأليف الأمريكي " فسك " .

١٠- " نصوص عربية في لغة العرائس " .

ألفه المستشرق " مخيمليانوا سنطون "، ونشره في عام (١٣٢٧هـ ) بعد تنقيحِه، وكتابتِه بالحرفِ العربي، والحرف الإفرنجي .

١١- " مواد لدرس لهجة عرب البدو في إفريقية المتوغلة " .

نُشِرَ في برلين سنة ( ١٣٠٦هـ )، وهو من تأليف " جورج كمبفماير "، وللمؤلف - أيضًا - كتاب آخر بعنوان .

١٢- " لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيرة العربية " .

١٣- " اللهجة العربية العامية في أورشليم " .

ألفه الدكتور " مكس لوهر " عام ( ١٣١٢هـ )، وهو يُمَيِّز بين لهجات القدس، والشام، ومصر.

١٤- " ثلاث مقالات في اللّهجات العامية " .

تأليف الدكتور " أ ، فيشر "، نشر في برلين عام (١٣١٥هـ)، وعام (١٣١٦هـ) .

١٥- " معجم اللّهجة المغربية العامية " .

ألفه " بوسييه "، وكان أكثر مؤلفاته في اللهجة العامية في الجزائر، والمغرب، وتونس .

١٦- " حكايات وأشعار تونسية " .

ألفها " هنس ستومه " .

١٧- " لهجة عرب هوارة " .

للمؤلف مع أستاذه " ألبرت سوسن " .

١٨- " أشعار البدو بين قُطْرَي تونس، وطرابلس الغرب " .

للمؤلف نفسه، واعتنى بِها " كارد، أ ، نالّينو "، ونشرها سنة (١٣١٢هـ) .

١٩- " أشعار قوميَّة عربية " .

تأليف " أنولتمان "، وطبعه سنة ( ١٣١٩هـ) .

٢٠- " حكايات عربية عصرية " .

بلهجة القدس، جمعها المؤلفُ نفسُه، ونشرها عام (١٣٢٥هـ)

ولا أريد الإطالة في ذكر أسماء الكتب التي بدأت بالعامية، وألفها المستشرقون النصارى، واليهود ومن كان يعمل معهم في معاملهم، ويدور في أفلاكهم من العرب !.

وحتى يتضح هدف الغرب المحدَّد فإن كلَّ الكتبِ السابقةِ ألفت إما قُبيل الاستعمار الفعلي للبلاد الإسلامية والعربية، وإما في أثناء الاحتلال ، وكلُّها بلا استثناء توضِّح حقيقة أطماع الغرب ، وأهدافه المحددة من نشر العامية في الوطن العربي كلِّه ! ، وقد غطت المؤلفات التي ذكرنا بعضًا منها أجزاء البلاد الإسلامية، وركزت اهتمامًا خاصًا على البلاد التي كانت تخطط لاحتلالها[1]، كما أشير آنفا؛ فبعضها أُلِّف وقُدِّمَ إلى وزارات الخارجية للبلدان ، والدول ذات الاهتمام ، أو

(١) ذكر المستشرق "سايمون جارجي" في بحث ألقاه في ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي المنعقدة في قطر عام (١٤٠٥هـ)، أسماء سبعة من المستشرقين الألمان الذين خصوا الأدب العراقي بدراساتِهم فمنهم "أدوار ساخو" الذي نشر مجموعة عن الأدب الشعبي العراقي في عام (١٣٠٦هـ)، وتبعه "ألبرت سوسين"، و "شتومه" نشرا مجموعة عنوانُها "ديوان وسط الجزيرة" في عام (١٣١٨هـ)، وفي عام (١٣١٩، ١٣٢٠هـ) نشر "بروثومايستر" حكايات من العراق، وبعد ذلك بما يقرب من ثلاثة عقود أي عام (١٣٤٨هـ)، نشر "فرانزها يتريش فايساخ " دراسة في "فنون العراق"، وقد سبقه مستشرق آخر هو "هليموت ريتر" بدراسات ما بين النهرين، وذلك عام (١٣٣٨هـ)، ثم جاء "ويليم إيلرس" سنة (١٣٥٤هـ) فنشر أغاني عربية من العراق، انظر البحث الذي قدمه المؤلف إلى ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي ، في (٤/١١/ ١٤٠٥هـ)، نقلاً عن " الفصحى ... " لمرزوق ص ( ٥٢-٥٦).

بطلب منها؛ مثل عمل "الكونت دى لاندنبرج "، الذي قدمه إلى وزير خارجية بلده، ومثله - أيضًا - عمل "دي سفاري" الفرنسي عندما كتب كتابه المشار إليه آنفا!.

و لم أذكر الكتب التي ألفت بالعامية بعد أن شرع المستشرقون بالدعوة لها، وبدأوا الطريق وحققوا مأربَهم؛ وهو استعمار البلاد العربية والإسلامية الذي كان هو هدفهم من نشر العاميات آنذاك[1]!.

* * *

(١) من أراد زيادةَ بحثٍ واستقصاء عن أسماء الكتب التي كُتبت بأيدٍ مستشرقةٍ غربيةٍ بعد استعمارهم بلاد المسلمين؛ فلينظر كتاب "اللهجة العربية العامية" لعيسى اسكندر، و"الفصحى . ." مرزوق .

# المبحث الثالث

# الاهتمامُ بالعاميَّة في الجزيرةِ العربيةِ

كانت مصرُ والشَّامُ مسرحًا للدعوة السافرة إلى العامية ، وكان الألمان والإنجليز الموظفون الرسميون للدولة البريطانية في مصر هم مُخَطِّطي الدعوة والناشرين لها، وقد انضم إليهم عدد من رجال الفكر، والأدب من العرب في البلدين - مصر والشام -، فقامت معركةٌ حاميةٌ بين أنصار العاميَّة ودعاتها من جهةٍ، وبين أنصار الفصحى المدافعين عنها من جهةٍ أخرى، وقد تصدت لأهداف الدعوة ومراميها أقلام الغُيُرِ من أبناء القُطرين، واستطاعت أن تُسكت الدعوة، وتكشف أخطارها، وتظهر أخطاءها .

وقامت دراسةٌ علميةٌ تناولت الدعوة إلى العامية في مصر، ووضَّحت ملابساتِها وأبعادها الثقافية، والسياسية؛ وليس هناك ضرورة لذكر ما قيل عن هذه الدعوة في مصر، ففي تلك الدراسة غنًى لمن يريد الاطلاع على الأبعاد، والمرامي التي كانت تستهدف الأمة العربية[1] .

---

(١) انظر "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر" لنفوسة زكريا سعيد، وقد أشرنا إليه آنفًا .

والاهتمام الذي أحدثته حركة العامية ونشاطها في بلاد الشام ومصر على الجزيرة العربية لم يكن مباشرًا ولا ظاهرًا، ولكنَّه كان تأثيرًا خفيًا لطيفًا مأخذه؛ لأن الذين دعوا إلى العامية في مصر قد أكثروا من ترديد القول بأن العاميةَ موروثٌ محليٌّ لكلِّ قُطرٍ عربي يجب الاهتمام به ، ورعايته، وحفظه، وعدم تضييعه، ووصفوا العامية بأنها ألصق بحياة المجتمع الذي تسود فيه، وأشاروا في الكثير مما قالوا إلى أن يكون لكلِّ مجتمع اهتمامٌ بتراثه، ومأثوره العامي، فالعامية في رأيهم أوفى تعبيرًا، وأدق معانٍ، وأحلى ألفاظًا[١] .

فممَّا لا شك فيه أنَّ أكثر الدعاة إلى العامية في مصر والشام كانوا بعيدين عن فَهمِ الدعوة ومراميها .

والأمر الذي دفع بِهم إلى تدوين أدب العامية إنما هو تأثير غير مباشر، وشعور خفي غير مُدْرَكٍ في واقع الأمر؛ عكسته الأحداث من حولهم فانعكس على اهتمامهم دون قصد منهم إليه، أو قناعة به!.

وهذا ما حصل فعلاً من أبناء الجزيرة حيث دافعوا عن العامية واستماتوا لها بمظهرٍ غريبٍ، وثوبٍ جديدٍ حيث جَسَّمُوا العامية في قوالبَ شعريةٍ وهو ما يسمى بالشعر "النبطي" سواء بقصد منهم ، أو

---

(١) انظر "تاريخ الدعوة إلى العامية " لنفوسة زكريا، ص (١١٩) .

غفلة بريئة !، ولعلَّ الثاني أقرب لحسن ظنِّنا بهم .

وهذا ما سنتحدث عنه في الشعر "النبطي"، وما يدور حوله من أخطارٍ، وأضرارٍ - إن شاء الله -.

* * *



# المبحث الرابع

# الشِّعرُ" النَّبَطِي"



# الفصل الأول

## أصل الشعر "النبطي"

### تعريف الشعر النبطي :

إنَّ تعريفَنا للشعر "النبطي" ونحوه من الكلمات المركَّبة من مفردات لا بد لنا أولاً من تعريف أفرادها كي تكون التعريفاتُ سليمةً من القوادح؛ لأن شرط التعريف هو : الجمع والمنع، كما عليه الأصوليون من الفقهاء والمتكلمين .

ويوضح ذلك أنَّنا إذا أردنا تعريف كلمة " الشعر العربي "مثلاً، فلا بُدَّ حينئذٍ من تعريف مفرداته وهما : ( الشعر، والعربي ) .

فنقول أولاً : الشِّعرُ هو الكلامُ الموزونُ المقصودُ بالوزن(١) .

وثانيًا : العربي هو نسبةٌ إلى العرب، كما هو معلوم، ومن خلال تعريفنا للشعر العربي حال مفرداته نستطيع حينئذ أن نعرفه حال تركيبه .

---

(١) أي : موزون بأوزانٍ مخصوصةٍ، ومن حيث ما يَعرض لهذه الأوزان من التَّغيير الجائز أو الممتنع .

وهذه الأوزان متوقفةٌ على معرفة ما يسمى بالعَرُوض، والعَروض : هو علم بأصولٍ يُعرف بِها صحيح أوزان الشعر، وفاسدها .

فنقول : "الشعر العربي" : هو كلُّ شعرٍ كان لفظه، ومعناه بلسانٍ عربي فصيح من حيث الإعراب، والوزن، والقوافي . . إلخ[١] .

أما إذا أردنا أن نُعرف الشعر "النبطي" فلا بُدَّ لنا حينئذٍ أن نُعرف مفرداته لأنه كلمةٌ مركبةٌ من : ( شعر، ونبطي ) .

**أما الشِّعر** : فهو ما ذكرناه آنفا .

وبعد تعريفنا للشِّعر عند أرباب اللغة، وأهل الفن من الشعراء والعَرُوضِيين؛ فما عَسَاهُ يا تُرى سيكون "النبطي" إذا عرضناه على التعريف الصحيح للشعر العربي ؟ ! .

**الجواب** : إن أبلغ الإجابات على هذا السؤال هو ما ذكره أرباب، ورجال الشعر "النبطي" سواء الشعراءُ منهم، أو الدَّارسون له.

يقول عبد الله بن خميس : " لا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة، فَتُسلِّط العوامل على معمولاتِها، وتحاول الرفع، أو النصب، أو الجر، أو السكون بالعلامات الأصلية، أو الفرعية، أو حذف ، أو سكون، أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل أنه مثال ، أو عن الآخر أنه أجوف، أو عن ثالث أنه ناقص، أو مهموز، أو واوي، أو يائي . . أو هذا التثنية أنَّهما صحيحان، أو غير

(١) هناك تعريفات للشعر العربي غير ما ذكرناه؛ لكنَّها متقاربة المعنى لا تخرجنا عن حقيقة التعريف الصحيح للشعر الفصيح .

صحيحين، لا تحاول أن تقرأ الشعر وأنت مرتبط بشيء من هذا، ولا أن تقول إذا جئت تقرأه لِمَا هذا كذا، أو ليس هذا بصحيح، فالشاعر "النبطي" يريد أن يُخضعَ كلَّ شيءٍ من أجل استقامة وزن بيته وكفى" [١] .

ويقول – أيضًا – في مكان آخر : " ينفرد هذا الشعر – "النبطي" – بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح، ونظرًا لأنه لم تُقعَّد له قواعد، ولم يوضع فيه دراسات يُفهم على ضوئها، وقد جانب كثيرًا من قواعد اللغة العربية، واصطلاحاتها : نحويةً كانت، أم صرفيةً، أم إملائية ، أم عروضية؛ لذا فإنه من العسير على الدارس لهذا الشعر وهو بعيد عن بيئته ومحيطه أن يركز فهمه فيه، أو يخرج منه بكبير فائدة؛ ما لم يؤدِّه الأداء الصحيح بلهجته الخاصة بِها "[٢] .

وقال طلال السعيد : يُسمى هذا الشعر بالشعر "النبطي" العامي ، ويسمى أيضًا بالشعر البدوي . . أما لماذا هو عامي فإن لغته قد تخلَّصت في كثيرٍ من الأحيان من بعضِ الظواهر التي تلتزمُها الفصحى . . " .

وقال – أيضا – : " ونلاحظ أن الشعر "النبطي" لا هو بالشعر

(١) انظر " الأدب الشعبي" لعبد الله بن خميس، ص(٨٢) .

(٢) انظر السابق ص (٨١) .

العربي الفصيح، ولا هو ببعيدٍ عنه، فهو مشتقٌ منه، ونستطيع القول أنَّه هو الشعرُ العربيُّ نفسُه، ولكن بدون ظواهر الإعراب؛ فتجد الشاعر "النبطي" ينصب ما يجب أن يُرفع، ويجزم ما يجب أن يُنصب، ويضيف التَّنوين حسب الوزنِ "[1] ! .

**قلتُ** : إنَّني لم أستطع فهم ما قاله طلال السعيد : " بأن الشعر "النبطي" لا هو بالشعر العربي الفصيح، ولا هو ببعيدٍ عنه، فهو مشتقٌ منه، ونستطيع القول أنَّه هو الشعرُ العربيُّ نفسُه "، فهذا في الحقيقة كلام متناقض، كلُّه تعسُّفٌ وتكلُّفٌ، لا أظنُّ أحدًا من العقلاء يستطيع أن يتصوَّرهُ فضلاً أن يفهمه؛ إلاَّ من أشرب قلبه بحب "النبطي" !! .

وقال – أيضًا – : " من هذا كلِّه يتبين لنا أن الشعر "النبطي" يجب أن يُكتب كما يُنطق حتى لو كان ذلك على حساب قواعدِ النَّحوِ، وأصولِ اللُّغة ! .

وهذه النقطة بالذَّات غايةٌ بالأهمية خصوصًا لدارسي ومتذوقي هذا اللَّون من الأدب، فلكي يفهموه، ويعرفوا بلاغته، ويتمكنوا من معرفة أوزانه، ومعانيه – يجب أن يصل لهم كما قاله الشاعر دون

---

(١) انظر " الشعر النبطي ..." لطلال بن عثمان السعيد، ص (١٥،١٩،٣٤–٣٥) .

تحريف، ولا إضافات؛ لذا وجبت كتابتُه كما يُنطق حيث أنه لا يتسنى لهم معرفته، وقراءته بالشَّكلِ الصحيح بدون ذلك ! "[١] .

وقال محمد بن سعيد كمال : " وشعراءُ الباديةِ أقرب إلى الطريقة الإفرنجية في أوزانِ شعرهم، فإنَّهم يعتمدون على المقاطع، وهي كالأسباب في عَرُوضِ العرب ، يدل على هذا أنَّهم لا تكاد تمرُّ بِهم كلمةٌ ذات ثلاث متحركات إلا سكَّنُوا أحدَها فليس في شعرهم " متفاعلن " ، ولا " مفاعلتن " وهذه الطريقة - أي طريقة المقاطع - هي العامة في شعر أكثر اللُّغات الأجنبية، ولقد حاول منذ سنين أحد مُتأدِّبي العرب أن يعتمد في تلقين علمِ العَرُوضِ على المقاطع فيهمل التفاعيلَ فلم ينجح، لِمَا في الشعرِ العربي من الكلمات الكثيرة الحركات، ولأن المدَّ في غير موضعه خطأٌ معيبٌ في اللغة العربية" .

وقال - أيضًا - : " أمَّا تسميتُهم له بالشعر "الحميني"، أو "النبطي" فلا أصل لهما في الفصيح . وبداتُنا يقسمون الشعر إلى نوعين :

١ ـــ الصحيح الأوزان، واللغة ويسمُّونه " القريض " .

٢ ـــ الشعر البدوي المختلف في لغتِه وأوزانه عن الشعر الفصيح

---

(١) انظر المصدر السابق .

والقريض، ويسمُّونه "الحميني".

هذا، ولمَّا عملت يدُ الزَّمنِ على محوِ الكثير من هـــذا الشعــر الطريف، قمتُ بطبع ما تجمَّعَ لديَّ منه، خشيةً من ضياعه، ورغبةً في تسجيلِه، وسدًا للفراغِ الملموس بموت حافظيه، وقد جـــاء في عِـــدَّة أجزاء قمتُ بضبطِه وَفْقَ نُطقِهم قدر الإمكان؛ وإن كان ذلك مخالفًا لرسمِ قواعد الإملاء والكتابة!" [١] .

كما عبَّر عن مجلة المجمعِ اللُّغوي بدمشق رئيسُ تحريرها؛ حيث ذكر ديوان "النَّبط" لخالد الفرج، وعرَّف به وبمؤلفه ثم قال : "ونشهدُ لوجه الله شهادةً خالصةً أننا قرأنا هذا الديوانَ من بابه إلى محرابـــه، وتحملنا في ذلك مشقةً كبيرةً، ولكنَّا لم نجد فيه شيئًا يتنعم به الفكـــر أو القلب، وقد تعجبنا كثيرًا من قول جامع الديوان في مقدمته "وبعد فلا بد لمن يدرس الأدب العربي وتأريخه وتطوراته أن يبدأ بدراســـة الأدب العامي في نجدٍ في الوقت الحاضر لأنه صورة صادقة على مـــا كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي " - لا والله - ، ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنَّه أدب التدهور . . وحرام أن يُشبَّه به شعر الجاهلية ، وحرام أكثر من ذلك أن يُطبع مثل هذا الزَّجل الغثّ

---

(١) انظر مقدمة " الأزهار النادية من أشعار البادية" لمحمد كمال (١/٩-١٠) .

للفخر . . فما أجد لطبعه إلا فضيلة واحدة : العلم به ، للحذرِ منه . إنه أدب العامة أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كلِّ قطرٍ ، و لم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللَّون من الأدب "[١].

وبعد هذه الأقوال الصريحة من أرباب، ودارسي، وعشَّاق "النبطي" نستطيع أن نقطع دون ترددٍ بأن الشعرَ "النبطي" من أبعدِ الأشياءِ عن تعريف الشعر العربي الفصيح، وقواعدِ النحوِ، وبحور الشعر، وغير ذلك ممَّا وضعه ورسمه أرباب اللغة، وفحول الشعر، وحماة الفصحى .

ولعلَّنا استعجلنا الحكمَ على الشعر "النبطي" قبل أن نقف مع تعريف كلمة "النبطي"، كي يكون الجوابُ صريحًا، والحكمُ صحيحًا.

فأقول إنَّ كلمةَ "النبطي" : نَبَطِي – بفتح النون والباء، وكسر الطاء بعدها ياء مشددة – وهذه التسمية هي نقطة الخلاف التي أدلى كلٌّ بدلِوه في تحقيق أصل مسمَّى "النبطي"[٢].

لذا كثرت الآراء حول سبب تسمية "النبطي" بِهذا الاسم نُجملُها في ثلاثة آراء :

---

(١) انظر "مجمع اللغة" بدمشق ( ٢/٣٠٤) .

(٢) انظر " الشعر النبطي " لطلال السعيد ص( ١٦-١٨)، باختصار .

١ ـــ يقال إنَّه سُمِّي "نبطيًا" نسبةً إلى أن أوَّلَ من قاله هم عربٌ يسكنون واديًا، اسمه "نَبَطَا"، أو "نَبَط "، وهذا الوادي يقع بناحية المدينة النبوية قرب حَوْراء التي بها مَعْدِنُ البِرام .

٢ ـــ يقال إنَّه "نبطيٌّ" نسبةً إلى جيلٍ قدموا من بلاد فارس من العرب المستعربة، ونزلوا بالبطائح بين العراقيين، يُعرفون بالأنباط، وهذا شعرهم .

يقال إنه "نبطيٌّ " لأنه استُنبِطَ بمعنى استحدث، أي : استُنبِط من الشِّعر العربي الفصيح .

يقول السعيد : " وبما أنَّ بعض قبائل العرب نزحت إلى الصحاري والقفار للبحث عن الكلاء، ومواقع القطر، ومنه أصبحت كل قبيلة تسير بمفردها، وتختار لها موقعًا جديدًا تقيم به ضَعُفت لغتُهم العربية، وبدأوا باستنباط لهجات قريبة من لغتهم الأصلية الفصحى لا تبتعد كثيرًا ولكنها تُدغم بعض الكلمات ، وتَنطق بعض الحروف بنغمة جديدة، وتُميز مخاطبة المذكر عن المؤنث ببعض الإضافات وبذلك ابتعدت عن قواعد النحو باللغة، ونظرًا لسهولة هذه اللهجات حيث أنها لا تُلزم المتكلم بقواعدِ النَّحو فقد انتشرت بين القبائل مع مرور الزمن، ومن هنا كان الشعر "النبطي" المستنبطُ

من الشعر العربي والذي يتخلف عنه فقط بعــــدم تمســك الشعــر "النبطي" بالقواعد النحوية، وإضافة بعض المفردات الدَّخيلة على اللغة العربية من جرَّاء انتشار اللهجة العامية ".

ويزيد السعيد تصريحًا عن "النبطي" بقوله : " . . ونلاحظ أن الشعر "النبطي" لا هو بالشعر العربي الفصيح، ولا هو ببعيد عنه فهو مشتق منه"!، كما مرَّ معنا آنفًا .

**قلت : أمّا القول الأول** فقد استبعده كثيرٌ من شعراء "النبط" ، وكذا الدَّارسون له؛ بدليل أن هؤلاء "النبطيين" الذين حَلّــوا ذلــك الوادي من هم؟، وإلى أيِّ عربٍ ينتسبون؟، ومن أميرهم ؟ .

وكذا لا يُعرف لهم شاعرٌ يُنسب إليه هذا الشعر، أو سواه وغير ذلك من التعليلات الوجيهة .

**أما القول الثاني** : فكان كالصَّاعقةِ على "النَّبطيـــين" ســواء المَعنِيين به، أو المُعْتَنين .

لذا نجدهم يَدْفَعون هذا القول عن قوسٍ واحدة؛ لأن القولَ بــه – أو حتى ذكره – فاجعةٌ لهم، وهادمٌ لِمَا بَنَوْهُ من أمجادٍ ودواويــنَ شعريةٍ تنوءُ بِها أولوا العُصبة ! .

فكان جِماع ردِّهم على صاحب هذا القول بما يلي[١] :

(١) انظر " الشعر النبطي " للسعيد ص ( ١٨ ) .

**أولاً** : أن الشعر "النبطي" ظهر أول ما ظهر بالجزيرة العربيـــة، والأنباط قدموا من بلاد فارس؛ فكيف يكون شعرهم وليس هنـــاك صلةٌ تُذكر بين قدوم الأنباط وظهور الشعر "النبطي" ؟ ! .

**ثانيًا** : وإذا كان هذا الشعرُ قدم معهم، أو ظهر بعد تَوَطُّنِـــهم، فأيْنَ شعرهمُ ؟، وأين ما وصلنا منه؟، حتى ولو قصيدةً واحدةً، أو بيتًا من قصيدة نبطية تُنسب إلى الأنباط ؟، ومن أهمِّ شعـــراء الأنبـــاط "النبطيين" ؟! .

بينما الشعر "النبطي" محفوظ حتى أول القصائد التي قيلت فيـــه وامتدادها حتى هذا العصر وينسب إلى شعراء الجزيرة العربية الذيـــن تنحدر أصولهم من الأصول العربية المعروفة، وأسماؤهم معروفة مـــن أشعارهم، ولا صلة لهم بالأنباط مطلقًا .

**ثالثًا** : المرجع التاريخي الوحيد الذي ذكر الشعر "النبطي" هـــو كتاب مقدمة ابن خلدون، و لم يَنسُب ابن خلدون الشعر "النبطـــي" للأنباط رغم أنه لم يغفل شاردة أو واردة إلاَ وذكرها؛ بل اكتفـــى بقوله : الشعر "النبطي" . . الخ .

**قلت** : إن هذه الإجابات التي لم يفتأ يذكرها "النبطيُّون" على القول : بأن الشعر "النبطي" أصله من أناسٍ نزحـــوا مـــن فـــارس واستوطنوا ضواحي العراق، الذين يُسمَّون بالأنباط .

إلاَّ أنه لي مع هذا التنديدات، والتعليلات التي قيلت بعض الوقفات لا أُريد منها ترجيحات ؛ اللَّهم إلاَّ نظرات وتصحيحات ، والله أعلم .

**أمَّا أولاً** : ليس هناك دليلٌ قطعي على ما ذهبتم إليه؛ بأن الشعر "النبطي" ظهر بالجزيرة العربية أولاً؛ سوى تخمينات وظنِّيات لا تُسمن ولا تغني من جوع ؛ بل غايةُ ما هناكَ أنَّ أولَ اكتشافٍ لقائل الشعر "النبطي" في الجزيرة كان قبل خمسة قرون أو نحوها، ليس إلاّ .

كما لو قيل – مثلاً – : إنَّ أوَّلَ رجلٍ أدخلَ "السَّيارةَ" في الجزيرة هو فلان، وكان ذلك منه عام كذا وكذا . .، فهذا ليس معناه ضرورةً أنَّ أولَ ظُهورٍ لِلسَّيارةِ كان في الجزيرة العربية ! .

كما أنَّه لا يلزم أنَّ ثمةَ صلةً تُذكرُ بين أصلِ السيارة، وظهورها في الجزيرة، فتأمل .

**أمَّا ثانيًا** : فلا يخفى أن القبائل العربية الأصلية كانت تُدخلِ فيها ما ليس منها؛ زيادةً في الكَثْرةِ، والنصرةِ، والجَوارِ . . الخ، سواءٌ كان هؤلاء الدُّخلاء – الموالي، والأحلاف – عربًا أو عجمًا .

فإذا سلَّمنا بِهذا المبدأ الذي دانت به العربُ تكيفًا لظروفها المشحونة بالخلافات القبلية، والنعرات العصبية – نستطيع حينئذٍ أن

نقول: لا يخفى أن اختلاط الأعاجم - الفرس أو غيرهم - بالعربِ الخُلّصِ سببٌ قويٌّ في انحراف ألسنتهم وفسادِ لُغتهم، الذي كان سببًا في انتشار اللّحن والرّكاكة . . كما أطبق على ذلك علماء اللغة، والمهتمُّون بدراسة اللُّغات، واللِّسانيَّات، واللّهجات .

ومع هذا؛ لا ننس - أيضًا - أنّ اللّحنَ الدَّارجَ على ألسنة أعراب البادية واضحٌ بَيِّنٌ؛ حتى تكاد تجزم - أحيانًا - أنّ لِسانَهم ليس عربيًا لولا استيطانُهم الجزيرة، وأنسابُهم عربية ! .

وهذا دليلٌ كبيرٌ - والله أعلم - على أنّ القوم - الأعراب - قد تأثروا باللّهجات المُوَلَّدةِ نتيجةَ اختلاطهم بالعجَمِ سواء عن طريق الهِجرةِ الباحثةِ عن الكلأ والماءِ أو غير ذلك من الأسباب .

كما لا ننس أنّ الفرسَ آنذاك كانوا أهل حضارةٍ وعلمٍ خلافًا لسكانِ البادية، وهذا ممّا يؤكد أنّ الجاهلَ أكثرُ تأثرًا بمن هو أحسن منه علمًا ، ومنه دَرجَ الأعراب في ترويض لِسانهم على أوزان أشعار الفرس[1]، وهكذا حتى أدخلوا على أشعارهم كلمات ملحونةً ركيكةً ما كان لها أن تدخل أو تنتشر بينهم، إلاّ إذا أيقنّا أنّ ثمّة لسانًا غريبًا قد دلَفَ عليهم، وأفسد عليهم فصاحةَ ألسنتهم .

(١) وممّن صرّح بذلك خالد الفرج، ومحمد سعيد كمال، والموسوعة العربية العالمية كما سيأتي بيانه قريبًا - إن شاء الله - .

وقد أفصحت الموسوعة العربية بأنَّ الشعر "النبطي" قد خرج عن سَنَنِ العرب في كلامِهم؛ كما في قولها: " الشعر النبطي . شعرٌ عربيٌ ملحونٌ، خرج على سَنَنِ العرب في كلامهم، حافلٌ بالأصوات، والمفردات، والتراكيب الشعبية الدَّارجة . وهو أشهر أنواع الشعر غير الفصيح وأكثره انتشاراً في شمال الجزيرة وعلى ألسنة سكانِها. وقد سُمِّي بالنَّبطي تشبيهًا له بكلامِ النَّبط لخروجه عن سنن العربية فكأنه كلامُ النَّبط الذي يلحنون به، ولا يقيمون إعرابه " .

وقالوا – أيضًا – : " ويظهر أنَّ التسميةَ بدأت في الجهة الشمالية المجاورة للعراق لقُربِها من الأنباط وبدأت تعرف؛ لانتشار الشعر بسرعة"[(١)] .

وقال الجاحظ : " . . ولو عَلِقَ ذلك لغةَ أهلِ البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس ، وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه، إذ كان أهلُ الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَّبط، وأقصى بلاد العرب "[(٢)] .

وإنِّي لا أتجاوز الحقيقة إذا قلتُ : إنَّ الفسادَ اللُّغوي الطارئ على ألسنة الأعراب ليس بالهيِّنِ القريب كما يظُنُّه عشَّاق " النبطي "؛ بل يعتبر نقلةً كبيرةً خطيرةً تخالف أصل لسانِهم العربي الفصيح ؛ هذا

---

(١) انظر "الموسوعة العربية العالمية " ( ١٤/١٥٥-١٥٦) .

(٢) انظر " البيان والتَّبيين " للجاحظ ( ١/١٩ ) .

إذا علمنا أنَّ الشعرَ "النبطي" ابنُ خمسةِ قرونٍ كما يدَّعيه "النبطيُّون"!، فهذا كلُّه ممَّا يثيرُ الشَّكَّ، والرَّيبَ معًا ! .

فخمسةُ قرونٍ ليست كافيةً عند علماء اللغة واللسان بأن تَطمسَ وتُغيِّرَ أُسُسَ وأصولَ اللغة العربية الفصيحة، وتفسدَ على أهل اللِّسان لسانِهم، إن هذا لشيءٌ عجاب ! .

ويبيِّنُ ذلك على أقل تقدير أن نقول - على استحياء - : ما الفرق حينئذٍ بين أقوال بعض الأعاجم الوافدين إلى الجزيرة العربية هذه الأيام وبين أكثر كلام "النَّبطيين" من حيث الرَّكاكةِ ، واللَّحنِ ، والتَّكسيرِ فمثلاً : قول الأعجمي : " إنتَ فِي أَنا ما فِي، وصَدِيقْ فَيْنْ رُوه، كُلّْ نفرْ ما في". . الخ .

وبين قول النبطي : " بتْقِلِّي وَاقُلَّك ، وَهَرْجَةْ قَفَا، إلِّي يَا ، مَا هُوبْ، سَاعفت ، دَوَّرْتَلَّه، بِيقُول، نبي . . الخ، وغير ذلك ممَّا تمجُّهُ الأذان، وتلفظُهُ الأذواق، وترفِضُهُ اللُّغة، ويَنبذُهُ اللِّسان[1] .

إنَّ الفرقَ بين هذه الأقوال وبين ما هو فصيح صحيح تَكلُّفٌ وتَعسُّفٌ؛ هذا إذا نظرنا إلى اللَّحن في الإعراب، والمعنى والمبنى،

---

(١) وقد جمعتُ من كتابِ " الأزهار النادية" الجزء الأول، لمحمد سعيد كمال، و"الشوارد" القسم الثالث المختص بالشعر "النبطي" لعبد الله بن خميس كلماتٍ كثيرة حمل بعير لا تقبلها لغةٌ، ولا يرضاها لسانٌ، ولا يقبلها ذوقٌ . . والله المستعان على ما يصفون ! .

والنُّطقِ والسَّماع، والإملاء والكتابة. . إلخ .

فكلُّ دليلٍ يعتذرُ به "النَّبطيُّون" عن اللَّحن الواقع في شعرهـــــم؛ فهو – أيضًا – دليلٌ للأعاجم في اعتذارهم عن فساد لسانِهم بطريق القياس والأولى، ومن فرَّق بينهما فقد فرَّق بين المتماثلات، وخـــرجَ عن جادَّة النَّصَفَة .

عذرًا ؛ إذا قارنت بين هذا وذاك ؛ لكنَّنا بقدر احترامنا لإخواننا "النَّبطيين" لا نرضى بلغتنا مكروهًا، ولا نُماثل لمكانتها واحترامـــــها أحدًا أيًا كان .

فلغتُنا العربية محفوظةٌ مدوَّنةٌ محروسةٌ في المعاجمِ وكتـــبِ الأدب التي لم يكن لها أن تَتغيَّر هذا التَّغير الخطير الفـــاحش بـــين عشيـــةٍ وضُحاها دون دخيلٍ ثقيلٍ، وجسمٍ غريبٍ قد نَخَر فيها ! .

وبعد هذا نقطع بلا تردُّدٍ أنَّ الأعاجمَ قد سرى فسادُ لسانِهم، وعَلِقَ بألسنة أهل الجزيرة –حاضرةً وباديةً– .

ويصدِّق ما ذكرناه محمد سعيد كمال بقوله : " . . ثمَّ في أوائل القرن الخامس، ظهر في البادية اللَّحنُ، وفشا الانحراف بـــــاضطراب الفتن، واستعجام الدولة، وغلبة العامية، وانقطاع حاجة العلمـــاء إلى عربيتهم الفطرية ودروس معاهد الرواية، وفشو الاختلاف بين العرب وعامة الأمصار وخاصة في الحجازيين حيث يختلف الحجيج إليهم من

جميع الآفاق ، ويخبرنا الجاحظ بأن أقبح اللَّحنِ في زمنه لحنُ الأعارب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق، ومن هنا دَبَّ الفسادُ في ألسنتهم بما يدور على مسامعهم من رطانةِ السوق ولحنِ البدويين، ثمَّ ما يتعاطونه من هذا الشأن في مخاطبتهم التي بِها قوام المعاملات حتى شاعت اللغة العامية واختلفت لهجاتها اختلافًا بيِّنًا، ونَهجت في كلِّ قطرٍ منهجًا متميزًا يرجع في جملته إلى أهم هذه الأسباب :

١-تنوُّعُ المنطقِ واختلاف كيفية النطق باللفظ .

٢- علل الوراثة وطبيعة الإقليم .

٣- الإغراق في العجمة .

٤- مخاطبة الأعاجم .

هذا وقد بقيت عامية البدو أقرب إلى الفصيح من سائر اللّهجات لقلة مخالطتهم للأعاجم لكنَّها لما تعطلت ألسنتهم من الإعراب تصرفت في الكلام على غير نظام، واختلفت من ثم لهجاتُهم، وصارت تختلف في القطر الواحد في البلدين المتجاورين، كما نراه بين ثقيفٍ وهذيلٍ سكان الشفا ؛ بل وبين قبيلة عُتيبة سكان الحجاز، وعُتيبة سكان نجد، وبين غامدٍ وزهران، وبين بني مالكٍ وقبائلَ عسير، وبين شَمَّر والعُجمان ، وبين مِطير وبني مرَّة ، فإن كلَّ

قبيلةٍ من هذه لها لهجتها الخاصة التي تتميز بِها، حتى كـــأن كــلام الواحد منهم انتساب صريح لقبيلته "[١] .

وقد أشار عبد الله بن خميس إلى ذلك بقوله : " فهذه العُجمـــةُ التي تسرَّبت إلى موطنِها، واكتنفت حدودَها خليطٌ من لغاتٍ شتَّـــى أخذ كلٌّ طرفٍ من الوطنِ العربي بما مازجه وتَشَرَّب بـــه، ووَرِثــه الخلفُ عن السلفِ، ومن ثَمَّ فُقدَت الوَحْدَةُ التي تجمعُ اللِّسانَ العــربي بالنسبة إلى سواد الناس، ودهمائهم وأصبح النَّجدي لا يفــهم عــن العُماني - بضم العين - إلا القليل. . "[٢] .

أمَّا إذا سألت عن أصلِ اللُّغة العربية فهي الجزيرة العربية أصـــلاً وفصلاً بغضِ النَّظر عن المنتسبين إليها، فسبحان من غَيَّرَ ألسنة أهلها هذا التَّغير الفاحش خلال خمسة قرون ! .

فهل إذا قال قائلٌ بعد هذا : أنا عربيٌ من أصل الجزيرة؛ لكـــنَّ لساني ملحونٌ ركيكٌ مُكَسَّرٌ، نقوم حينئذٍ بكلِّ سذاجةٍ نعتذر لهـــذه الركاكةِ واللَّحنِ؛ ولربَّما نتطاولُ على معاجم اللغة، ونَثْني أصولَـــها احترامًا لمشاعرِ هذا العربي دونما احترامٍ لِلغتِنا الفصحى، إنها لإحدى الكُبر، إنَّها ترمي بشَرَرٍ كالقصر، إنَّها معركةٌ تدفعُ بلغتِنا إلى القبر ! .

---

(١) انظر مقدمة " الأزهار النادية" لمحمد سعيد كمال ( ١/٥-٦ ) .

(٢) انظر " الأدب الشعبي في جزيرة العرب" عبد الله الخميس ص (٤٧) .

فكان الأولى؛ إن كان ولا بدَّ - جـــدلاً - أنْ نُـــهملَ كـــلَّ شيءٍ،ونعتذر لكلِّ غريب، ونتنازل عمَّا نريد ... فذاك !؛ سوى اللُّغةِ العربيةِ التي أصبحت بين أهلها وفي مهدها يتيمـــةً غريبـــةً دون أبٍ حنون، أو أخٍ حميم، أو صديقٍ حليم ! .

**أمَّا ثالثًا** : فكونُ ابن خلدون - رحمه الله - هو أوَّل من ذكـــر الشعر "النبطي" في مقدمة تاريخه ، وأنه لم ينسب الشعر " النبطـــي " إلى الأنباط ، ليس صوابًا ، فابن خلدون مسبوقٌ إلى هذه الفـــائدة ، فقد سبقه إلى هذا صفي الدين الحلي ( ٧٥٠هـــ) .

وفيما ذكراه - أيضًا - ليس تصريحًا بأنَّ الشعر "النبطي" كان موجودًا كما يزعم النبطيون؛ بل غاية ما ذكراه أسماء لبعض الشعـــر غير الفصيح ممَّا هو غير معروف في زمانِهما، فتأمل .

تقول الموسوعة العربية : " وقد انتشر هذا النوعُ من الشعـــر - "النبطي" - في الجزيرة العربية منذ قرون بعيدة، وبدأ نظمه على ألسنة الشعراء البارعين في جميع الأحوال .

وإذا كان صفيُّ الـــدِّين الحلي (٧٥٠ هـــ) وابـــن خلـــدون (٨٠٨هـــ) وقد ذكرا أنواعًا من الشعر غير الفصيح، وذكرا أسماء ما كان معروفًا في زمانِهما فإنَّ النبطي تســـمية حادثـــة بعدهمـــا، و لم

يذكراها فيما ذكرا من الأسماء "[١] .

لاسيما أنَّ ذكر ابن خلدون للشعر "النبطي"، أو كما سمَّاه "العامي" محلُّ نظرٍ لعلمنا أنَّه ابنُ المغرب التي تبعدُ بُعدًا كبيرًا عن الجزيرة العربية ولسانِها ، فكان هذا منه على أقل تقدير إخبارٌ عن شعر البربر آنذاك ، فكيف بعد هذا نَقيسُ أشعار العرب الخُلَّص على أشعارِ العُلُوج ؟، ثمَّ بعد هذا أيضًا كيف نَقيسُ أشعار أهل الجزيرة على زواقيل الجزيرة[٢] ؟ ! .

لذا نجده يُكثر من ذكرِ أشعار وكلام البربر؛ وربَّما قَرنَ ذكرهم وتراثهم ولسانَهم مع العربِ . . وهكذا ! .

أمَّا قولُكم أن ابن خلدون لم يغفل في تأريخه عن كلِّ شاردةٍ وواردةٍ فهذا من فرطِ جهلكم ، أو فرطِ حُبِّكم لـ "النبطي" لأنَّ من قرأ مقدمته في التأريخ يُدرك هذا الغُلُوَّ المسرِفَ في تقديس كلام ابن خلدون، وما أظنُّ هذا الغلو إلاَّ بدافع النصرة للشعر "النبطي"، ولكن هيهات؛ فليس لأذواق المحبين في مباحث المسائل العلمية حظٌّ ؛ أو نصيبٌ .

---

(١) انظر "الموسوعة العربية العالمية " ( ١٤/١٥٦) .

(٢) العُلُوج : هم بقايا عجم الشأم، والزواقيل : هم بقايا عجم الجزيرة . انظر "أباطيلٌ وأسمارٌ" لشيخ العربية بلا مدافع ص (٨٣/١) .

ثم إنَّنا بعد هذا كلِّه نجد جملةً كبيرةً من كتب المعاجم اللُّغوية قد قرَّبت لنا الشُّقة، ومهَّدت الطريق، وكشفت حقيقة معنى كلمة "النبطي" دون تكلُّفٍ وتعسُّفٍ ممَّن يَجْهدُ نفسَه في التَّحَكُّمِ وإصدارِ الأحكام بلا بيِّنةٍ أو بُرهان .

فدوننا كتب المعاجم التي كادت تُجْمِعَ على أنَّ كلمة "النبطي": هم أُناسٌ من العجم نزلوا واستوطنوا العراق .

قال صاحب اللسان : " النَّبِيط والنَّبَط كالحَبِيشِ والحَبَشِ في التقدير :جيلٌ ينْزلون السواد ، وفي المحكم :ينْزلون سواد العراق ، وهم الأنباط ، والنسب إليهم نبطي ، وفي الصحاح : يترلون بالبطائح بين العراقين "[١].

وقال ابن السمعاني :" النبطي . . هذه نسبة إلى النَّبط، وهم قومٌ من العجم . والمنتسب إليهم مقاتل بن حنَّان النَّبَطي" [٢] .

وما ذهب إليه صاحب اللسان وابن السمعاني هو ما اتفق عليه أرباب اللسان في الجملة .

وهذا – أيضًا – ما ذكرته الموسوعة العربية آنفًا : " وهو أشهر أنواع الشعر – "النبطي" – غير الفصيح وأكثره انتشارًا في شمالِ

(١) انظر " لسان العرب " لابن منظور ( ٢٢/١٤) ( نبط ) .
(٢) انظر "الأنساب" للسمعاني (٤٥٤/٥)، نِسبة "النبطي" .

الجزيرة وعلى ألسنةِ سكانها . وقد سُمِّي بالنَّبطي تشبيهًا له بكـــلام النَّبطِ لخروجه عن سَنَنِ العربية فكأنه كلامُ النَّبط الذي يَلحَنون بـــه ولا يقيمون إعرابه "[١] .

وبعد أن قامتْ سوقُ المعاجم العربية في معنى "النبطـــي" دون وكسٍ ولا شططٍ؛ هل يستطيع أحدٌ أن يقولَ باطِّراح مـــا ســـطرته معاجمُ اللُّغة، ويستنكفَ حينئذٍ عن تعريفاتِـــها لـــ "النبطـــي" ثم يستكينَ ويركنَ إلى تعريفات عشاق "النبطي"، وهواة العامية ! .

فإنه يعزُّ علينا كما يصعبُ؛ أن نتجاوز ما عرَّفته المعاجم اللُّغوية إلى ما سواه؛ لذا يكون في أقلِّ أحوالِ احترامنا لتلكم المعاجم – وهو كذلك – أن نُسلِّمَ ونقطعَ بأنَّ الشعر "النبطي" : هو مـــن مخلَّفـــات الأعاجم، وشقشقات الزواقيل ! .

**أمَّا القول الثالث** : وهو أنَّ الأعرابَ استنبطوا شعرَهم من اللُّغة العربية فهيهات !.

فمنِ المعلوم لدى صغارِ طلبة العلم أنَّ الاستنباطَ وظيفةُ أهـــل الاجتهاد الذين بَلغوا في فنِّهم وعلمهم شأوًا عظيمًا يشفـــع لهـــم في أن يستنبطوا ما يمكن استنباطه؛ علمًا أنَّه ليس لأحدٍ – أيًا كان – أن يستنبط كلامًا عربيًا ؛ خصوصًا بعد القرون الأربعة الأولى ، إلاَّ أسماء

(١) انظر "الموسوعة العربية العالمية " ( ١٤/١٥٥-١٥٦) .

المخترعات، والآلات وغيرها، وذلك بمعرفة المختصين في المجامع اللغوية ! .

وهذا منهم بعد معرفة أمرين، وهما بإيجاز :

**الأول** : أن يكون لهم معرفةٌ كافيةٌ، وعلمٌ كبيرٌ بأصل اللغةِ العربيةِ من حيث الألفاظ السَّماعية، والقياسية ... الخ، وهذا هو الأصل الذي يستنبطون منه .

**الثاني** : أن يكون لهم علمٌ كبيرٌ بالوسائلِ التي تُعينهم على الاستنباط مثل الصَّرفِ، والقواعد النحويةِ . . الخ .

فإذا عُلم هذان الأمران، كان لنا سؤال :

**فأقول** : هل أعرابُ البادية، ورعاةُ الإبل يدركون أو يحسنون شيئًا ممَّا ذكر ؟! .

**الجواب** : لا .

وقد صدق "النبطيون" حينما قال السعيد : " إن الشعر "النبطي" لا هو بالشِّعر العربي الفصيح، ولا هو ببعيد عنه، فهو مشتق منه"[1]!، فهذا التناقض البيِّن عند السعيد وغيره ممَّا يؤكد لنا بأن أصحاب الشعر "النبطي" أبعد ما يكونون عن وظيفة الاجتهاد والاستنباط .

---

(١) انظر " الشعر النبطي " لطلال السعيد ص (١٩) .

وكذا ما قاله الأستاذ عبد الله بن خميس : ". . ينفرد هذا الشعر - "النبطي" - بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح، ونظرًا لأنه لم تُقعَّد له قواعد، ولم تُوضع فيه دراسات يُفهم على ضوئها، وقد جانب كثيرًا من قواعد اللغة العربية واصطلاحاتها نحويةً كانت أم صرفيةً أم إملائيةً أم عَروضيةً .

لذا فإنه من العسير على الدَّارس لهذا الشعر وهو بعيدٌ عن بيئته ومحيطه أن يركزَ فَهمه فيه، أو يخرج بكبير فائدة ما لم يؤده الأداء الصحيح بلهجته الخاصة به؛ ومن ثمَّ يتذوقه ويتأثر به . .! .

ثمَّ يقول - أيضًا - : ولا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة فتسلط العوامل على معمولاتِها ، وتحاول الرفع أو النصب أو الجر أو السكون بالعلامات الأصلية أو الفرعية . . إلخ " (١) .

فهذه الأقوال تُعدُّ أكبر دليلٍ على بعد الشعر "النبطي" عن جادة اللغة الفصحى، وطرائق الاستنباط .

**الخلاصة :**

وبعد هذه الإطالة - التي ما كنا نريدها - تكون الإجابة في أقل أحوالها أن كلمة "النبطي" فيها اختلافٌ لا يستطيع أحدٌ أن يقطع

---

(١) انظر " الأدب الشعبي " لعبد الله بن خميس ص ( ٨١ ) .

بترجيح قولٍ على الآخر دون دليلٍ سالمٍ من المعارض، والله أعلم.

ومن خلال هذه النتيجة نَخْلَصُ إلى تعريفِ الشعر "النبطي" بأنه: كلامٌ ملحونٌ ركيكٌ عاميٌ لا يتقيدُ بالإعرابِ، والإمـــلاءِ، وقواعـــدِ الشعر الفصيح . .؛ بل هو إلى العجمةِ أقرب منه إلى الفصحى .

لذا نجد آراء "النبطيين" قد اختلفت في تسميته، فمـــن هـــذه الأسماء[١]:

١ــ الشعر "النبطي"، وهذا أشهرها في الجزيرة العربية .

٢ــ الشعر العامي .

٣ــ الشعر البدوي .

٤ــ الشعر الشعبي، وهذا له شـــهرةٌ - أيضًـــا - في الوقـــت الحاضر .

٥ــ الشعر الملحون .

٦ــ الشعر الحميني . . هذا إذا سلمنا لأصحاب هذه الأقـــوال بأنه شعرٌ، أما وقد مرَّ معنا تعريف الشعر الاصطلاحي عند أربابـــه وأهله؛ ففيما ذكروه إذًا نظر ! .

---

(١) انظر " الموسوعة العربية" ( ١٥٧/١٤)، و "الأزهار النادية" لمحمد كمـــال ( ١٠/١)، و"الشعر النبطي " للسعيد ص (١٥) .

# الفصل الثاني

# تأريخُ الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية

مرَّت الجزيرة بعصورٍ تعاقبت عليها أشبهت عصور ما قبل الإسلام؛ وبَعُدَ الناس عن اللغة العربية، وعادت حياهم في أغلب قيمها ومفاهيمها إلى ما يشبه حياة العرب في الجاهلية ؛ لولا تمسكهم بُعرى الإسلام على ما في ذلك من جهل وبُعدٍ عن حقيقة الدين الصحيح، ومنذ القرن الحادي عشر وما بعده ثارت الفتنُ الداخليةُ بينهم ، وعادت الحروب كما كانت في عهدها الأول، وأصبح مجتمع الجزيرة العربية قبيلةً تحارب قبيلةً، وقريةً تصول على قريةٍ [(١)] .

وبما أن العربَ أمةٌ شاعرةٌ لا تترك الشعر؛ حتى تترك الإبل الحنين[(٢)]، وقد حالت الأُميَّةُ، والعاميةُ دون مجال القول الصحيح الفصيح؛ فقال الناسُ شعرَهم بلغتهم الدَّارجة، وصوَّرَ الشعراءُ بعاميتهم فضائلَ هذا المجتمع ومكارم أخلاقه من كرمٍ، وجودٍ . .؛ إلاَّ

(١) انظر "الأخبار النجدية" لمحمد بن عمر الفاخوري، تحقيق عبد الله الشبل ص(٩١ )، في مواضع كثيرة، و"عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر ، بتصرف.

(٢) الشِّعرُ طبيعةٌ في نفس المرء، والعرب الذين عبَّروا عن وجدانهم بالشعر العامي كانوا لا يعرفون غيره، ولم يكن لهم وسيلةٌ للتعبير عن واقع حياتِهم غيرَ العاميَّة لبعدهم عن التعليم.

أنَّهم مع هذه الشاعرية البريئة لا يحسنون، ولا يجيدون القدرة على التعبير ؛ إلا فيما يعرفون من عاميَّة ، فقال الشعراء شعرًا جميلاً صادقًا بالعامية لأنَّهم عَبَّروا عن لواعج صدورِهم، وزفرات وجدانِهم فانتشر شعر "النَّبط" ببوادي الحجاز انتشاراً واسعًا، وانتقل إلى وسط الجزيرة، وأطرافها، وكَثُرَ في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر الهجريين كثرةً مُفرطةً؛ حتى أنَّك تكاد لا تصدِّق أنَّ هذه الجزيرة كانت يومًا موطنًا، وموئلاً للعربِ القحاحِ الخُلَّصِ؛ الذين حفظ التأريخ يومًا لنا شعرَهم، ونثرَهم الفصيح ! .

وعندما جمعَ الله شملَ الأمة، ووَحَّدَ أكثرَ أجزاء الجزيرة العربية في دولة واحدة، وأخمدت الفتن، عند ذلك أصبح الشعر "النبطي" ماضيًا انتهى دورُه البُطولي، وانتهى الاهتمام به ولكنَّه بقي صورة يعكس الماضي الذي ولَّى بلا رجعة وغير مأسوف عليه.

وكان عامةُ السكان في المملكة عند بداية تكوينها أُميِّين، وعندما استقرت الأمور ، واستتب الأمن ، واجتمعت الكلمة ظهرت بوادر التعليم، وانتشرت دُورُ العلمِ، واتجه النَّاسُ إلى منبعِ اللُّغة الصافي، وبقي الماضي القريب عَالقًا في الأذهان ولا سيما أنَّ الكثير من السكان أنصافُ المتعلمين يحفظون الشعر "النبطي" ويَرْوُونَه فأصبح يشكِّلُ مرحلةً منفصلةً عن حاضرها أو كادت، وظهرت في

مصر الدعوة إلى العامية والاهتمام بالتراث العامي فكانت إحياءً غير مُدْرَكٍ صداه فزامنها اهتمام بعض الأدباء من وسط الجزيرة بجمع الشعر "النبطي" ونشره وظهرت في الأفق بوادرُ الاتجاه إلى جمعه وتدوينه[١] .

دونك أخي المسلم الأطوار الزمنية لبداية وجمع الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية متمثّلةً في اهتمامات بعض الأدباء، والمهتمِّين بالشعر "النبطي" .

كان أوَّلُ من فعل ذلك خالدُ الفرج الذي قام بنشر أول ديوانٍ في الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية وذلك عام ( ١٣٣٩هـ )[٢] .

والديوان الذي قام بنشره هو ديوانُ ابنِ عمِّه عبد الله الفرج، وكان خالد الفرج ذا صلةٍ بالهند، وممَّن عمل فيها [٣]، ومثله كان ابنُ عمِّه عبدُ الله الفرج صاحب الديوان [٤] ، وكانت بريطانيا تحكم الهندَ

(١) انظر مقدمة خالد الفرج لديوان ابن عمه عبد الله الفرج الذي نشر عام ( ١٣٧٣هـ).

(٢) انظر مقدمة"ديوان النبط " لخالد الفرج .

(٣) انظر " الجزيرة " عدد ( ٤٤٧٢)، في (٤/٤/ ١٤٠٥هـ) . بقلم حمد الجاسر عن خالد الفرج.

(٤) وقد وصفه خالد الفرج في مقدمة "ديوان النبط"، المنشور سنة ( ١٣٧٢هـ ) : بأنه أدخل على الشعر "النبطي" كثيرًا من التجديد فأوجد أوزانًا اقتبسها من الشعر الهندي، وموشحات، ولإتقانه صناعة الموسيقى استخلص مزيجًا من الألحان الحضرمية المشوبة بالألحان السودانية ومزجها بالأنغام الهندية، وغنَّى بِها على العودِ والكمان، وهي هذه

في ذلك الوقت؛ وكلُّنا يعرف دورَها في سبيل نشر العاميةِ في مصرَ والبلادِ العربيةِ الأخرى، وجهودَها في محاولةِ زحزحةِ الفصحى من مكانها أمام مَدِّ اللَّهجاتِ العامية المحلية .

وفي الوقت نفسه كان الشيخُ محمدُ بنُ عبد الله بن بليهد يَتَتَبَّع ما في الجزيرة من أخبار الأماكن والآثار، وكان ذا معرفةٍ بها؛ عرف الجزيرة وجالَ في أنحائها إبَّان الاضطراب والتنازع السياسي[1]، وكان شاعرًا في العاميةِ في أوَّلِ حياته، ثمَّ أحسنَ الفصيحَ بعد أن استوطن الحجازَ وأنزله منْزلة العامي، وقد غلبَ اعتناؤه بالفصيحِ على العاميةِ وشعرِها الذي كان ينشدُه في بعض الأوقات .

فجمع ابنُ بليهد شيئًا من الشعر "النبطي"، وضمَّنه ديوانَه "ابتسامات الأيام" الذي طُبع على نفقةِ ابن سليمان الخاصة عام (١٣٧١هـ) .

وكذلك استشهد في كتابه "صحيح الأخبار عمَّا في بلاد العرب من الآثار" بشيءٍ من الشعر "النبطي" .

---

الأنغام الكويتية المنتشرة في الخليج، ولا تزال الإذاعات تردِّدها كلَّ حين !، قلتُ : إنَّ هذه الشهادةَ من خالد الفرج تعدُّ من أكبرِ الأدلَّةِ على فسادِ الشعرِ "النبطي" الذي كان وليدَ أخلاطٍ من الألحان والأوزان الهندية الحضرمية الفارسية !! .

(١) انظر"صحيح الأخبار عمَّا في بلاد العرب من الآثار" لابن بليهد ( ٢/١٠٤ ) .

والحقيقة التي يُدركها الباحث أنَّ غرضَ ابن بليهد مــن ذكــر الشعر "النبطي" في كتاباتِه كان غرضًا علميًا هو : ذكر أسماء المنازل والديار في الجزيرة، حيث لاحظ أنَّ بعض أسماء المواقع قد تُبَدَّل وتُغيَّر أو تُكرَّر في مواضعَ كثيرةٍ، وذكر اسم الموضع في الشعر "النبطي" فأخذ النَّص وأورده شاهدًا على ما يذهب إليه كما أشار إلى مــا أصــاب أسْماء الأماكن من تبدُّلٍ وتحوُّلٍ معتمدًا على أبيات من العامية[١] .

أمَّا ديوانه "ابتسامات الأيام" فهو شعرُه هو لأنَّه كما ســبق أن ذكرنا كان يقول الشعر "النبطي" قبل أن يقولَ الشعــر الفصيــح، وعندما جمع شعرَه العربي الفصيح وشَّحَه بشيءٍ من شعرِه "النبطــي" وهو قليلٌ لا يقاسُ بالفصيح لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أنه نظــم "النبطي" وهو في الثانية عشرة من عمره[٢]، وتأخر كثــيرًا قبــل أن ينظمَ الفصيحَ، ومع هذا فقد جمع شعرَه الفصيحَ و لم يجمع من العامي إلاّ نماذجَ قليلةً .

فإذا عُلم أنَّ ابن بليهد اختار الشعر "النبطي" في كتاباته لحفــظ ما سلف من الآثار، و لم يجعل منه قضيةً قائمةً بالتدريس، والتأصيل ، والتقنين، كما هو شأن محبي "النبطي" هذه الأيام، فإننا مع هذا نجــدُ

(١) انظر مثال ذلك في كتاب "صحيح الأخبار" لابن بليهد ( ٢٧٢/٣ ) .

(٢) انظر "محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية" لمحمد بن سعد بن حسين ( ٣٣٤/١) .

شعراء - أيضًا - كانوا قبل ابن بليهد، وممَّن عاصروه قد أهملوا الشعر "النبطي"، ولم يُعيرُوه اهتمامًا، ولم ينشروه .

فمن هؤلاء على سبيل المثال الشاعر الكبير: محمد بن عثيمين[١] .

وكذا الشاعر المبدع : حسين سرحان [٢] وغيرهما؛ لأنَّهم كانوا يقولون الشعر "النبطي" للتَّفكُّهِ، والمسامرة، ولا يرضون أن ينسب إليهم شيء منه لأنَّهم يعرفون قيمةَ الشعر "النبطي" قيمةً وقتيةً، وروايته شفهية، وليس من أهدافهم تدوينه أو كتابته .

* * *

(١) ذكر محققُ الديوان : أنه تعاطى القريضَ باللُّغة العاميةِ، وكان يُسامر الشعراءَ العوامَ، ولم يَنظمْ بالشعرِ الفصيحِ حتى بلغَ الخمسين من العمر .

(٢) انظر ديوان حسين سرحان " أجنحة بلا ريش "، و" الطائر الغريب "، ولم يضمنهما شيئًا من شعرِه العامي . انظر " الفصحى ..." لمرزوق ص ( ٦١-٦٤ ) .

# الفصل الثالث

## بدايةُ الاهتمامِ بالشِّعرِ "النَّبطي" في الجزيرة العربية

مِمَّا سبق نستطيع القول بأن الاهتمام بجمع الشعر "النبطي" كان مبادرات فردية من المعجبين به، أو من الشعراء المُبدعين أنفسهم؛ إلاَّ أنَّ البحثَ ساق إلى أنَّ هناك اهتمامًا مُنظَّمًا وأن هناك شخصيةً كبيرةً تقفُ وراء نشرِ الشعر "النبطي"، وتَهتم به، وهي شخصية الوزير : عبد الله بن سليمان آل حمدان .

والوزير: عبد الله بن سليمان نفسه كان قد بدأ حياتَه العمليةَ في الهند، وكان مِمَّن يعيش في كنفِ ابنِ فوزان رئيسِ تجارِ العرب هناك[1]، كما أنَّ ثَمَّةَ اتصالاً كان له بخالد الفرج الذي كانت له مطبعةٌ، واهتمامٌ بالشعر "النبطي" كما سبق آنفا .

وعندما تولى عبد الله بن سليمان الإشراف على الشئون المالية في الحجاز دعا خالد الفرج إلى جوارِه بمكة، واستقرَّ فيها، وطلب منه القيام بطبع ونشر الشعر "النبطي" في (١٣٧١هـ) .

وقد سبق تكليفَ خالد الفرج هذا جمعٌ للشعر "النبطي" في

(١) انظر"حديث حول الشعر العامي" لحمد الجاسر، الجزيرة عدد ( ٤٤٧٢ )، في (١٤٠٥/٤/٤هـ) .

وسط الجزيرة تحت إشراف ابن بليهد حيث أمر ابنُ سليمان الباحثين بحصر الشعر "النبطي" وجمعه واستعان الباحثون بحفّاظِ هذا الشعر ورواته ، ونقلوا ما كان يعرفه هؤلاء الحُفّاظ ، واستدعي بعض هؤلاء الرُّواةِ من موطنه لِيقيم أيامًا في مقر الجمَّاع الذين أرسلهم ابن سليمان حتى يفرِّغوا محفوظاتِهم في سجلات تُرسلُ إليه تبَاعًا ليأمر بإرسالها، وتزويد المؤلف بِها لتستمرَّ حركة النشر والطبع للتراث العامي .

وقد حدد ابنُ سليمان لابن بليهد أربعين شاعرًا أمره بجمع شعرِهم وقال له : " إنِّي سأمدك بما أستطيع الوصول إليه من هذا التراث، وعليك ترتيبه، وشرح كلماتِه، وترجمة شعرائه، والإشراف على طبعه وتصحيحه ، وبالفعل فقد نَهض ابن بليهد بذلك في فترات الربيع التي يستقرُّ فيها في " الشَّعْراء " فاستعان ابن بليهد بزائريه بحكم صلاتِه القوية إضافةً إلى خبرته بِهذا الأدب ومحفوظاته الكثيرة ، وكان ممَّن جمع محفوظهم من هذا الشعر؛ الشاعر الرَّاوية المعروف ابن عويويد وكتب منه كلَّ ما لديه من شعر ابن سبيل، ورواكان بن حثلين وغيرهما .

وكذا عبد العزيز بن عبود بن فايز المعروف بلقبه "رضا" . .

فمكث عنده في "الشَّعْراء " أسبوعاً أكمل فيه بقية شعر ابن سبيل، كما أخذ ابن بليهد عن آخرين .

وبعد أن اكتمل السجل أخذه ابن بليهد إلى مكة، وأعطاه ابن سليمان الذي أوصله إلى خالد الفرج، وكان هذا العملُ فاتحةَ الطريقِ إلى جمعِ هذا التراث "[١] .

أوَّلُ ما يلفت النظر؛ اختيارُ ابن سليمان لأربعين شاعرًا من شعراء العامية، العدد الذي بنى عليه محمد بن سلام الجُمَحي طبقات كتابه " فحول الشعراء " ! .

وقد شرع المؤلفُ بنشر هذا العمل إنفاذًا للتَّكليفِ الذي كُلِّفَ به، وخرج الجزء الأول، وفيه الطبقة الأولى وهم أربعة شعراء مضارعةً لتخطيط ابن سلام وتقسيمه، وهم حميدان الشويعر، ومحمد ابن لعبون، وعبد الله بن ربيعة، وعبد الله بن سبيل[٢] .

ثمَّ تلاه الجزء الثاني، وقد اقتصر اختيارُه في كلا الجزأين على

(١) انظر "ضيف الجزيرة سعد بن عبد الله بن جنيدل"، الجزيرة عدد ( ٤٤٦٧ ) في عدد (١٤٠٥/٣/٢٩هـ)، وسعد بن جنيدل هذا هو الذي كان يقوم بتفريغ كتابة الشعر "النبطي" لابن بليهد في سجل كبير؛ وعندئذٍ قام ابن بليهد بأخذه إلى مكة كما مرَّ معنا.

(٢) انظر "ديوان النبط" الذي نشر في (١٣٧١)، صُدِّر بهذا النص : جمع ورتب وطبع بإرشاد وأمر صاحب المعالي الشيخ عبد الله السليمان الحمدان وزير المالية بالمملكة العربية السعودية .

شعراء الحاضرة من أهل نجدٍ، وهذا دليلٌ على أن خالد الفرج لم يَخرج عمَّا قَدَّم له ابن سليمان من مسودات مختارة من الشعر "النبطي" في وسط الجزيرة.

وما كادت تَخرج هذه الطبعةُ من عملِ ابن سليمان حتى ثارت ثائرةُ العرب في الشأم الذين كانوا يعرفون دسائسَ دعاةِ العامية عندهم وأهدافها، ويَرَوْن في نشر الشعر "النبطي" مشابَهةً لها، وثارت المجامعُ اللغويةُ العربيةُ ومجلاتُها، وأدركت خطورة هذه البادرة على مسيرة الثقافة العربية الإسلامية لا سيما أنَّها أتت من قلب الجزيرة العربية التي كان يُعرف عن أهلها قبل سنواتٍ قليلةٍ التَّرفُّعَ عن ذكرِ الشعر "النبطي" في مؤلفاتِهم، عندما يصفون المعارك التي يسجلها التأريخ، ويشارك فيها الشعر الفصيح والعامي .

ولأجل جهود عبد الله بن سليمان، وخطورة نتائج بحثه هبَّت أقلامُ الغُيُرَ على لغة القرآن، وأخذت تُندِّدُ بِهذا العمل، وتدعوا لحربِه والحذرِ منه وهو خليقٌ لهذا وفوقه .

وتبنَّت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق موقفًا صارمًا ضدَّه، وضِدَّ مؤلِّفه وجامعه[١]، فانكسر خالد الفرج نتيجةً لهذا الموقفِ الذي اتخذه

---

(١) انظر "مجلة مجمع اللغة العربية" بدمشق (٣٠٢/٢ )، وحديث "حول الشعر العامي" لحمد الجاسر الجزيرة عدد (٤٤٧٢) في (١٤٠٥/٤/٤هـ ) .

مجمعُ اللغة بدمشق .

في حين عبَّرت مجلة مجمعُ اللغة بدمشق عن عمل خالد الفرج في ديوانه الذي جمعه بقلم رئيس تحريرها حيث ذكر ديوان النبط وعرَّف به وبِمؤلفه ثم قال : " ونشهد لوجه الله شهادةً خالصةً أننا قرأنا هذا الديوان من بابه إلى محرابه، وتحملنا في ذلك مشقةً كبيرةً، ولكنَّا لم نجد فيه شيئًا يَتَنعَّم به الفكرُ أو القلب، وقد تعجبنا كثيرًا من قولِ جامع الديوان في مقدمته "وبعد فلا بدَّ لمن يدرس الأدب العربي وتأريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجدٍ في الوقت الحاضر لأنه صورةٌ صادقةٌ على ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي " – لا والله –، ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنَّه أدب التدهور . . وحرامٌ أن يُشبَّه به شعر الجاهلية ، وحرامٌ أكثر من ذلك أن يُطبعَ مثل هذا الزجل الغث للفخر . . فما أجد لطبعه إلا فضيلة واحدة : العلم به، للحذرِ منه ، إنه أدب العامة أدب الانحطاط الذي يُوجد مثله في كلِّ قطرٍ، ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللَّون من الأدب "[١] . كما مرَّ معنا آنفًا [٢] .

---

(١) انظر" مجمع اللغة "بدمشق ( ٢/٣٠٤) .

(٢) انظر ( ص ١٠٢ ، ١٠٣ ) .

كما لا ننس أنَّ خالدَ الفرج كان ذا اهتمامٍ بقضايا العرب الفكرية والأدبية ، وله محاولة إصلاح نشرها بعنوان " علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية " وغير ذلك .

وقد توقف خالد الفرج عن الاستمرار في المهمةِ التي كلَّفه ابن سليمان بِها، وكان سبب توقفه اعتراض المجمع اللغوي عليه، يقول الشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل وهو أحد من استعان بِهم ابن بليهد في استنساخ الشعر لابن سليمان : " ثم توقفتْ - يعني أجزاء الشعر "النبطي" - بعد أن اعترض على نشرها أحد المجامع اللغوية على أساس أن الاهتمام بِهذا الشعر سيكون سببًا في انصراف الناس عن الفصحى أو على الأقل دعمًا للعامية ونشرًا لها "(١) .

ثمَّ حاول ابن سليمان بعد هذه المحاولة الفاشلة تكليف أديب آخر له باعٌ في الأدب واللغة، ويعرف الشعر "النبطي" ويحسنه كما أنه يعتبر عضوًا في المجمع اللغوي الذي اعترض على نشر الشعر "النبطي" الذي كُلِّف به خالد الفرج من قبل ؛ وهو الأستاذ : حمد الجاسر .

وقد أظهر ابن سليمان في تكليفه هذا اقتناعات فكرية في

---

(١) انظر" ضيف الجزيرة" سعد الجنيدل، الجزيرة عدد (٤٤٦٧) في (١٤٠٥/٣/٢٩هـ) .

أهمية الشعر "النبطي" وقيمته، وألمح إلى أن القيامَ بذلك يُعدُّ واجبًا وطنيًا إلاّ أنه قد دارت بين الرجلين – ابن سليمان و الجاسر – مراسلات في هذا الخصوصِ ، وكان من بينها ما جاء على لسان ابن سليمان لكاتبه : " أبلغ الأخ الشيخ حمد الجاسر . . وأخبره أني وقفت على خطابه[١] بهذه الجريدة المشار إليها بعنوان "ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد " ، وإنني أشكره على اهتمامه في جمع هذه الأشعار النجدية النبطية التي صدرت من أناس وهبهم الله هذه القرائح الجيدة التي ملؤها الحكمة، ولا يعرف الكثيرُ من الناس عنها شيئًا داخلاً وخاصةً خارجًا، وقد كلفني معاليه أن أكرر لكم شكره وتقديره وعنايته إذ شرعتم في إظهار ذلك إلى حيِّز الوجود، ويَرغَب أن تواصلوا جهودكم في جمع الباقي لهؤلاء الشعراء الثمانية الذين ذكرتموهم في الجريدة، وفيه غيرهم مما لا يَعْزُبُ عن بالكم، وأن تُذيِّلوا بما يَحِلُّ غوامض أشاعرهم ؛ ولا سيما وبين أيديكم الآن العطلة السنوية للمعهد، وبعد فتحه تُخصصون لكم وقتًا من أوقاتكم لملاحظة ذلك .

ويقول معاليه : أنا مستعدٌ بدفع جميع ما ينفقه من المادة في هذا

---

(١) أي الخطاب الذي كتبه حمد الجاسر في المقالة بعد صدور "ديوان النبط " .

السبيل، كما قد أشرت إليه سابقًا، فمن غير ريب أنكم سوف تكونون عند حسنِ ظنِّ معاليه بكم لا سيما وقد وهبكم الله علمًا وقدرةً ، ويقول معاليه : يجب على الأخ حمد أن يفهم أن عليه واجبًا تُجاه بلاده وأمته ليس للمتأخرين فحسب؛ بل للمتقدمين لأن هؤلاء المتأخرين هم أبناء المتقدمين، ويجب أن نُشيدَ بذكر أبنائنا وأجدادنا لأن لهم الفضل الأكبر علينا. انتهى ما أمرني به وزير المالية الشيخ : عبد الله بن سليمان أن أبلغكم به"[١] .

لكن حمد الجاسر رفض طلب الوزير واعتذر إليه، وبرَّر إليه أن صداقته لخالد الفرج تَحول دونما يظهر عمله بمظهر النقص، وألمح إلى أن هناك من هو أعرف منه بالشعر العامي[٢].

وبعد ذلك بقليل قام الأستاذ : عبد الله بن محمد بن خميس بدارسة الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية .

وكانت أوّلَ دراسةٍ علميةٍ منهجيةٍ، مَهَّدَ لها وقارن بينه وبين الشعر الفصيح، وانتهت هذه الدراسةُ إلى نتائجَ مذهلةٍ حقًّا، وهي أنَّ الشعرَ "النبطي" يَختلِفُ كلَّ الاختلاف عن الشعر العربي الفصيح،

---

(١) انظر "حديث حول الشعر العامي" لحمد الجاسر، الجزيرة عدد (٤٤٧٢) في (١٤٠٥/٤/٤هـ).

(٢) المصدر السابق .

وأنَّ نَهجَه وطريقةَ إلقائه بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن نهجِ الفصيح وإلقائه أيضًا .

يقول عبد الله بن خميس : " ينفرد هذا الشعر - "النبطي" - بخصائصَ تنأى به عن الشعر الفصيح، ونظرًا لأنه لم تُقَعَّد له قواعدَ ، ولم تُوضع فيه دراساتٌ يُفهم على ضوئها، وقد جانبَ كثيرًا من قواعدِ اللغة العربية واصطلاحاتِها نحويةً كانت أم صرفيةً أم إملائيةً أم عَروضيةً .

لذا فإنه من العسير على الدَّارس لهذا الشعر وهو بعيد عن بيئتِه ومحيطِه أن يُركِّزَ فَهمَه فيه، أو يَخرجَ بكبيرِ فائدةٍ ما لم يُؤدِّه الأداء الصحيح بلهجتِه الخاصةِ به، ومن ثَمَّ يَتذوَّقَهُ ويتأثرُ به . . ثم يقول أيضًا : " ولا تُحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة فتسلط العوامل على معمولاتِها، وتحاول الرفع، أو النصب، أو الجر، أو السكون بالعلامات الأصلية، أو الفرعية، أو الحذف، أو السكون، أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل : أنه مثالٌ، أو عن الآخر أنه أجوفٌ ، أو عن الثالث أنه ناقصٌ ، أو مهموزٌ ، أو واوي ، أو يائي.. إلخ "[1] .

---

(١) انظر" الأدب الشعبي" لعبد الله خميس ص ( ٨١ ) .

وأشار في معرض تذليله وتَتبُّعِه للشعر "النبطـــــي"، ولهجــات شعرائه أن العامية الإقليمية قد استبدَّت ، وبَعُدت كلٌّ لهجةٍ عاميةٍ عن الأخرى ؛ حتى كادت تصبح لغاتٍ لا يَفهمُ المتكلمُ بواحـــدةٍ منـــها الأخرى ، وأنَّ سكان الجزيرة أصبحوا لا يَفهم بعضُـــهم بعضًـــا إلاَّ بالإشارة والإيماء وفحوى القول ! .

وقال مُدللاً على ذلك : " فهذه العُجمـــةُ الـــتي تســـرَّبت إلى موطِنها، واكتنفت حدودَها خليطٌ من لغاتٍ شتَّى أخذ كلٌّ طـــرفٍ من الوطنِ العربي بما مازجه وتَشَرَّب به، ووَرِثه الخلفُ عن الســـلفِ، ومن ثَمَّ فُقدَت الوَحْدَةُ التي تجمعُ اللِّسانَ العربي بالنســـبة إلى ســـواد الناس ، ودهمائهم وأصبح النَّجدي لا يفهم عن العُماني - بضم العين - إلا القليل، بالإشارة والقرائن التي تدل على فحـــوى الحديـــث، الحديث المتبادل المعروف، أما غيره من الأغراض الخاصة المتعلقة ببيئة كلٍّ، فلا يكاد يفهم، وقُلْ مثلَ ذلك عن اليمني مع الحجازي، وعـــن البدوي مع الكلِّ حتى ليشُكَّ الباحثُ مـــن أنَّـــهم ينطقـــون لغـــةً واحدةً"[١].

هذه النتيجةُ التي توصل إليها الباحثُ المدقِّقُ عبد الله بن خميس

---

١ـــ انظر " الأدب الشعبي في جزيرة العرب" لعبد الله بن خميس ص ( ٤٧ ) .

في كتابه "الشعر الشعبي في جزيرة العرب" تدل على بُعدِ اللّـهجات العامية عن الفصحى من جانبٍ، وبُعدِ كلّ لهجةٍ عاميةٍ عن اللّهجةِ العامية الأخرى ! .

مع أنّ كلّ اللّهجات العامية التي نصّ المؤلفُ عليها، وعلى أهلِها، وحدَّدَ أقاليمها هي عامياتُ سكانِ الجزيرة العربية، وأغلب من ذكرهم بقوله: " أنّهم لا يتفاهمون بعامياهم ولا يستطيع أحدٌ منهم ذلك إلا بالإشارة والقرائن " هم الآن من سكانِ دولةٍ واحدةٍ هي المملكة ! .

وهو في كتابه هذا لم يتطرَّقْ إلا للهجةٍ عاميةٍ واحدةٍ من هذه اللهجاتِ العاميةِ المتباعدةِ على حدٍّ ما وصل إليه من حقائقَ في بحثه!.

أمَّا بقية اللّهجاتِ العاميةِ فلم يتعرَّض المؤلفُ لها ، والحكم الذي وصل إليه لا يترك للمهتمين بفكر الأمة الواحدة، والدَّاعين للمجتمع الواحد مجالاً للتَّقليلِ من خطرِ العامية والشعر "النبطي" على لغةِ الوَحدَة، ولغةِ الأمةِ الإسلاميةِ عامة؛ لا سيما إنْ تحـرَّكَ أصحابُ اللهجات الذين لا يفهمون هذه العامية التي كَتبَ بِها الكاتبُ الشعر "النبطي"، وحاكوا المؤلفَ وغيرَه بالاهتمام بعاميَّاهم التي يفهموها ويعرفونَها، واهتم أهلُ كلِّ إقليم بلغتهم العامية ولهجاتِهم الأخرى بَدَل العربية الفصحى التي تجمعُ الناسَ وتُوَحِّد الأمة .

والأمر الذي يُدرك بالحواس الخمس ، والذي لا بدَّ منه عقليًّا هو: أنَّ نشاطَ العاميةِ في إقليم من أقاليم الدولة لا بدَّ أن يُسبِّبَ نشاطًا مماثلاً لدى الأقاليم الأخرى بلغاتِها وعاميَّاتِها؛ وهذا الاحتمال ليس ضربًا من الخيال؛ بل حدث مثلُ ذلك، وألَّف عددٌ منهم الكتبَ عن اللهجات العامية في أجزاء متعددةٍ من البلاد .

فقد ألَّف محمد بن أحمد العقيلي "الأدب في الجنوب"، و"معجم اللهجة المحلية لمنطقة جيزان" .

كما اختار محمد سعيد كمال الشعراء الذي أهملهم عبد الله بن سليمان، فبدأ بِهم؛ ويعتبر هذا منه ردًّا ضمنيًا على إهمال ابن سليمان لهم على الرُّغم من شهرتِهم وشاعريَّتِهم .

وقد نشر - أيضًا - : حسن نصيف شعرَه بلهجةٍ عاميةٍ ثالثةٍ، وغير ذلك من المجموعات ، والمؤلفات العامية التي كانت مجموعة ابن سليمان باعثًا لها، وسيأتي ذكر بعض الكتب والمؤلفات التي صُنِّفت ردًّا ضمنيًّا لغيرهم، وباعثًا للهجتهم قريبًا في مثاني الرسالة - إن شاء الله -.

وإذا كانت دراسةُ ابن خميس منهجيةً علميةً فإن ما توصل إليه من نتائجَ يجب أن نستفيدَ منها لا سيما وقد صرَّح بأن اللَّهجاتِ في الجزيرة أصبحت لغاتٍ مستقلةً لا يستطيعُ المتحدث بواحدةٍ منها أن يفهم الأخرى كما مرَّ معنا آنفًا ! .

وما كاد عبد الله بن سليمان يعرف عن هذه الدراسة شيئًا حتى سار كعادتِه في دفعِ تكاليفها ونشرها على حسابه الخاص ! .

يقول ابن خميس : " ولهذا لم يكن معالي الشيخ عبد الله السليمان آل حمدان ليُسقِط من اهتمامه هذا الجانب ، فقد دأب على إحياء آثار الجزيرة، وإبراز معالمها إلى جانب ما تنطوي عليه شخصيتُه من جوانبَ عرفها له الناس فعرفوها وشكروها ، فمن هذه الآثار التي قدَّمها لأمته طَبْعُ كُتُبِ ابن بليهد . . وهو أوَّل من وَجَّه عنايتَه بالأدب الشعبي فقرَّب رُواتَه، وأثاب عليه، وجمع دواوينَه ثم دفعها للأستاذ خالد الفرج ليُرتِّبها ويعلق عليها ، ثم طبعها على نفقته، وقد سمع معاليه بِهذا الكتاب[1] بعد أن طُبِعَ منه ملزمتان فتبرَّع بطبعِه على نفقتِه ، وهذه الجهود التي يقوم بها معاليه في هذا المجال سوف تذكُرُها له الجزيرة بعاطر الذكر "[2] .

**قلت** : لو أنَّ ابنَ سليمان خرج من هذه الجهود التي بذلها في تقصِّيهِ، وجمعه للشعر "النبطي" مع ما بذل فيه من أموالٍ طائلةٍ - كفافًا لا له ولا عليه كان خيرًا وأسلم عاقبةً ! .

---

(١) أي : كتاب " الأدب الشعبي " لابن خميس .

(٢) انظر" الأدب الشعبي " لعبد الله بن خميس ص (٤٨٨) بتصرف .

# الفصل الرابع

# الاهتمامُ الشَّخصي بالشِّعر "النَّبطي"

وإذا كان ابن سليمان قد اهتم بالعامية وكان مشجعًا لجمعها، وتدوينها، وإحيائها، والاهتمام بلغتها وأدبها؛ فإنَّ هناك اهتمامًا متماثلاً واكبَ هذه الحركة؛ ولم يكن مصدر هذا الاهتمام غير الإعجاب بالشعر النبطي وبقيمته الفنية، وهذا الاهتمام قام به بعض الأفراد الذين أُعجبوا به فكتبوا بأيديهم، وجمعوا بجهودهم الخاصة عشرات الدَّواوين الشعرية، وحفظوها، واعتنوا بها أيَّما عناية، ولا بد من أن نذكر واحدًا من هؤلاء المعجبين بالشعر "النبطي" لكثرةِ ما جمع بخطِّ يدِه .

هو الأستاذ : محمد الحمد العمري، وهو مثلُ ابن بليهد، وُلِد في وسط الجزيرة، وتنقل مع والده في البادية، ولاسيما في أيام الربيع؛ ولكنه لم يكن مبدعًا للشعر، ثم سلك طريق ابن سليمان، وخالد الفرج إلى الهند وانضم إلى الجامعة "الملِّيَّة" في دلهي في الهند، ودَرس فيها، وحصل على شهادتها عام (١٣٥٢هـ)، وعرف اللغة الألمانية، وكان من أساتذته الأستاذ : ذاكر حسين الذي تولَّى المنصب الشرفي لجمهورية الهند بعد ذلك .

كما دَرَسَ محمد العمري اللغةَ الألمانية على يهودية ألمانية !، ويجيد عدداً من اللغات منها الأردية، والإنجليزية، والفارسية، والألمانية، والتحق بالعمل في المملكة العربية السعودية مترجمًا للغة الإنجليزية، والأردية، وعمل في الهند وفلسطين، وكانت له عنايةٌ فائقةٌ بجمع الشعر العامي، وقد حوت مكتبتُه أربعة عشر ومائة مخطوط من الدَّواوين الشعرية النبطية؛ قام بجمعها، وكتبها بيده !، ثم باع كُتُبَه على جامعة الملك سعود، ومن ضمن محتوياتها الدَّواوين الشعرية، ولم يمضِ وقتٌ قصيرٌ بعد ذلك حتى استطاع جمع أكثر من ثمانين ديوانَ شعرٍ عامي[1] !.

ليت شعري ما هذا إلاَّ جهدٌ فرديٌ قام به أحدُ المعجبين بالعامية، وعشَّاقُ "النبطي"، وغيره عشرات من أمثاله !، والذي يظهر أن الدَّافع لذلك لم يتجاوز حَدَّ التسلية والترويح ، ولم يلبث الأمر إلاَّ قليلاً حتى بدأت طلائعُ النهضة في الجزيرة العربية كما يأتي .

* * *

(١) العمري محمد الحمد، "قراءة في مكتبة"، الجزيرة ، عدد ( ٤٤١٨ )، في (١٤٠٥/٢/٩هـ).

# الفصل الخامس

## الاهتمامُ التِّجاري بالشِّعر "النبطي"

وبدأت دور النشر تأخذ مكانًا بارزًا في واقعِ مجتمعِ الجزيرة، وأصبح الجيل الجديد يحسن القراءة والكتابة، وظهر اهتمام آخر بالشعر "النبطي" والعامية، ليس مثل ذلك الاهتمام شبه المنظم الذي دعا إليه ابن سليمان، ولا ذاك الذي بدأه الأفراد المعجبون بالعامية وبشعرها ، ولكن كان لهذا الاهتمام الجديد غرض تجاري يبحث عن الربح قبل أي اعتبار .

فبدأت مكتبة "المعارف" بالطائف لصاحبها الأستاذ : محمد سعيد كمال نشر سلسلة من دواوين العامية تحت اسم " الأزهار النَّادية من أشعار البادية "، ولقيت هذه السلسلة رواجًا لا مثيل له ممَّا دفع صاحبها إلى الاستمرار في هذه التجارة المربحة، والكسب السريع، ونشرت عددًا من الأجزاء التي لاقت رواجًا لا بأس به، وقد اختارت شعر كبار الشعراء القدامى ، وأهل الشهرة والذيوع واستمر في جمع شعر الشعراء العاميين، ونشره في دواوين تصدر تباعًا، واستطاع محمد كمال، صاحب مكتبة "المعارف" ترتيب أجزاء ديوان

الأزهار النادية حتى وصل بِها إلى ستة عشر جزءًا[١]؛ بدأها بشعر بديوي الوقداني، وبركات الشريف، وقد كان في اختياره هذا رَدٌّ ضِمني على اختيار من سبقه ممن أشرنا إليهم آنفًا!؛ الشيء الذي لا نريده لهذه الأمة، ولا نريد أن تفتحَ أبوابُه فيصعب إغلاق تلك الأبواب، ولات حين مناص؛ ولن تكون نتائج الاهتمام بالعامية إلا من هذا النوع الذي لا يَوَدُّ مخلصٌ أن يراه يَعود بعد أن أزاله الله وأبدلنا به أمةً واحدةً، ومجتمعًا تتكافأ أقاليمه وأفراده[٢] .

* * *

(١) انظر " الأزهار النادية من أشعار البادية " مجموعة مختارات من الشعر العامي لمحمد سعيد كمال، دار المعارف (١٣٨٠هـ) .

(٢) وقد وقفت على بعض الدواوين النبطية التي تشير أسماؤها إلى ما كنا نخافه، ونخشاه مثل "شعراء عتيبة" لمحمد بن دخيل العصيمي ، و"استراحة ربوع الباحة" لعيضة بن سعد الغامدي، و "جواهر الكلام من شعراء الزُّبير الكرام" لعبد الله بن ناصر الزبيري، و " نمر العدوان" لروكس بن زائد العزيزي، و " العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين" لابن عقيل الظاهري، و "أدب المشاهير " نبذة عن تاريخ مدينة عرعر، لبشير الغزي، وهذا الذي ذكرنا غيض من فيض، وما خفي كان أعظم !! . والله المستعان على ما يصفون .

# الفصل السادس
# دَورُ الصَّحافةِ الخفي
# في نَشْرِ العاميَّة، والشِّعر "النبطي"

الصحافة كانت، وما زالت مصدراً قويًا، ومنطلقًا واسعًا لنشر العامية، والشعر "النبطي" في بلاد المسلمين؛ لا سيما الجزيرة، وهذه الحقيقة أشهر من أن تُنكر؛ لكنها أخذت في أدوارها لنشر ما ذُكر طرائق خفيَّةً وجليَّةً؛ وذلك إمَّا بتلميح الإشارة أو تصريح العبارة .

فأما دورها الخفي فكما يلي :

يقول "سلدن ولمور" : أنجح الوسائل للقيام بحركةٍ في سبيل تدعيم اللغة القومية - العامية - هي أن تَتَّخذَ الصحفُ الخطوةَ الأولى في هذا السبيل؛ ولكنَّها ستكون بحاجةٍ إلى عَونٍ قوي من أصحاب النفوذ فإذا نجحت هذه الحركة فإنَّ وقتًا قصيرًا في التعليم الإجباري ؛ وليكن سنتين؛ سيكون كافيًا لنشر القراءةِ، والكتابةِ في البلاد "[١] .

يكفي الباحث أن يُنعمَ النظر في هذا النصِّ؛ ليعرف الدور المهم الذي تقوم به الصحافة في سبيل نشر الفكر الذي يُراد نشره سواء

(١) انظر " تاريخ الدعوة إلى العامية " لنفوسة زكريا سعيد ص (٢٨) .

كان بالعامية أو بالفصحى، وهذه الوسيلة هي أخطر الوسائل، وأهمها في تنشئة الأجيال، وتعليمها، وتثقيفها، وقد كَشَفَ عن دورِها العظيم في سرعة دفع عجلة العامية ، والشعر "النبطي" داعيةٌ من دُعاة العامية في مصر ذلك الرجل - ولمور - الذي دَرَسَ في بلاده، ثم أُرسل ليرأس حركة الدعوة إلى العامية، ويؤدي مهمته التي جاء من أجلها، وهي نشر العامية مستغلاً عمله الرسمي[1]، الذي يشرف عليه، ويقوم بالدَّور الذي رُسِمَ له، وهو حرب الفصحى؛ لغة الأمة الإسلامية، وإحلال العامية في القاهرة محلّها مؤملاً قطع صلة مصر باللُّغة العربية، ثم بالعالم الإسلامي، الذي نجح الاستعمار في ذلك الوقت بقطع بعض أوصاله، وعزله عن بقية العالم الذي كان قبيل الحرب العالمية الأولى يُعَدُّ دولةً واحدةً ذات لغةٍ، وثقافةٍ، ودينٍ واحد.

وقد واكبت دعوته إلى العامية في القاهرة وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى، الدعوة إلى تغريب مصر التي خَطَّط لها "كرومر" في كتابه "مصر الحديثة" ، وتَلقَّفها المُولَعون بالثقافة الغربية ، ودعوا إليها من أمثال :

---

(١) كان يعمل قاضيًا في مصر إبان الاحتلال البريطاني لها، انظر "تاريخ الدعوة إلى العامية"لنفوسة زكريا، ص (٢٥) .

طه حسين[١] ، وتوفيق الحكيم[٢]، وسلامة موسى، ولويس عوض[٣] وهكذا منذ تكلّم بِها المنصِّرون الأوائل من "سبيتا"، إلى

---

(١) طه بن حسين، وُلد في قرية الكيلو بالصعيد المصري، بدأ حياته في الأزهر، وسافر في بعثةٍ إلى باريس وتخرج بالسوربون، وكان قد شُغف بالأدب اليوناني من صباه، وترجم بعض آثاره ككتاب "نظام الإثينيين" لأرسطو، وكتاب "آلهة اليونان"وغيره من الكتب، وقد ادعى في كتابه "في الشعر الجاهلي" أنَّ الإسلامَ دينٌ مَحَلِّي لا دين عالمي، وأنَّه من وضع محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولا صلة له بالسماء؛ بل وضعه محمد صلى الله عليه وسلم متأثرًا بالبيئة التي عاش فيها، وهو بهذا يردِّد أفكار المستشرق الإنجليزي "جبْ" ويتفق مع جوهر كتابه المسمى " المذهب المحمدي" . انظر "الأعلام" للزِّركلي (٢٣١/٣)، و" احذروا الأساليب الحديثة ..." لسعد الدين صالح ص (٩٦) .

(٢) توفيق الحكيم، اسمه الصحيح : حسين توفيق الحكيم، (١٤٠٧هـ)، كاتب مسرحي، حاول أن يردِّد منهج النصارى في الفصل بين الدين والعقل، وردَّد أفكار الماسونية في تمييع الأديان، وعدم الاعتداد بالإسلام كدين وحيد للنجاة، ومن المفيد أن نذكر رأيه في نفسه، وبيان منهجه و معتقده، حيث سُئل مرَّةً عن نفسه فأجاب بتاريخ (١٩٨٦/٩/٦): " توفيق الحكيم شخصٌ لا أعرف عنه شيئًا كثيرًا . . وإني أقرأ عنه أحيانًا بعض ما ينشر عنه، فأراه شخصًا آخر، فأما أنا فأسأل نفسي دائمًا ما هي المهمة التي كُلِّفتُ بِها في هذه الحياة الموقوتة . . وكلما سرتُ في طريق حياتي فطنتُ فجأةً إلى أنَّ هذا الطريق ليس هو الطريق الذي تصوَّرته . . ولو كان في طريق حياتي لافتات مثل لافتات المرور تنبهني إلى أن هذا الطريق يؤدي إلى جهة كذا كنت تنبَّهت من أول الأمر و لم أُواصل السير . . فأنا إذًا مخلوقٌ ضحية عدم وجود لافتات المرور في شارع حياتي الطويل . . ".
**قلت** : نعوذ بالله من التيه والتشكيك من حكمة وجود الإنسان في هذه الحياة !.
انظر "تتمة الأعلام" لمحمد يوسف (٩٥/١)، و"احذروا الأساليب الحديثة . ." لسعد الدين سيد صالح ص (٩٧) .

(٣) ستأتي ترجمة لسلامة موسى، ولويس عوض قريبًا – إن شاء الله – .

"ويلككس"، إلى أن تلقَّفها دعاة العامية كـ" أحمد لطفي السيد"[١] الذي دعا إلى حركة التمصير، وبنى عليها كثيرًا من نظرياته؛ فكان هناك من وافقه وسار معه من ذيول قافلة دعاة العامية، التي لم تزل تركض في سراديبَ مظلمةٍ، وأنفاقٍ ضيقةٍ ! .

وإذا كانت مكانة الصحافة وأهمية دورها التوجيهي قد اتضحت في مصر عام (١٣٣٩هـ)، وما بعده، وعدد الصحف لا يقارن بعددها اليوم ، وعدد قرائها حينذاك لا يقارن بعدد قرائها اليوم - أيضًا - ؛ فما بالك بدورها الذي ستقوم به لتوجيه الناشئة إلى العامية والشعر "النبطي" ، وما مدى أثرها في ذلك إذا أطلق لها الرَّسَن والقيادُ ، وسارت بلا وعي، وانحرفت عن دورها المهم وهو تثقيف الأمة ؟ ! .

أما دور الصحافة في الجزيرة العربية لم يكن أقل جُهدًا من غيره فالصحافةُ صحافةٌ؛ إلا أنَّ الصحافةَ في بلاد الجزيرة - المملكة - كانت متغايرة الاتجاه ، ولها منهجها ، وثقافتها ، وأهدافها السَّامية في أول ظهورها .

---

(١) أحمد لطفي بك السيد، هلك سنة (١٣٤٥هـ)، كان من أعضاء الحزب الوطني القدماء، تأثر بملازمة جمال الدين الأفغاني، وبقراءة كتب أرسطو، ونقل منها إلى العربية، وكان من دعاة العامية وإحلالها مكان الفصحى. انظر "الأعلام" للزِّركلي (١/٢٠٠)، "الأعلام الشرقية" زكي مجاهد (٢/٤٤٥) .

حيث سارت الصحافة في المملكة عند بداياتِـــها إلى هـــدفٍ واضحٍ، وقامت بعملٍ جادٍ بارزٍ، وأصبحت الصحف مدارس للأدب والفكر تخرَّج فيها أدباؤنا الذين أصبحوا هذه الأيام أعلامًا بـــارزةً، وشاهدًا على ما تقوم به الصحافة من دورٍ ثقافي تعليمـــي، ونشـــاطٍ فكري كبير ، وكلٌّ من نقرأ لهم في تاريخ نَهضتنا الحديثة من شعراءَ، وكتابٍ، وأدباءَ، ومؤلفين، ومؤرخين هم خِرِّيجُو مدارس الصحافـــة ومؤسسوها، ومن الذين عملوا فيها وتتلمذوا على مقالاتِها وأساليبها التي استمرت في العطاء والرُّقي حتى أصبحت ذات قيم ثابتة ، وذات رسالةٍ فكرية، وقد تورَّع الرعيل الأول مـــن كُتَّـــابِ الصحافـــة في الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة عن فتح باب النَّشـــر للعاميـــة، ولم يسمحوا لأنفسهم ولا للصحافة أن يفتحوا باب النَّشـــرِ بالعاميـــة، وأجمعت على ذلك الصُّحُفُ كلُّها التي كـــانت تصـــدر في مـــدن المملكة، بالرُّغم من أن الأمية كانت منتشرة، والقلة هم الذين يعرفون القراءة، والكتابة مع أن بعض الرعيل الأول من الأدبـــاء، وكُتَّـــابِ الصحافة يُحْسِن العامية، ويعرف مضامين الشعر "النبطي"، ويجيـــد الكتابة فيه !، وذلك لأنَّهم يدركون خطـــورة الكتابـــة بالعاميـــة،

وخطورة طرح الفكر العامي للناشئة[١] .

وهكذا كان اتجاهُ وسيرُ الصحافة في الجزيرة العربيـــة واضـــحَ الهدفِ؛ حتى طرأ عليه ما طرأ، فكان أول إشاراتٍ يجدها البـــاحثُ لبداية الاهتمام بالشعر "النبطي" في الصحافة السعودية فـــهي قريبـــةُ العهد حديثةٌ بالنسبة لعمر الصحافة، ولا تتجاوز عام (١٣٨٤هـــ )، عندما بدأت صحيفة "الجزيرة" التي كانت أسبوعية وتصـــدر كـــل ثلاثاء، حيث بدأت من عددها الثامن عشر تُظْهِرُ شيئًا من محاولـــة التعريف بالعامية، والأدب وتُحَبِّذُ هذا النوع، وتسمية أدبًـــا، وقـــد نشرت سلسلةً من مقالات بعنوان " عاميتنـــا، وعوامنـــا " بتوقيـــع مستعار !، كما أشارت إلى " الأمومة في أدبنا الشعبي "، لكاتب من غير أهل الجزيرة، تحدَّث فيه عن أهمية الأدب الشعبي بوجه عام، و لم يَخُص أدبًا محددًا، ولا أشار إلى نوعِ الأدب الذي تحدث عنه ! .

كما أثارت صحيفة الجزيرة قضية الفصحى والعامية في إحدى مقالاتِها بعنوان " صراع الدِّيكة بين العامية والفصحى " استهله كاتبُه بلغة خطابية قائلاً : " ضراوة الصراع بين أنصار العاميـــة وأنصـــار الفصحى نتجت عنها هُوَّة سحيقة يصعب عبورها للتوحيـــد بـــين

(١) انظر " الفصحى . ." لمرزوق، ص (٧٧-٧٨) بتصرف .

وجهتي النظر، وقد حجب هذا الصراع الكثير من الحقائق العامية والفصحى "[١]، وبعد أن أوضح عدداً من الأسباب في رأيه تدعوا للاهتمام بالعامية، والحفاظ عليها قال : " هناك سبب آخر يدعونا للاهتمام بالعامية ربما يكون أهم من غيره، فبها كُتِبَ أدبنا الشعبي، وعدم الاهتمام بالعامية يعني : عدم الاهتمام بالأدب الشعبي، والنتائج السيئة لمثل هذا واضحة؛ إذ إن الأدب الشعبي يحوي صفحات مشرقة من تاريخ نضال أمتنا المجيدة، وبتقديس أسطورة البطل استطاع الشعب أن يكسب أهمية في نظر الكثيرين ، وجميع الأمم تَهتم بتراثها الشعبي عمومًا بما في ذلك الأدب . . والاهتمام بالعامية عن طريق إحياء الأدب الشعبي سيحقق أهدافًا كثيرةً؛ فهو أولاً : سيحفظ تراثنا الشعبي، وثانيًا : سينتج للشعب صفحات مشرقة من ماضيه، وثالثًا : سيحدد قافلة النضال الشعبي للقضاء على قوى الشر والفساد . . وأخيرًا : سيقضي على مشكلة الانقسام الذي ينتج عن الابتعاد الواضح بين العامية والفصحى، فكان للخاصة أدب، وكان للعامة أدب[٢] ! .

---

(١) انظر " صراع الديكة بين العامة والفصحى" لخليل الفزيع، الجزيرة ، عدد (٦٥ )، في (١٠/٦/١٣٨٥هـ ).

(٢) انظر الجزيرة، عدد (٦٥ )، في (١٠/٦/١٣٨٥هـ ).

يظهر من النَّص، والمفردات التي استُعملت أن الفكرةَ الواردةَ هي ترديدٌ لما قام به : سلامة موسى[١]، ولويس عوض وغيرهما ، من أنَّ الأدبَ العربي هو أدب الخاصة، وأدب الملوك، وأدب اللَّذة الجنسية كما يقولون، وأن اللُّغةَ العاميةَ هي المنقذُ من هذا!، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥] .

علمًا أنه لا شيء ممَّا ذُكر، و لا حقيقة لما ادَّعاه الكاتبُ من وجود صراعٍ كما اختلقه من بنات أفكاره !، ولعلَّ الصراع المشار إليه كان في مصر ولبنان أو غيرهما من أجزاء الوطن العربي؛ حيث كان الصراع هناك مُحتدًا بين الفصحى والعامية، فتأمل .

إلاَّ أنَّ الكاتبَ المذكور لم يسلم من سهامِ حُماةِ اللغة العربية حيث رَدَّ عليه الأستاذ : أحمد عبد الغفور عطار في كتابه " الزحف على لغة القرآن"، إذ أنه في ردِّه تَطرَّقَ لنقض مقالة الكاتب، وفنَّدها بأسلوب جيدٍ علمي رصين مع ما فيه من شدَّةٍ، لعلَّها بدافع الغيرة على اللسان العربي الفصيح، وهذا قريب .

(١) سلامة موسى القبطي المصري هلك سنة (١٣٧٨هـ)، كاتبٌ مضطربُ الاتجاه والفكر، دعا إلى الفرعونية، وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، لم يلبث أن حلَّه الإنجليز واعتقلوه وسجنوه مدَّةً، وجَحَدَ الدِّيانات في شبابه، وعاد إلى الكنيسة في سنِّ الأربعين، وكان كثير التجنِّي على كتب التراث العربي، يناصر بدعة الكتابة بالحرف اللاَّتيني . انظر "الأعلام" للزِّركلي ( ٣/١٠٧-١٠٨) .

أمَّا بداية الإشارات المتقطعة إلى الاهتمام بالشعر "النبطي" فقد بدأ منذ صدور صحيفة "الجزيرة" في عددها الثامن عشر تحت عنوان " عاميتُنا وعوامُنا "، وتَوَّجَت كلَّ مقالٍ من هذه المقالات بمقدمةٍ ثابتةٍ تقول : "هذه فصولٌ من كتيبٍ – لصاحب هذه السطور – اسمه "عاميتُنا وعوامُنا " يستشفُّ حياةَ العامةِ وأطوارها ، ويقتبسُ مواهبَها وعبقريَّاتِها من كُنه واقعها، وينتقدُ أو يُحبِّذُ : نظمها وقوانينها على سبيل الاستقراء . . ويبرزُ رصيدًا ضخمًا ومشرفًا، أخنى عليه الدهر، وطمرَه التأريخ..." أبو نفلا "[١] .

وقد تحدَّثت الحلقةُ الأولى عن شاعرٍ عامي واحدٍ، وأوردت له قصيدةً مختارةً، وبدأ الكاتب بشرح معاني هذه القصيدة العامية إلا أنه لم يكمل ذلك في حلقة واحدة؛ بل وعدَ بالاستمرار ! .

وكما يظهر من النَّصِ السابق أن هذه هي البدايةَ الأولى والاهتمام مع الثناء عليها، والمدح لها. .كما أنَّ الكاتبَ لم يُوقِّع المقالَ باسمه الصريح؛ بل توارى تحت اسم مستعار! .

أمَّا بقيةُ الصحفِ كصحيفة "القصيم"، و"الرياض" فإنَّها لم تُعرِ العاميةَ اهتمامًا يُذكر في بدايةِ صدورها؛ إلاَّ أن "الرياضَ" قد ذكرت

---

(١) انظر"عاميتنا وعوامنا " لأبي نفلا، جريدة الجزيرة عدد (١٨) في (١٣٨٤/٦/٢١هـ) .

بعضَ المقالات التي تتحدث عن بعض القضايا النقدية، ووجهات النظر[١] .

فمن ذلك مقالٌ كُتبَ في العدد ( ٢٣٦٤ ) في (١٣٩٣/٢/٣هـ) استعرض فيه الكاتب[٢] بعض مجموعات الشعر "النبطي" ، وشكا من الإهمال في نقدِها ودراستِها وبيان الجيد ، يقول في معرض حديثه : " لقد تعددت المجاميع التي تضم أشعاراً عاميةً إلى الحدِّ الذي يدعو إلى وضع ببلوغرافيا لهذه المجاميع، منذ أن أصدر الشاعر الراحل خالد الفرج في أوائل الخمسينات ديوان "النبط" في جزءين، يضم أشعاراً متعددة للرُّواد من شعراء العامية، والمجاميع تتسابق إلى الظهور ، فوجدت لدينا مجاميع أمثال " خيار ما يلتقط من شعر النبط " جمعها عبد الله الحاتم، و" الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة " ، و" مجموع شعر العوني وابن جعيثن " جمعه محمد بن يحيى، ومجموعة " الأزهار النادية من أشعار البادية"، و"أبطال من الصحراء" لمحمد بن أحمد السديري، و"شاعرات من البادية"، عدا دواوين الشعراء التي تصدر باستمرار .

---

(١) لم تَهتم جريدة الرياض بالعامية منذ صدورها في عام (١/١ /١٣٨٥هـ) ، وحتى نِهاية عام (١٣٩٥هـ)، حيث ذكرت المقال الآنف الذكر بتاريخ (١٣٩٣هـ) .

(٢) انظر جريدة الرياض عدد (٢٣٦٤)، في (١٣٩٣/٢/٨هـ)، لعبد الله الماجد .

وماذا يعني هذا الوضع ؟، في الحقيقة : إنَّ هذا الوضع أوجد لدينا مشكلةً يعاني منها أدبنا الشعبي، أي : أننا أجدنا في ناحيةٍ وقصَّرنا تقصيرًا كثيرًا في ناحية أخرى، وأعني بِها مجال الدراسة النقدية لهذا التراث، لهذا السيل الجارف من القصائد التي ضمَّنها تلك المجاميع والدواوين، ودعونا نستعرض من الدراسات التي صدرت حتى الآن .

أذكر من الدراسات المبكرة في هذا المجال "الأدب الشعبي" لابن خميس (١٣٧٨هـ)، و"الشعر عند البدو" لشفيق الكمالي (١٣٨٤هـ) ، ويسبقهما الدكتور طه حسين في بحثه "الحياة الأدبية في جزيرة العرب"، واهتمامات علامة الجزيرة حمد الجاسر المتناثرة بين صفحات "صحيفة اليمامة ومجلة العرب" ، ومقدمات الكتب، وآخر ما صدر من الدراسات التي تتناول الأدب الشعبي في بلادنا ، "الأدب الشعبي في الجنوب " للأستاذ : محمد بن أحمد عيسى العقيلي ، وأضيف إلى تلك الدراسات الدراسة التي لم تنشر في كتاب للأستاذ : أبي عبد الرحمن بن عقيل ، بعنوان " عاميتُنا وعوامُنا "(١)، ومقدِّماته لديوان التَّميمي .

---

(١) سبق أن أشرنا إلى أن هذه المقالة نُشرت تحت اسمٍ مستعارٍ هو " أبو نفلا "، وها هي تَنكشفُ لنا على ضوء كلام هذا الكاتب !.

بين يدي آخر ما صدر من المجموعات التي تضمُّ الشعر الشعبي جمعه عاشق الهذّال، إنَّ عينَ الواقع التي أدت إلى أن تـــدرس الأمـــم تأريخها الوطني الخاص، وتأريخ آدابها الخاصة التي دعتها إلى دراســـة الفلكلور، ذلك أن الدولة الحديثة الناضجة سياسيًا لا ينبغي لهـــا أن تملك فحسب وثائقها التأريخية الصحيحة التي لا يرقى إليها شـــك؛ بل يجب أن تملك بالمثل أعمالها الأدبية التي استقرت قيمتها ومكانتها، تملك أرشيفات مأثوراتِها الشعبية المفهرسة .

وما دام الأمر على هذا المستوى من الأهمية فإنه من الأحرى أن نُجدِّد اهتمامنا في هذا العصر الذي بدأ الإنسان يتكيف مع أساليب الحياة الحديثة . . إن المزيد من ظهور المجموعات الشعريـــة الشعبيـــة يعلن عن مشكلة سيعاني منها التراث، فعدم مواكبة النصوص الشعرية بالدراسة والكشف عن قيمتها سيجعلها تَمُرُّ في حياتنا الفكرية مرورًا سريعًا ذلك أن الدراسة لأي عمل أدبي هي التي تؤكد قيمته الفنيـــة والفكرية"[١] .

اتسمت الآراء السابقة التي كانت تطرح في الصحافة في بدايـــة الأمر بالطرح الصحفي السريع، والتعبير عن وجهة النظر الفرديـــة،

(١) انظر جريدة الرياض عدد ( ٢٣٦٤ ) في (٣/٢/١٣٩٣هـ) .

وخلت من المعالجة الموضوعية والبعد الفكري، ولم يصحبها توجُّـــهٌ عام إلى النشر، وجاء أكثرها آراء متفرقة لا تمثل قاعدة عريضة مـــن المعجبين أو المتابعين، ولكنَّها كانت توطئة صالحة لما سيحدث بعـــد ذلك عندما واتت فرصة التوسع في اســـتعمال العاميـــة في وســـائل الإعلام جميعها[١] .

* * *

(١) انظر " الفصحى . ." لمرزوق (٨١-٨٤) بتصرف كبير .

# الفصل السابع
# دورُ الصَّحافةِ الجلي في نشر الشعر "النبطي"

أمَّا دور الصحافة الجلي، فكما يلي :

إنَّ الحديثَ عن الصحافة السعودية فيما سلف ممَّا يتعلق بالأدب الشعبي كان في بداياته وِجْهَةَ نظرٍ فرديةٍ، وموقفًا شخصيًّا لا يمثل فكرًا، ولا اتجاهًا عامًّا لدى الناس؛ بل عامة ما هنالك آراء فردية، ووجهات نظر قابلة للرَّدِّ والقبول، وحتى عام (١٤٠٠هـ) كانت الصحفُ، والمجلاتُ خُلوًا من العاميَّةِ المنظمةِ، والشعر "النبطي" المقنَّنِ، وإن سبق ذلك التاريخ تخصيص بعض الصفحات التي تعالج القضايا الاجتماعية في البادية وتناقش المشكلات التي يعاني منها قِطاعٌ كبيرٌ من أبناء الجزيرة العربية في ذلك الوقت[١].

وقد ذكرت جريدة " الجزيرة " في صفحاتِها الشعبية أن بداية النشر في العامية، وتخصيص الصفحات للأدب الشعبي قد بدأ منذ عام

(١) كان في "اليمامة" صفحة نصف شهرية ، باسم "شؤون البادية"، وكانت تناقش قضايا البادية؛ ولم تكتب عن العامية شيئا !.

انظر "اليمامة" عدد (٩)في (١١/١/١٣٨٤هـ)، كما كتب مطلق الذيابي مقالاً بعنوان "من البادية" في جريدة "البلاد"، لم يكتب فيه كلمةً واحدةً عن العامية !. انظر صحيفة "البلاد" عدد (٣٧٩) في (٥/١١/١٣٧٩هـ) .

( ١٣٩٥هـ ) عندما خصصت مجلةُ " اليمامة " صفحةً شعبيةً تحمل اسم الأدب الشعبي ، وأن مجلة " اقرأ " أصدرت في عام (١٣٩٧هـ) صفحةً شعبيةً حملت اسم " ديوانية الشعر الشعبي "[١].

إلاَّ أن هذا التوقيت من الصحف، والمجلات لم يكن في مكانه؛ إذ يقول الأستاذ مرزوق : قد رجعت إلى مجلة " اليمامة " لأتحقق مِمَّا ذكر في المقال السابق فلم أجد في "اليمامة"، ولا في مجلة "اقرأ" صفحات شعبيةً عاميةً ثابتةً ؛ إنما وجدت بابًا في اليمامة اسمه " القراء يكتبون "[٢] ، ينشر أحيانًا أبياتًا معدودةً من بعض الشعر العامي، ولا يذكر عنه شيئًا "[٣] .

وكذلك بدأت " اقرأ " بنشر أبيات قليلة عامية في باب" أقلام وآراء "[٤]، منذ عام (١٣٩٧هـ)، وهي قليلة جدًّا، ولا تمثل اتجاهًا ثابتًا، ولا صفحة شعبية مستقلة .

أما إذا أردنا الحديث عن نشاط الصفحات العامية الموسع، وعن محاولة مدِّها على الواقع الذي يعيشه مجتمع الجزيرة العربية فلن نعطيه

---

(١) انظر "الجزيرة" عدد (٤٣٨٣) في ( ١٤٠٥/١/٣هـ ).
(٢) انظر مجلة "اليمامة" عدد ( ٣٦١ ) في (١٣٩٥/٧/١٦هـ ).
(٣) انظر " الفصحى . ." لمرزوق ص ( ٨٥-٨٦ ) .
(٤) انظر مجلة "اليمامة" عدد ( ١٣٣ ) في ( ١٣٩٧/٨/٥هـ ).

بداية قبل السنة الأولى من هذا القرن، وإن كانت بداية النشر لنماذج الشعر " النبطي" في الصحافة المحلية قـــد بـــدأت في حـــدود عـــام (١٣٩٥هـــ) كما أشرنا .

أما في هذه السنوات الخمس الماضية فقد ظهر اهتمامٌ متزايدٌ من العامة — القراء والشعراء — في نشر إنتاجهم ، وشعرهم في صفحاتٍ شعبيةٍ مستقلةٍ في صُحفِنا كلِّها، ومعظم مجلاتنا المحلية[1]، وتولَّى تحريرَ هذه الصفحات العامية — الشعبية — شبابٌ من شعراءِ " النَّبطِ" كانوا متحمسين كلَّ التَّحمس لتأصيل الشعر "النبطي"، والحديـــث عـــن مزاياه، وفضائله ممَّا نقل القضية من الشعر العامي كفـــنٍ، وجمـــالٍ، وذوقٍ، وإنشاد يفرضه الواقع إلى فكرٍ عامي وتقنين مُنظَّم !، وقـــد لاقت الصفحات العامية — الشعبية — رواجًا حسنًا، وقبولاً لـــدى عامة الناس الذين تَلَقَّوْا ما ينشر فيها بشيءٍ من الارتياح والقبول، فلم يكن بُدّ من توسيع الصفحات العامية، تلبيةً لرغبةِ العامة، وجمـــهور قراء الصفحات المذكورة!.

ففتحت الصحف المحلية البابَ على مصراعيه أمام سيل العاميـــة

---

(١) انظر " الصفحات الشعبية إلى أين ؟ " لحزام العتيبي، وقد أحصى الصفحات الشعبية في الصحف والمجلات المحلية، وكتب عنها وعن مادتِها المعروضة فيها، ورداءة هذه المـــادة. الجزيرة عدد (٤٢٧١ ) في ( ١٤٠٤/٩/٨هـــ ) .

الفكرية ، وأقبل على الكتابة ، والنشر عددٌ لا يستهان به من الشباب صغار السِّن الذين وجدوا أن في الشعر "النبطي" متنفسًا يعبرون به عن واقعٍ يُحِسُّونه ويعيشونه، هذا إذا علمنا في الوقت نفسه أنَّ الشعرَ "النبطي" سهلٌ على الكثير منهم ، سواء الذين يحفظونه، أو الذين ينظمونه ، ولا يكلفهم ذلك بحثًا، ولا جهدًا، ولا دراسةً، ولا متابعةً، مع أنه يملأُ فراغًا يجدونه قاتلاً لوقتهم الذي يجدون أن أفضل السُّبل لاستغلاله هو في مجال نشر العامية، والكتابة عنها .

وانجذب جمهور كبيرٌ إلى هذه الصفحات العامية، وزاد عدد توزيع الصحف، وانتشارها؛ ولم يمرّ وقتٌ قصيرٌ حتى أصبح في كلّ صحيفة عددٌ من الصفحات الثابتة للنشر في أدب العامية .

ولم يُترك هذا الكمُّ الهائلُ من الشعر "النبطي"، وتسويده الصحف دون مواجهة ، ودفاع من الغُيُرِ على اللغة العربية فقد تحمل أعباء السبق إلى التحذير منه الفريق : يحيى بن عبد الرحمن المعلمي(١)، وما كاد يقرع جرسُ الإنذار ضِدَّه حتى ثارت الثائرة في وجهه، وأعلن جمهور الناس الغَضبَ منه، ومن آرائه الجريئة، وفتحت صحيفة "الجزيرة" صفحاتِها للآراء حول الأدب العامي، ونشره بين المعلمي

(١) لقد جُمعت الآراء التي دارت حول رأي المعلمي في كتابٍ عنوانه " الشعر الشعبي شعر أم زجل".

ومن عارضه، واستمرت الآراء وقتًا طويلاً؛ كانت حصيلتُها كتابًا يَربو على ثلاثمائة صفحة؛ جُمع فيها أغلب ما قيل في هذه القضية من الآراء !، وأهم ما في هذه الآراء والمقالات أنَّها أظهرت بوضوح طويَّة الفكر العامي ، والمضمون الثقافي العامي بعيدًا عن الشعر " النبطي" البريء الساذَج المعبِّر عن مشاعرِ وانفعالِ أصحابه الذين لم يكن يَدُرْ في خَلَدِ أحدهم شيئًا عن أهداف وأبعاد الدعوة المنظَّمة إلى العامية، والشعر "النبطي" ! .

نعم هكذا تصنع سنَّةُ الترقي والتطور حينما تظهر أي دعوةٍ بريئةٍ ليس لها أهداف وأفكار سوى التذوق والاستئناس . . حتى إذا كانت شيئًا مذكورًا تلقَّفتها أيدي المغرضين، وقاموا سراعًا في نشرها وترويجها ، وتبرير مآخذها، ونصرة أفكارها، وحشد الأضواء حولها، ومهاجمة من يعاديها أو يحاول أن يحذر من أخطائها ! .

وهذا ماثلٌ في الشعر "النبطي" الذي بدأ يوم بدأ بريئًا يصوِّر براءة أصحابه ، وقرب أفكارهم . . حتى إذا دبَّت الرُّويبضةُ، وأطلَّت برأسها نافحت عن دعوتها إلى الشعر "النبطي"، واستماتتْ عند أقدامه حتى العظم ! .

* * *

# الفصل الثامن
# دور المنظَّمات الرَّسميَّة
# في نشر العامية، والشعر "النبطي"

إنَّ الدعواتِ إلى العامية، والشعر "النبطي" التي كانت في الوطن العربي منذ مناداة "سبيتا "، في عام ( ١٢٩٧هـ ) ، أي قبل ما يزيد على مائة عام، حتى ندوة التراث الشعبي في (١٤٠٥/٢/١١هـ) كانت آراء فردية يُعبر بها أفرادٌ من عامة الناس بشكل مقالات، أو محاضرات ، أو كتب تحمل آراءهم ، وتعلن أهواءهم، ويتعاطف معها من يستحسنها، ولم يحتضن تلك الدعوات مؤسسات فكرية، أو منظمات رسمية تجمع بين التنظيم والتمويل، ولم يسبق أن اجتمع للدعوة إلى العامية، والشعر "النبطي" في أيِّ بلدٍ إسلامي عددٌ كثيرٌ من المهتمين بِها، ولا قامت مؤتمرات، وندوات مخصصة لها تشرف عليها شخصيات علمية، وجامعات أجنبية .

أمَّا في الجزيرة، والخليج فقد بدأ التنظيم للفكر العامي، والشعر "النبطي" بعصر المؤسسات ذات التنظيم العالي، والاستقلال المالي والإداري، وذات الصفة شبه رسمية!.

فأنشأت : " مركز التُّراث الشَّعبي لدول الخليج العربي " !، الذي يضم في عضويته وزراء الإعلام في الدول المذكورة، ومقرَّه دولة قطر ، وقد بدأ المركز أعماله بداية قوية، وجريئة في نفس الوقت تمثلت في باكورة أعماله ، وهي الندوة الأولى التي أقيمت في الدوحة، من (١١-١٥/٢/١٤٠٥هـ)، واستمرت أربعة أيام، وحضرها عددٌ كبيرٌ من المهتمِّين بالتُّراث العامي، وعلماء الفلكلور، وأساتذة الجامعات من دول الخليج، والدول العربية، وجامعة "جنيف" بصفتها المشرفة على الندوة!، فقدمت الاستشارة، وخطَّطت لها، وتمخضت الندوة عن قرارات وتوصيات خطيرة، وآراء وأفكار لم يسبق أن طرح مثلها في جميع البلاد العربية التي عرفت الدعوة الصريحة إلى العامية .

فقد ارتكزت ندوة التخطيط للتراث الشعبي على محاور فكرية عبَّرت عنها الكلمات التي تبادلها المجتمعون، وظهرت مؤكدة عليها توصيات الندوة، وكان أهمها القناعة التي تجلت لدى المجتمعين بقيمة العامية، والتراث العامي[1] ! .

---

(١) يقول أحد الباحثين المجتمعين في ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي: لم نَعُد في حاجةٍ للدِّفاعِ عن التراث الشعبي الذي يمثل الدائرة الحيَّة المتواصلة في حياتنا !. انظر "الأدب الشعبي المقارن" بحث قدَّمه للندوة المذكورة : عبد الحميد يونس .

يقول رئيس مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية موجهًا كلامه إلى المؤتمرين حاثًّا لهم على الاهتمام بالعامية ، وبفكرها : " إن حِرصَنا على حماية التراث الشعبي لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفلكلور العربي، ومن رغبة أكيدة في البحث عن منبع أصالتنا، والتعرف على جوانب إبداعات أجدادنا لدراستها وتحليلها وحفظها ذخيرة لأجيالنا القادمة، وهو واجب وطني وقومي لأمتنا تطّلع به النخبة المثقفة من أبنائها الذي يعيشون التطور الاجتماعي، والاقتصادي لعالمنا العربي، ويحدوهم شعور أصيل في التشبث بالجذور الثقافية لأمتهم "[١] ! .

تلك أهم الأفكار التي لا ينثني محبو العامية والشعر "النبطي" عن ترديدها، وأجدرها بالمناقشة فكرة إن البحث عن منابع أصالة الأمة في الجزيرة والخليج هي في الشعر "النبطي" ، وأن الجذور الثقافية للأمة العربية كامنة فيه، وقد ردّد هاتين الفكرتين الكثير من كتاب الصحافة العامية[٢] .

---

(١) انظر : الجزيرة، عدد (٤٤٣٥) في (١٤٠٥/٢/٢٦هـ)، ومجلة الدوحة، (١٤٠٥هـ).

(٢) انظر: المقالات التي جمعت في كتاب "الشعر الشعبي شعر أم زجل"، حيث جاءت أقوال كثيرة تردّد هذا القول الذي يزعم أن منابع أصالة الأمة في الجزيرة العربية تكمن في العامية الدّارجة !! .

وقد كنَّا نظن - للأسف - أن مركزَ التُّراث الشعبي مؤسسةٌ محليةٌ أقامها أبناءُ الجزيرة عُشَّاقُ العامية، والشعر "النبطي" لقناعتهم بأهمية أدبِهم الشعبي، وفكرهم العامي فانطلقوا من هذه القناعة آخذين على عاتقهم مسئولية القيام بأعباء الاهتمام به، وأنَّ المركزَ وُجِدَ ليكون مؤسسةً محليةً إقليميةً تَهتم بتراث محلي إقليمي ، وتستمد أفكارها، ونظمها، وأعمالها من أبناء المنطقة التي تَهتم بتراثها دونما حاجة إلى عون من خارج الحدود - حدود منطقة الخليج - لأنَّ التراثَ تراثُ الخليج، و لم يخطر ببالنا أنَّ هناك تنظيمًا عالميًا يَرعى جهود المركز ويوجهه ويقرر له متى يدعو إلى مؤتمر عامي، ومتى لا يفعل ذلك ! .

فما تعرضت له ندوة التراث الشعبي كان رغبة آتية من وراء البحار، وفكرًا مغلفًا صُمِّمت لأممٍ غيرنا؛ وأُتي به ليُوظَّف عندنا، وإليكم النص الآتي الذي صرح به أحد كبار المسئولين عن المركز، وافتتح به ندوة تخطيط ودراسة الأدب الشعبي الأولى : " إن هذا الاجتماع جاء تلبية لدعوة من منظمة " اليونسكو "، ومنظمة " الويبو " لتدارس إمكانية تطبيق أحكام نَموذجية في الدول العربية . . بعد اجتماعات عديدة، وجهود موفقة من قبل المنظمتين في وضع

تشريع دولي في هذا المجال"[١] .

والمنظمتان اللّتان أشار إليهما الحديث السابق؛ منظمتان تعملان على تنمية الفكر الثقافي أُمميًّا بغض النظر عن خصائص أي مجتمع، وتمييز ثقافته، واستقلاله الفكري .

يقول مُمَثِّل " اليونسكو " في مؤتمر التراث الشعبي : " إن هذا الاجتماع يأتي تنفيذاً للقرار رقم (١) ، (١٥) الذي اعتمده المؤتمر العامي لـ "اليونسكو " في دورته الثانية والعشرين، وللقرارات التي اتخذها هيئات منظمة "الويبو " أثناء دورتِها المنعقدة في سنة (١٤٠٣هـ)، وقد عهد لهذه اللّجة المجتمعة، ابتداء من هذا اليوم بالدَّوحة بتحقيق مواءمة الأحكام النموذجية للتشريع الوطني المتعلق بحماية التعبير الفلكلوري من الاستعمال غير المشروع ، كما يأتي هذا الاجتماع تتمَّة لسلسة الاجتماعات التي نُظِّمت لنفس الغرض بـ"إمريكا "، و " أسيا "، و " إفريقيا "[٢] .

إذن نستطيع أن نقول : إنَّ الاستعانةَ بِنُظُمِ وتشريعات أكبر المنظمات الثقافية ، والفكرية ينقض الدعوى التي يَدَّعيها هؤلاء والتي تقول : " إن الأدب الشعبي أدب عامي محلِّي يستعملُه العامة

---

(١) انظر الجزيرة ، عدد (٤٤١١ ) في (١٤٠٥/٢/٢هـ ) .

(٢) انظر الجزيرة نفس العدد،والتأريخ .

والعاميون الذين لا يحسنون غيره، ولا يعرفون سواه "[١] .

ومركز التُّراث الشعبي لدول الخليج العربية أخذ كما أشار القائمون عليه والمجتمعون تحت رعايته نظم المؤسسات الفكرية العالمية وتشريعاتِها التي وضعتها جملة، وبدأ يحاول تطبيقها على ثقافة الأمة العربية والمجتمع المسلم مُحاولاً تطبيق النُّظم والأحكام الدولية على الدول العربية كما صرح بذلك المشرف العام عليه بعد أن دارت مناقشات واجتماعات حول الأحكام النموذجية للقوانين الوطنية الخاصة بحماية أشكال التعبير "الفلكلوري" من استغلالها بطرق غير مشروعة ، واستند إلى القرارات التي اعتمدتْها لجنة الخبراء الحكوميين الدولية في جنيف عام (١٤٠٢هـ) ، والتعليقات المعدَّة حولها لحماية "الفلكلور" على المستوى الوطني والإقليمي ، وتطبيق أحكام نموذجية للقوانين الوطنية في الدول العربية في هذا المجال[٢] .

يقول المشرف على مركز التراث : " بأن اللجنة ناقشت خلال اجتماعاتِها الأحكام النموذجية، والتعليقات الواردة حولها والمُعدَّة من قبل خبراء حكوميين ، وبجهود منظمتي "اليونسكو" ، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية "الويبو"، كما بحثت اللجنةُ مدى ملاءمة هذه

(١) سبقت الإشارة إلى تلك الأقوال .

(٢) انظر الجزيرة، عدد (٤٤١١) في (٢/٢/١٤٠٥هـ) .

الأحكام للتطبيق في البلاد العربية، واستعرض الخبراء المشاركون في الاجتماع الأوضاع الراهنة لحماية أشكال التعبير "الفلكلوري" في البلاد العربية الأعضاء في منظمة "الويبو" ! .

وقد أعرب مندوبو الدول المشاركة في الاجتماع عن ارتياحهم للنتائج التي تمَّ التوصل إليها والتي في مقدمتها : إقرار النتائج النموذجية في صيغتها الأخيرة ، واستعدادهم لحثّ دُولِهم على الأخذ بوضع تشريعات محلية على هُدى هذه الأحكام لحماية التراث الشعبي الذي يُعدَّ جانبًا من جوانبِ الثروة الوطنية القومية ! .

وقال : إنَّ الاجتماعَ على أرض دولةِ قطرٍ يُكسبُ أهميةً خاصةً لكونه أوَّلَ اجتماع من نوعه في البلاد العربية !، كما أنَّ نتائجَه سوف يُسترشد بِها في تحقيق أحد أهم توجهات الدول السبع الأعضاء في مركز "التراث الشعبي لدول الخليج العربية" التي اتفقت من خلال المركز على وضع تشريع خليجي لحماية التراث الشعبي في المنطقة ، وسيقوم مركز " التراث الشعبي " باتخاذ الخطوات العملية نحو إعداد هذا التشريع ، ورفعه للدُّول الأعضاء لتتولَّى حسب " نظمها " الدستورية، وبموجب ما تراه ملائمًا لأجهزتِها المعنية بِهذا الجانب"[(١)]!.

---

(١) انظر الجزيرة، عدد (٤٤١١) في (٢/٢/١٤٠٥هـ)، والرياض عدد (٥٩٥٥) في (١٧/١/١٤٠٥هـ) .

فمركز "التراث الشعبي" على حدِّ هذا النَّصِ ليس إلاَّ وسيطًا ناقلاً للنُّظمِ العالمية يطرحها، ويتولَّى تسويقَها في دُول الخليج؛ رُغم أنَّ مؤسسيه يتحدثون عن منابع الأصالة ، والجذور الوطنية، والقومية الإقليمية في الوطن العربي[١] ! .

والسؤال الذي لا بُدَّ منه هو : ما دام المسئولون عن مركز "التراث الشعبي" محتاجين إلى معاونةِ واستشارةِ مؤسسة علمية أكاديمية[٢]، مثل الجامعة المذكورة "جنيف"؛ فلماذا وقع الاختيار على جامعةٍ أجنبيةٍ ليست لغتُها العربية، ولا العامية المحلية ؟! .

لماذا لم يقع الاختيارُ على جامعةٍ محليةٍ خليجيةٍ في الجزيرة ؟، إن كان ولا بد ! .

علمًا أنَّ في الجزيرة أكثرَ من عشر جامعات تفوقُ في إمكانياتِها العلمية والمادية جامعة "جنيف"، كما أنَّ في هذه الجامعات العربية نخبةً من أبناء الخليج ممِّن لهم علمٌ بالتراث الفصيح والعامي، ومعرفةٌ ببيئة الجزيرة والخليج، وإدراكٌ بقيمةِ وأهميةِ الموروث الذي ينسجم مع حضارات الأمة ويتسق مع أهدافها الدِّينية، والاجتماعية، والسياسية، في حين أنَّ هذا العدد الكبير من الجامعات قد وُجِد وكُوِّن من

---

(١) انظر " الفصحى . ." لمرزوق ص ( ١٩٣ – وما بعدها ) .

(٢) الرياض ، عدد (٥٩٧٨) في (١١/٢/١٤٠٥هـ) .

أجل تطوير الفكر الذي يتناسب مع منطلقات آمـــال الأمــة، ولا يعارض أو يناقض أسس الفكر، والثقافة الخالدة ! .

فكان الأولى أن تستعين ندوةُ "التراث الشعــبي" بالجامعــات العربية والخليجية ، وتأخذ بنصيحتها، كما لا ننس أنَّ جامعةَ قطرٍ لا تَبعدُ عن مقرِّ الاجتماع إلاّ بضعة أميال !.

* * *

# الفصل التاسع
# دُعاةُ الشعر "النَّبطي"

إنَّ محبي العامية من المثقفين فئاتٌ، وكلُّ فئة منهم تختلف أسباب اهتمامها بالعامية عن الفئة الأخرى وهكذا، لذا ارتأينا بيان مناهج وأبعاد كلٍّ منها باختصار[١] :

**الفئة الأولى** : هي فئة ضعيفةٌ في تحصيلها العلمي؛ حيث أصبحوا يحملون شهادات تُقرِّرُ نجاحهم من المدارس العامة، والجامعات وتضعهم شهاداتُهم ومراكزهم الوظيفية في صفوف المثقفين؛ بينما هم لا يستطيعون التعامل المُتْقَن الذي يرضونه باللغة العربية، ولا يستقيم لهم قيادُ اللغة، ولا يرضون عن واقعهم وأساليبهم في فَهمِها؛ فانحاز هؤلاء إلى العاميَّة هربًا من وَصمةِ الجهل بقواعد العربية، وعدم إحسانها؛ مع أنهم محسوبون من المثقفين الذي يفترض فيهم أن يجيدوا لغة أمَّتهم، وهم بذلك يَرَوْنَ في العامية - بلا شك - مخرجًا من المواقف الحرجة التي لا يرضونها لأنفسهم.

---

(١) أمَّا العوام، والأعراب وغيرهم من شعراء "النبطي"،ممَّن ليس لهم من العلم شيءٌ فلم نجعلهم طائفةً مستقلةً كغيرها من الطوائف؛ بل ألصقناهم في الطائفة الأولى للتقارب النسبي بينهما .

ويَصدُقُ فيهم المثلُ السائر : " مُكْرَهٌ أخوك لا بَطَل "[١] .

ولم تقف هذه الفئةُ عند هذا الحدِّ من الإكراه، والإحراج الذي تَنَكَّبَتُه على مضضٍ واستحياء؛ بل تمادت في طريقها، وارتَضَت بجهلها حتى أشربتْ حبَّ العامية ، واستَبَدَّ الحبُّ بحواسها، وأصبحت لا ترى جمالاً، ولا تحس ذوقًا، ولا تسمع بغير جمال الشعر " النبطي" وذوقه، وكلُّ هذا على حين غفلة منها بالدَّوافع الأولى التي جرتها إلى هذا الحال !.

ولم ينته هذا الحدُّ بهؤلاء حتى تشعبت الطرقُ، وكثرت المسارب، ودخل معهم في هذا النَّفق المظلم العوامُ، والأعرابُ، والجهلاءُ، والرِّعاعُ، والبطَّالون .. وهكذا دخل الناس أفواجًا وزُمرًا!.

فأصبح موقف هذه الجموع الغفيرة من الشعر " النبطي" هو موقفَ المعجبِ المحبِّ الذي ينظر إليه بعين الرضا ، ويحاول أن يُجَسِّدَ فيه كلَّ فضيلة دون النظر إلى ما وراء هذا الاتجاه من أشياء، وما يترتب عليه من ضرر للثقافة الأصيلة[٢]، ويذهب أصحاب هذا الرأي

---

(١) انظر" أمثال العرب" ص(١١٢)، و"جمهرة الأمثال " (٢١٣/٢،٢٤٢)، و"خزانة الأدب" (٢٩٩/٧)، و"العقد الفريد" (١٣٠/٣)، و"مجمع الأمثال" (٣١٨/٢)، و"موسوعة أمثال العرب" (٤١٦/٥) .

(٢) انظر "الشعر الشعبي شعر أم زجل "، ص(٩٨)، ومواضع أخرى، ومجموع المقالات

المذهب البعيد عن الواقع، فيصفون الشعر " النبطي"، والفكر العامي بأنَّه أدب العَفْوِيَّة، وعدم التكلُّف، والشيء الذي يفي بالأغراض التي تعجز اللغة الفصحى عن الوفاء بِها إلى غير ذلـــك مـــن المنظومـــة المسمومة !.

وقد نقلت هذه الطائفةُ الموضوعَ حول الأدب العامي، وما لـــه وما عليه من كونه انطباعًا ذاتيًّا، ودفاعًا عن وُجْهةِ نظرٍ قابلةٍ للأخذِ والردِّ إلى قضيةٍ فكريةٍ مصيريةٍ ، وحاولت في سبيل الدفاع عن وجهة نظرها تأصيل الفكر العامي في نفوس الناس، وكلُّ هذا منهم علـــى حساب الفصحى ! .

وأصحاب هذه الفئة هم أكثر الطوائف، وأعظمها سوادًا بـــين الطوائف دون منازع أو مضارع، فهم أكثر من غيرهم عددًا لا عُدَّةً وفكرًا ! .

**الفئة الثانية** : أصِحاب المكاسب المادية والمعنويـــة كالشُّـــهرة والظُّهور . . الذين لا يجدون مكاسبهم لو وقفوا في صَفِّ الفصحى، فهذه الفئة جعلت وكدَها للعاميَّة والفكـــر العـــامي؛ تؤلِّـــف بِـــها

---

= التي طرحت في الصحف المحلية حول الأدب العامي واللغة العربية، وضع على غلافـــه؛ جمع : توفيق علي وهبة وسيشار إليه بـــ "وهبة ".

المؤلفات، ويباع من مؤلفاتِها عشرات الآلاف من النسخ ممَّا يَدُرُّ عليها مالاً في زمن المال، وكسبًا لا تجد مثله لو ألفت باللغة الفصحى ، ثم إن الكسب المعنوي الكبير الذي يتمتع به كتابُ الفكر العامي دفع بِهم إلى التَّوغل في سبيلها، وهم لا شك يتمتعون باحترام الكثرة من الناس، وينالون تقديرهم وهذا ينعكس على رواج آرائهم، ونشر أفكارهم، وقوة مواقفهم، وكلُّ ذلك دفع بالكثير من المثقفين إلى مغازلة العامة ، والسير أمام الناس حتى يكونوا قادة الفكر العامي ومُثُلاً لهم، وباهتمامهم بالعامية فكرًا وشعرًا تتحقق لهم الشهرة ، وذيوع الصيت، وهذا هو هاجس أصحاب هذه الفئة، ومن أجله يستميتون في سبيل العامية دون أن يفقهوا ما وراء ذلك من أسرارٍ وحقائقَ تَضُرُّ بأمتهم، وبدينهم، وبِهم أيضا .

وأصحاب هذه الفئة هم السَّاسة، والقادة الذين يحركون الطائفة الأولى، ويوجِّهونَها كيفما اتجهوا، فليس للطائفة الأولى من الإرادة إلاّ أنَّهم يدورون في فلكهم، ويرتمون في أحضانِهم، علموا أم جهلوا؛ إلاَّ أنَّ كليهما يَنخُرُ في لسانِ الأمة الإسلامية، ويفتُّ في عضدِ الفصحى!، علمًا أنَّ أصحابَ هذه الفئةِ أقلُّ عددًا لا عُدَّةً من الأولى.

**الفئة الثالثة** : فئةٌ واعيةٌ مُدركةٌ لأهدافها، تميزت بالذكاء الخارق، والقدرة على التعامل المنضبط المنظم، وأحسنت استغلال

الظرف الذي يمرُّ به التوجه الفكري العامي، وحال العرب والمسلمين في الوقت الحاضر، وهذه الفئة لا تعادي اللغة العربية الفصحى لذاتِها، ولكن عداوتُها لمحتوى العربية، وأسباب خلودها؛ وهي تعلم أنَّها لن تصل إلى شيءٍ، ولا تحقق شيئًا من غاياتِها ما دامت العربية تنالُ احترام الناس، وتفي بأغراضهم .

وذكاء هذه الفئة الحاد، وانضباط تنظيمها لأفكارها أتاح لها السير الآمن في ركاب موجة الاهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية ، والتقليل من قيمة اللغة الفصحى، وما تحتويه من موروث، وفي الوقت نفسه أتاح لها الفرصة أن تنادي بتقديس الموروث العامي الشعبي تقديسًا ينقل وظيفة الفصحى إلى هذا الموروث، ويسهل السبيل إلى التخلص من الماضي المملوء بالفكر ، والمجد، والتاريخ المشرق الذي لا يوافق ميل هذه الفئة، وأهدافها التي لا تستطيع المجاهرة بِها، وبفلسفتها ! .

وأصحاب هذه الفئة هم السُّم الزُّعاف، والعدوُّ الخفي، الذين يُديرون جميع الطوائف من خلف الأستار، وفي جوف الليل البهيم، وكلُّ ما سواها يحتطبُ في حبلها ، ويحتذي نعلها ؛ وليس لأي طائفةٍ الحقُّ أن تتمرَّدَ أو تخرجَ من أنفاقهم، وأسرابِهم، وخططهم المنسوجة، وأفكارهم المدروسة!، وهم مع هذا التأثير الكبير ثلةٌ قليلةٌ، وأفرادٌ

عميلةٌ، وإن كانوا أقلَّ من غيرهم عَددًا، فهم أكثرهم عُدَّةً وعتادًا، وفكرًا ومكرًا، وتوجيهًا ومكانةً ! .

**الفئة الرابعة** : فئةٌ جعلت من الشعر "النبطي" وسيلةً دعويةً إلى الإسلام ؛ مع اعترافها وإيمانِها بتقديس وتمجيد الفصحى ، وأنَّها الأمُّ والأصلُ .

وأصحاب هذه الفئة - ولله الحمد - لم يكن هناك يدٌّ تُدِيرُها، أو طائفة توجِّهها؛ بل غاية ما عندهم اجتهادات باردةٌ ، وعجلةٌ مضطربةٌ، وغفلةٌ ساذَجةٌ . . !.

وأصحابُ هذه الفئةِ أقلُّ الطوائف ولا شكَّ؛ إلاَّ أنَّهم مع هذا يزدادون يومًا بعد يومٍ، واجتهاداتُهم المضغوطة في الأشرطة الإسلامية مازالت في تسابق وتنافس[1] !، ولا أبالغُ إذا قلتُ : أنِّي لم أكتب سوداءَ في بيضاءَ هنا إلاّ من أجلهم، ونصحًا لهم، وخوفًا عليهم .

* * *

(١) قد أشرنا آنفًا أنَّ عددَ الأشرطة النبطية الدعوية بلغت حتى ساعتي هذه خمسًا وأربعين شريطًا !! .

# المبحث الخامس

## الفرقُ بين الشِّعر "النبطي"، والدَّعوةِ إليه

إنَّ الفرقَ بين الشعر "النبطي" والدعوةِ إليه واضحٌ جليٌّ؛ فلا يخفى أنَّ الجزيرةَ العربيةَ — ما عدا الحرمين واليمن — كانت أكثرَ بلادِ العربِ بُعدًا عن التعليمِ ووسائله، وبعدًا عن التأثير الذي أخذ يَهُبُّ على أطرافِ العالم الإسلامي آتيًا من الغرب، فكان كلٌّ ما بقي لها ولسكانِها هو السليقةَ العربيةَ، والحِسَّ اللُّغوي الذي أصابه كثيرٌ من العجمة والالتواء ، وطغى البناءُ العامي والتركيبُ المخالفُ لقانونِ العربيةِ الفصحى على الباقي من المفردات الفصيحة التي بقيت حَيَّةً متداولةً بين سكانِ الجزيرة الأُمِّيِّين .

وكان في قلب الجزيرة وأطرافها أحداثٌ تشبه ما قبل الإسلام ، عاد المجتمع فيها إلى مجتمع قَبَلي تحكمه عاداتٌ وتقاليدُ ونظمُ عرفيةٌ اصطُلح عليها، وصارت الحياةُ فيه على مثالِ ما كانت تسير عليه حياةُ أسلافِه الأوَّلين .

وعادت الحروب الدائرة ، والسلب ، والنهب ، والغزو في طلب الغنيمة، كما صار الدفاعُ عن الجار، وحمايةُ المحارم أمرًا يقوم به الفرد

والقبيلة، وتحكمه سيادة القوة، وأضحى الكرمُ، والجودُ، والشجاعةُ أساسًا يقومُ عليها بناءُ المجتمع العامي الجديد، وانتقض التركيب الاجتماعي الذي يجب أن يوجد مثله في مجتمع الأمة الإسلامية، وارتَدَّ إلى تركيب اجتماعي آخر مفكك الأطراف واهي الوسط ضعيف الاعتماد، وأصبح لهذا المجتمع نُظُمُه، وأعرافُه، وأساليبُ حياته، وقيمهُ الفاضلة الاجتماعية، والسياسية .

ولم يستطع الأميُّون تجسيد تلك القيم، ولا وصفها والحديث عنها باللغة الفصحى فألجأتْهم الضرورةُ إلى اللغة العامية، واللهجة الدارجة التي فسد بناؤها الفصيح المطابق لأصله ، وسجل بِها الشعراء الأميُّون شعرَهم ومآثرَهم وعاداتِهم في الحرب والسلم، ومع الجار والضيف والغريب ، وانفعلوا بالأحداث التي يعيشونَها فوصفوها كما رَأوْهَا، ولم يكن لهم في ذلك قصدٌ غير العجز عن الفصحى؛ بَلْه الحديث بِها، واستمرت العامية أقرب إلى ألسنةِ الناس، وأسرع إلى شفاههم؛ حتى بعد أن أعاد الله لهذه البلاد شيئًا من وحدتِها، وأمنها، واستقرارها؛ ولم ينقطع - للأسف - حبلُ العامية حتى بعد انتشار التعليم في الثقافة، والأدب، والحياة العامة !.

فالعامية، التي تمثلت هذه الأيام في الشعر "النبطي"؛ لا مجال للقضاء عليها، ولا مجال لإنكارها؛ لأنَّه لا تخلو لغةٌ من اللُّغات من

وجودِ الراقي أو ما يصطلح على تسميته بالفصحى، ووجود اللغة العامية الدَّارجة .

وقد أدرك أبو عبد الرحمن الظاهري الفرقَ بين العاميَّةِ والعوامِ في قوله : " إنَّنا ندعو إلى محاربة العاميةِ على أي لسانٍ وردت، ولسنا نحارب ما ينطق به العوام .. ففرق بين العاميَّة، وما ينطق به العوام"[(١)] .

إذًا الفرق واضحٌ بين إنشاد الشعر "النبطي" والدعوة إليه؛ فما ينطق به العوام ضرورةٌ وعجزٌ عن استعمال الفصحى .

وكذا لولا العامية لما تميَّزت اللغة الفصحى عن غيرها، ولم يُرَ فضلُها ورقيُّها إلاَّ إذا ما قورنت بما يجري على ألسنة العامة من استعمال، كما أنَّ العاميةَ ليس منها ضرر لأنَّها ليست فكرًا، ولا

(١) انظر "اللغة العربية بين القاعدة والمثال" لأبي عبد الرحمن بن عقيل، ص ( ٥٨ ) ، ومن المؤسف أنَّ أبا عبد الرحمن الظاهري قد تكلَّف الأقوال، واختلق الأعذار لـ "النبطي" وأصحابِه، وتنكَّب سَنَن كلام العرب، وقواعد اللغة في كتاباته عن "النبطي" !، وهذا كلُّه منه – للأسف – على حساب الفصحى . فليت شعري ألم يرضَ أبو عبد الرحمن بما عنده من نعمة الفصحى، وجواهر البلاغة ؟، أم أحسبه ممَّن يشتري بفصحى العربية ثمنًا قليلاً أو تقربًا لذوي الهيئات !، والله أعلم .

فمن قرأ مقدمة كتابه " الشعر النبطي . ." يعلم حقيقة التعسُّفات، والمغالطات، والتحكُّمات التي أراد من خلالها أن يقنع القارئ بأحكامٍ متناقضة ! ، كما أنَّ كتابَه هذا من بابه إلى محرابه ليس إلاَّ دعوةً صريحةً للعاميةِ والدعوة إليها حقيقةً أو حكمًا ! ، فليس لنا بعدَ هذا إلاَّ أن نذكرَه بقول الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾! الآية .

هوىً متَّبع؛ علمًا أنَّ العاميَّ لا يرضى بلغته العامية، ولا يرفع بها رأسًا فضلاً أن يعارضَ أو يزاحمَ الفصحى، ويَوَدُّ لو يستطيع الأحسن فيستعمله؛ لكنه لا يستطعْ حيلةً ولا مخرجًا ممَّا هو فيه من الدرك الأسفل، والأمثلة على سُمُوِّ الناس إلى استعمال اللغة الفصحى متى أتيحت لهم أسبابُها واستطاعوا إجادتَها كثيرة فمن ذلك ممَّن هم في عصرنا :

الشاعر : محمد بن عثيمين؛ حيث بدأ حياته بنظم العامية، والشعر "النبطي" يوم نشأ في بيئةٍ عاميَّةٍ فرضت عليه الشعر بها؛ ولكنَّه استطاع التَّعلُّم خلال تنقله في طلب الرزق، والاتجار في البحرين، وقطر، ووسط الجزيرة، وأجاد الفصحى فارتقى بأدبه، وشعره إليها حتى أصبح شاعرَ الجزيرة العربية في وقته، وارتفع عن الشعر "النبطي"، ولم ينظم منه شيئًا بعد ذلك، ولم يُضَمِّن ديوانَه غير الفصيح من الشعر الذي كان فيه صدىً قوي لحركة التجديد، ونشاط الفكر، والبعث الثقافي في جزيرة العرب[1].

وكذا معاصرُه : محمد بن بليهد الذي قضى شطرًا من عمره يتنقل في براري الجزيرة العربية، ويعيش مع القبائل الضاربة فيها، وقد

(١) انظر ديوانه.

تحدث عن حياته مع القبائل في كتابه " صحيح الأخبار "، وأسهب في وصف الكثير من عادات العرب، وتقاليدها إبان الضعف السياسي، والتمزق الذي أصاب الجزيرة، وران عليها حقبًا متتابعةً، وكان أديبًا في وصفه، صادقًا في حديثه أمينًا في نقله، شاعرًا وُهِبَ ملكة الشعر فقال العامي وأحسنه واستمر عليه؛ حتى بدأ عصر الاستقرار السياسي، والوَحْدَة في الجزيرة، ونال شيئًا من العلم فاتجه إلى الأدب الفصيح العربي، وارتفع إلى الشعر الخالد، ولم ينظم بالعامية بعد الفصيح إلا القليل .

وكذا الشاعر : حسين سرحان ، وهو ممَّن تستوي عنده القدرة على قول الشعر الفصيح والعامي، وقد نظم الكثير من القصائد العامية يجاري فيها أصدقاءه ، ويظهر قدرته على الإحسان فيها ؛ ولكنه لم يسمح لنفسه، ولا لأدبه أن يشوبه شيء من الشعر العامي ، وقد نُشر له ديوانان من الشعر الفصيح[١]، الذي أربى على الجودة، ولم ينشر له قصيدة عامية واحدة رُغم جودة شعره العامي، وقدرته على التصوير، وبلوغه الغاية فيما نسب له منه .

إذن العامية والشعر "النبطي" لا خوف منهما على الفصحى،

---

(١) انظر إلى الديوانين "أجنحة بلا ريش، والطائر الغريب"له .

والموروث الإسلامي ؛ لأنَّ أصحابَهما لا يملكون فكرًا، أو أهدافًا، أو أغراضًا أو غير ذلك ممَّا هو من إفرازات دعـــاة العاميـــة، والشعـــر "النبطي"؛ بل غاية ما هنالك أنهم لا يحسنون استعمال الفصحى، ولا يطيقون قيادها[١] .

فالحديث حينئذٍ منصبٌ على الفكر العامي الذين يتبنَّاه المثقفون كقضيةٍ فكريةٍ جدليةٍ يثيرون حولها الآراء، ويدافعون عنها بكلِّ مـــا يملكون من وسيلةٍ ! .

كما لا يخفى أن الهدفَ من نشرها بِهذا التَّوجُّه السَّائد ليس هو الإعجاب بالعامية، أو ما تحويه من تأريخ - زعموا -؛ ولكنَّه رغبـــةُ التَّقنين لها، وإثرائها حتى تصبح لغةً سائدةً على شتَّى برامج الحيـــاة، وكذا مزاحمةً للفصحى قاضيةً عليها، وإن لم يكن هذا القصـــد واردًا في حُسبان محبِّيها اليوم لكنه سيكون النتيجة الحتمية رضينا أم أبينا ! .

* * *

(١) انظر فحوى هذا القول في مجلة "المجلة" تحت عنوان "لغتي العامية هي فصحى الحيـــاة"، عدد (٢٥٠) في (١٤٠٥/٣/٨هـ) .

# المبحث السادس
# أخطاءُ الدَّعوةِ إلى الشِّعر "النبطي"

إن أخطاء الدَّعوة إلى الشعر "النبطي"، ونشره بين النَّاشئة لم تَعُد من الخفاء بمكان، أو في حاجة إلى التنقيب والتفتيش؛ فهي في الحقيقة دعوةٌ سافرةٌ تحمل في مضامينها ومثانيها زعزعت اللغة العربية، وإفساد اللسان العربي، واجتثاث ما يمكن اجتثاثه ممَّا له صلةٌ بالدِّين الإسلامي من موروثٍ، وفكرٍ، وتأريخٍ .

فالدعوة إلى الشعر "النبطي" في حقيقتها مجمعٌ لكلِّ خطأ لُغوي؛ مع ما فيها من أخطاءَ شرعيةٍ لا تقل أهمية من العدوان على اللغة العربية [1] .

**فمن تلك الأخطاء :**

**الأول** : الترويج لمخططات أعداء الإسلام الذين لم تقف نواياهم من هدم الإسلام بكلِّ وسيلة كانت؛ لا سيما العدوان على

(١) لم أتكلَّف ذكرَ شيءٍ من الأشعار النبطية في كتابي هذا؛ لأنَّنا والنبطيين متفقون جميعًا على أن الشعر "النبطي" لا يتقيد بالقواعد النحوية، والعلامات الإعرابية، والبحور الشعرية .. لذا لا يحتاج المقام هنا لذكر شيءٍ من شعرهم تدليلاً أو شاهدًا على ما نقول. فتأمل .

اللغة العربية؛ كما أوضحناه آنفًا، بغض النظر عن نوايا دعاة "النبطي".

فدعاة العامية في شعرهم "النبطي" ليس لهم من العلمِ والذَّوقِ والجمالِ إلاّ ما كان في العامية من أدب، وقصص، وحكايات .. إلخ، وهذا يعتبر - للأسف - أقصى علمهم من الحياة الدنيا ! .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الآية [ الروم : ٧ ].

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ الآية [ النجم : ٣٠ ] .

والأهم من ذلك كلّه هو أنَّهم لا يستطيعون إدراك الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية، ويهدد فكرها، ووَحدَتَها، وكيانَها لو قُدِّر للعامية النجاح في الأقطار الإسلامية، وعلى الأخص في الجزيرة العربية، لأنه لا يدرك خطورة ذلك إلا الذي يستقرئ التاريخ، ويدرك بوعي حياة اللغات، وأهمية وظيفتها، وأسباب ضعفها وقوتِها، ويعرف كيف تنقسم إلى لهجات تصبح مع مرور الزمن لغات شتَّى مستقلة ، ومختلفة كل الاختلاف عن الأصل الذي تطورت عنه ، فإن ذلك لا يتسنَّى إلا للمتخصصين من أهل العلم وأرباب اللغة العربية ، أما دعاة العامية فبينهم وبين هذا بعد المشرقين .

والعامية لدى بعض علمائنا معروفة مألوفة، وبعضهم يتذوقها بحكم الوراثة، والبيئة، ويسمع أشياء ألفها في حياته اليومية الخاصة

والعامة، ومعرفة بعضهم بالدَّسِّ، والمؤامرات التي يحيكها أعداء المسلمين ضد اللغة العربية قليلة، ولهذا السبب لم يدركوا ما وراء نشاط الفكر العامي من أهداف لم تتضح للعيان بعد، وقد صَدَّق بعضُهم بغفلته، وحسن نيته ما كان يقوله أحد زعماء النصارى وقساوستهم في زنجبار، الذي ابتلع دولة عربية إسلامية بعد قيامها، وألغى اللغة العربية القائمة فيها، وخلطها مع غيرها من لغات أخرى، وحوَّلها من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وكان يخطب بالناس عندما فعل ذلك قائلاً: " إن اللغة العربية لم تَعُد مستعملةً في غالبِ البلدانِ العربيةِ في قلب الجزيرة العربية؛ فكيف تُريدونها تبقى في زنجبار ؟ " .

ولم يُصدِّق العربُ، والمسلمون ما قال حتى قامَ وفدٌ بزيارةٍ إلى دولته، ويبدو أن هذا الوفد - للأسف - لا يعرف شيئًا عن مزاعم هذا القسيس، ولا يعلم شيئًا عن تأريخ الدولة التي يزورها، ولا عن تكوينها السياسي على الرُّغم من أنه لم يمضِ على بلوى إخوانهم العرب والمسلمين فيها غير عددٍ قليلٍ من السنوات، فاستقبلهم الرجلُ استقبالاً حارًّا ذكيًّا، وأدرك أبعاد وعيهم من أول لقاء معهم؛ فبالغ في إكرامهم، وهيأ لهم طائرةً خاصةً يَتنقَّلون عليها لزيارةِ اتحاد دولته العربية الإسلامية بالأمس، والإفريقية العلمانية اليوم، وضمَّ إليهم

عددًا من رجال استخباراته يرصدون حركاتِهم ، وكلٌّ ما يقومون به من أفعال ، وهذا شيء يعرفه كلُّ من له مسكةٌ من عقل، فما كادت تستقل بِهم الطائرة وهم متجهون إلى الدولة العربية المسحوقة حتى رفعوا عقائرهم بأبيات من الشعر "النبطي" فسجل المرافقون عليهم ذلك، واتخذوا هذا الموقف حجةً يُحتج بِها على أن بعض العرب لا يتكلمون العربية! .

فعل الوفد ذلك وهم في رحلة يدعون فيها إلى الله ! ، ويفترض في مثل حالهم أن يقرأوا : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ ، وأن يَرْعَوا وقار العلم، وسُمُوَّ الْمهمة التي هم في سبيلها ، وأن يترفعوا عمَّا هم فيه من لَغْو القول، لكنَّهم لا يعرفون الدسائسَ والمؤامرات، ولا ما يسجله عليهم مرافقوهم، وما كاد يعود المرافقون حتى ذكروا ذلك، وحاضروا عمَّا حصل تأييدًا لما يزعم الرئيس[1] .

فدعاة "النبطي" إذًا ليسوا ببعيدٍ عن أهداف مدارس الاستشراق القديمة التي كانت تحاول جادةً في تأصيل العامية، ومدِّها على حساب الفصحى، وإعطائها المساحة التي كانت للفصحى .

---

(١) انظر " الفصحى . . " لمرزوق ( ٢٩-٣٠) باختصار .

في حين كانت العامية منتشرة في البلاد العربية الأمر الذي شجَّع الكثيرين منهم على التطاول على اللغةِ الأمِّ أملاً في زحزحتها عن مكانِها، لأن في البعد عنها بعدًا عن مصدر القوة التي تخشاه أطماع الأعداء، ولأن حجبها عن الأجيال المقبلة في غاية الأهمية بالنسبة للغرب حتى يحقق ما يريد إذا سدَّ مسارب الاتصال الذاتي، والأخذ المباشر من معين اللغة الفصحى، وفي ذلك أيضًا فصلٌ لوَحدة الأمة ، وتفكيك أجزائها إلى أقاليم ، وأقطار لكلٍّ منها عاميته الخاصة به التي سينعكس عليها اهتمامه، وتصبح لهم بمثابة الفصحى ! .

لذا كان الغرض وراء اهتمام الغرب بالعاميَّات، وتعلمها، وتأسيس المدارس لها، واستقدام المعلمين من العالم العربي ومن الغربيين تجلت نتائجه، وظهرت أهدافه عندما وقعت الحرب العالمية الأولى، واستعمرت البلاد العربية والإسلامية، وقامت كلُّ دولة مستعمرة بمحاولة تحويل الأمة عن لغة تراثها ، ودينها، وحضارتِها إلى لغات عاميَّة ضعيفة ركيكة تضر ولا تنفع، وهذه التجربة التي حدثت وعُرفت نتائجها كان من الأجدر بنا أن نَحْذَرَ من تكرارها مرةً أخرى، وأن لا نكرر المحاولات التي بدأها الأعداء، وألاَّ ننخدع بما جدَّ من جديدٍ في فَنيِّات القضية، وتبريرات الدعاة الجدد إلى العامية اليوم ؛ إذ كان الأولى بِهم أن يأخذوا العبرة مما سبق لا سيما بعد

معرفة نتائجه، وانكشاف أهدافه .

فعند المقارنة بين دعاة العامية في الماضي - المستشرقين - ودعاتِها اليوم تنكشف الحقيقة لكلِّ ذي عين أنَّهما وجهان لعملة واحدة سوقها معروفة، ونتيجتها الضرر بأمة الإسلام عن طريق التحرش بلغتها العربية.

**الثاني** : العدوان على اللغة العربية، وذلك في نشر العاميَّة الملحونة الركيكة والدفاع عنها، وبثِّها بين الناشئة لتزاحم الفصحى كما هو الحال.

فنشر "النبطي" بِهذه الصُّورة أنسى المهتمِّين به ثغرةً قاتلةً سيتسرَّبُ منها ما لا يتوقعه ولا يدركُه الكثيرُ منهم . هذه الثغرةُ هي تربيةُ عامةِ الأمةِ على حبِّ العاميةِ وتقديسِ موروثها وتفضيلها على الفصحى، ومع مرِّ الزمن لن يكون هناك صعوبة من التَّحول التدريجي إلى العاميةِ وهجر العربية الفصحى؛ وليس حدوثُ ذلك مستحيلاً لا عقلاً ولا شرعًا؛ وإن ردَّد العوامُ وأصحاب الأهداف هذه الآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

**الثالث** : إبعاد الناشئة عن تدبرِ وفَهم كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بحملهم على هجر اللسان العربي الفصيح الذي أُنزل بِهما الكتاب والسنة، وهذا مشاهدٌ عند أكثر أبناء

الجزيرة، فضلاً عن غيرهم .

فالهدف من انتشار العامية في الجزيرة والخليج هو الهدفُ نفسُه من المحاولات التي سبق أن تكرر مثلها في أجزاءَ من الوطن العـــربي والإسلامي؛ وهو فصل الأمة ـــ في نِهاية المطاف ـــ مـــن تاريخـــها الحضاري القوي، وحتى عن دينها، ثم قطع صلة الحاضر الضعيـــف الذي تعيشه عن تأريخها الأصيل الذي يجب ألاَّ ننساه، وليس الأمـــر تخمينًا، ولا رجمًا بالغيب؛ ولكن محاولات حدثت في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ منها ما حقق النجاح، ومنها ما مُني بالفشل الذريع .

**الرابع** : الإسراف في إبعاد الناشئة من أبناء المســـلمين عامـــةً، والعرب خاصةً عن تَعلُّم اللُّغة العربية والاعتناء بِها ، ومعرفةِ قواعدها وآدابِها وتذوق أشعارها، والاهتمام بدواوينها ومعاجمها؛ كما هـــو واقع الناشئة هذه الأيام ؛ بل سرى هذا الدَّاءُ العُضالُ - للأســـف - إلى بعض طلبة العلم الشرعي كما هو واقع بعضهم!؛ حتى أنَّ بعضهم لا يحسن " المقدِّمة الآجُرُّومية " التي تعتبر من أصغر كتـــب النحـــو المختصرة فضلاً عن غيرها[١] ، في حين نجدُه من الشعراء الفحـــول

(١) " المقدمة الآجرومية" نسبةً إلى صاحبها محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبدالله النَّحوي المشهور بابن آجروم (٦٧٢-٧٢٣هـ)، وأجروم باللغة البربرية تعني : الفقـــير الصوفي، ومقدمته هذه تعتبر من أشهر المختصرات في علم النَّحو، وقد غلب على مقدمته =

الذين غشَّهم دعاة "النبطي"، وأُشربوا الجهل في قلوبِهم ! .

فالاعتناء إذًا بالشعر "النبطي" بِهذه الصورة المخيفة يعتبر سَـــدًّا منيعًا يقف في وجه اللُّغة العربية ، وفي طريقها الواسع؛ الأمر الذي لم تعرفه من قبل ! .

**الخامس** : تزوير الحقائق؛ وذلك بغَشِّ الناشئة في قولنا : فـــلانٌ شاعرٌ "نبطي" ، وهذا ديوانُ شعرٍ "نبطي"، إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وأسلافكم ما أنزلت العرب بها من ســـلطان !، فليـــس لهـــذه الأوصاف شيءٌ من الحقيقة؛ بل كلٌّ هذا لا يَمُتُّ بصلةٍ إلى حقيقـــة الشعر العربي الفصيح بجميع ضوابطه، وشروطه، وأوزانــــه . . إلخ، وأكبر مقتًا من ذلك حينما تتوِّجُ الصحفُ، والنـــدواتُ، والإعـــلام أشخاصًا بأسماءَ مزورةٍ ما كان لهم أن يسمعوا بِها ، أو يقربوها فضلاً من أن ينالوها ويُحَلَّوْا بِها ! ، وهو وصفهم بالشعراء، والأدباء، وهـم لا يحسنون أولويات اللغة، وقواعدها النحوية، فإلى الله المشتكى .

**السادس** : قَتلُ الذَّوق السليم عند الناشئة وطمسه عند نشرنـــا للشعر "النبطي" الممجوج الركيك الملحون لغةً وخطًّا .

=

المذهب الكوفي بما أورد من مصطلحات، وآراء كوفية، وقد نفع الله بِها؛ لذا قلَّما يشرع طالبُ علمٍ في النَّحو إلاَّ ويبدأ بِها، ولها شروح كثيرةٌ تفوق الحصر مـــا بـــين مبســـوطٍ ومختصرٍ .

**السابع** : الإسراف في تجهيلِ، وبُعـــدِ الناشئـــة عـــن لغتـــهم الفصحى، وإحلال اللَّهجة العامية الدَّارجة بينهم؛ ممَّا يزيدُ الشُّقة بين ماضي الأمة وحاضرها .

**الثامن** : اختلاق العوائق والحواجز، وشقُّ الأنفاق بـــين فَـــهم كتاب الله، وسنةِ نبيه صلى الله عليه وسلم؛ حينما نجعل من الشعـــر "النبطي" وسيلةً دعويةً إلى الإسلام ومبادئه ؛ وذلك عندمـــا يخـــرج علينا في الأمد القريب جيلٌ لا يمكن الخطاب معه بالكتاب والسنة إلا عن طريق اللهجة العامية الملحونة الركيكة المتمثلة في الشعر "النبطي"!

**التاسع** : إنَّ قولَنا : هذا شعرٌ "نبطي"، مجازفةٌ وقـــولٌ منكـــرٌ لوجود الفوارق بين الشعر العربي الفصيح ، والشعر "النبطي" الجريح، فمن تلك الفوارق، لا كلِّها :

١-أن الشعر "النبطي" لا يلتزم بالقواعد النحوية .

٢-أنه لا يلتزم بالقوافي، من حيث أصلِ وبِنية الكلمة العربيـــة، لا من حيث بنائها العامِّي المصنوع .

٣-أنه لا يلتزم بالبلاغة، وأحوالها، وعلومها .

٤-أنه لا يلتزم بالوزن، والعَرُوض، وبحور الشعر الستة عشر .

٥-أنه يستخدمُ كلماتٍ غريبةً مكسَّرةً مصنوعةً لا نعلـــم لهـــا أصلاً في المعاجم العربية والعجمية على حدٍّ سواء؛ أملتـــها عليـــهم

الجهالات والبيئة، وليت العجب ينتهي عند هذا الحدّ؛ بل أشد منه أولئك النَّفر الذين لم يبرحوا يتكلّفون الأعذار، والتبريرات لهذه الكلمات "المستعجمة " التي يلهجُ بِها "النَّبطيُّون " في أشعارهم؛ فمرَّةً يتعسفون في إرجاعها إلى أصول عربية ، وتارةً يعرِّبونَها من أكياسهم وبنات أفكارهم، وأخرى يغمضون أعينهم إذا ضاقت بهم الحيل، ومن تلكم "المستعجمات النبطية ": ما هُوبْ، وعَسِيبْ، واللّي . . وغير ذلك ممَّا يعسر حصرها[1] .

٦-أنه لا يُحسن استخدام كثيرٍ من المفردات العربية؛ بل نجدُه يستخدمها في غير موضعها، ومعناها !، مثل : الهرج : فقد أجمعوا على استخدامها بمعنى : الكلام ، وهذه جريمة في حق اللغة العربية !، وغير ذلك ممَّا يعسر حصرها .

**العاشر** : تَحمُّل الإثم والوزر؛ حينما يجتهد دعاة "النبطي" في نشره بين الناشئة، وأبناء المسلمين، كما قال صلى الله عليه وسلم : **«مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً يُعمَلُ بِها مِن بعده، كان له أجرُها، ومثلُ أجرِ من عمل بِها مِن غير أن يَنقُصَ من أجورهم**

---

(١) ومن هؤلاء النَّفر : محمد بن أحمد العقيلي، وسعد البازعي، وسعد الصويان، وطلال السعيد، ومحمد بن سعيد كمال . . وغيرُهم كثير، وعلى رأسهم الأساتذة : حمد الجاسر، وعبد الله بن خميس، وأبو عبد الرحمن الظاهري !! .

**شيئًا، ومن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيئَةً يُعمَلُ بِها مِن بعده، كان عليه وِزرُها ووِزرُ من عمل بِها مِن غير أن يَنقُصَ شيئًا »** أخرجه مسلمٌ[١] .

**الحادي عشر** : التعاون على الإثم والعدوان، وذلك بتكثيرِ سوادِ أعداءِ اللغة العربية من شعوبيةٍ، ومستشرقين وغيرهم؛ لأنَّ في الدعوة إلى الشعر "النبطي" نُصرةً، وتعزيزًا لمخططاتِهم، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة : ٢] .

**الثاني عشر** : الاهتمام بالشعر "النبطي" في بلاد الجزيرة والخليج يُعدُّ شكلاً آخر من أشكال العُدوان على لغة العرب .

فالاهتمام بالشعر "النبطي" مهما اختلفت صوره سوف يؤدي في النهاية إلى النتائج التي تمخضت عنها جهود "أتاتورك"[٢] ، و"نيريري" وغيرهما من أعداء الأمة الإسلامية، وأعداء لغتها، وثقافتها

---

(١) انظر "صحيح مسلم" ( ١٠١٧)، والنسائي ( ٥-٧٥،٧٧) .

(٢) مصطفى كمال أتاتورك ابن علي رضا، الطَّاغية الدِّكتاتوري، هلك سنة (١٣٥٧هـ)، قام بالحركة الوطنية، وفصل الدين عن الدولة، وأبطل العمل بقواعد الشريعة وأحكامها، واستبدلها بالأحكام الوضعية، وألغى الخلافة الإسلامية، وقام باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وترجم القرآن إلى اللغة التركية، وألزم الناس بالتعبد بِها، وحرَّم التدريس باللغة العربية، وغير ذلك مَّما هو مبسوط في كتب التأريخ . انظر "الأعلام الشرقية" لزكي مجاهد (١/٥٠).

شئنا، أم أبينا!، والأحكام إنما تقوم على النتائج لا علـــى النيَّــات، والوسائل قد كثرت وتعددت، ونتائجها واحدة وهي إضعاف وَحْدَة المسلمين وهدم كيانهم، والتصدي لموروثهم الحضاري .

فالعرب إذًا لا يختلفون في وضعهم القائم عن تركيا أثناء حركة "أتاتورك"، هذا إذا علمنا أنَّ اختلافهم المذهبي، والفكـــري عـــاملٌ مشجعٌ يدفع أي محاولة تضر بِهم إلى الأمام.

**الثالث عشر** : العامية في أصلها لغةٌ منطوقةٌ غــــير مكتوبـــة ، وكتابتُها أو كتابة مادتِها تعتبر تقعيدًا، وتقنينًا، وتثبيتًا لصورةِ إملائها في الأذهان حتى يألفها الناس، وكلُّ هذا على حساب تعليم وفـــــهم قواعد الإملاء التي رسمها أرباب اللسان وعلماء الخط من أهل العلم .

وقد رأينا بعض بوادر وطلائع هذه العادية على أكثر اللَّوحات التجارية، والإعلانات السوقية !!.

**الرابع عشر** : لا يخفى أن الغلط في اللغة أقبح من اللَّحــــن في الإعراب ، وأبعد من مظانِّ التصحيح لرجوعها إلى النقل دون القياس فيكون الغلط فيها أسرع تفشيًا وأشد استدراجًا للسقوط في دركات الوهم، والعجب هنا أنك كثيرًا ما ترى أناسًا من متقدمي الكتـــاب، وذوي القدم الراسخة في اللغة والإنشاء يعتمدون أحيانًا على التقليد، وربما قلدوا من هو دونَهم من أصاغر أهل الصناعة حتى فشا النقــــل

بين تلك الطبقات كلِّها ! .

يوضِّحُ هذا أن أكثر ألفاظ الجرائد، والصُّحف، والإعلام المسموع والمرأي لها لغتها الخاصة؛ مِمَّا يستدعي أن يكون لها معجمًا خاصًا يميِّزُها ويخرجها عن معاجم اللغة العربية ! .

**الخامس عشر** : كما لا يخفى أنَّ الغلطَ في الإعراب يعدُّ عيبًا فاحشًا، كعيب الجدري في الوجه الحسن .

لذا نشط أهل العلم من أرباب اللِّسان في تتبع الأخطاء اللُّغوية، والشُّذُوذاتِ الإعرابية كما مرَّ معنا بعضها آنفًا .

وربما آثر الرجلُ العاقلُ السكوتَ على الكلامِ مخافةَ أن يقعَ منه لَحْنٌ يُشِينُ به وَقارَه، وموفورَ عقله، ويُفسدُ مجلِسَه؛ أمَّا اليوم "فحدِّث ولا حرج" فقد خفَّت عقولُ أكثرِ العقلاء ، وهانت مراتبُ الرجال في مجالسهم ، وطُفِّفت موازينُ ألسنتهم، يوم تجدُ الرجلَ منهم يضحكُ ملءَ شِدقيه، ويأكلُ ملءَ فكَّيه، ويهذي طولَ نَهارَيْه دونما حياءٍ من سامعيه ؛ حتى أصبح اللَّحنُ سجيَّتَه، وأضحت الرَّكاكةُ ديدنَه، وأمسى الغلطُ طبعَه، أمَّا إن سألت في مجلسه عن اللسان العربي أو رجوت الفصاحة فبينه وبينها بُعد المشرقين؛ بَلْه لا يَعدُّ الفصاحةَ إلاَّ تشدُّقًا وتكلُّفًا في الكلام، وبعدًا عن الحضارةِ، وتأخرًا عن التَّقدُّمِ، ورجوعًا إلى الوراء، وإحياءً للماضي الذي يشمئزُّ من ذكراه !! .

أمَّا اليوم – للأسف – فيعتبرُ بنو قومـــي – أهـــل الجزيـــرة – اللَّحنَ، والرَّكاكةَ، والتكسيرَ، والفسادَ اللُّغوي، ومخالفةَ سَنَنِ كـــلامِ العرب . . شعرًا وأدبًا نبطيًّا !! .

وصدق أبو الطَّيب المتنبي في قوله :

**ومَنْ يَكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجدْ مرًّا به المـــاءَ الزُّلالا**[1]

وممَّا يندى له الجبينُ، ويحزنُ له القلبُ أنَّنا نجدُ بعض المنســـوبين إلى عداوة الفصحى يثأرون للغة العربية، وينافحون عن قواعدهـــا، ويستميتون في الدفاع عن إعرابِها؛ في حين نجدُ أبناءَ الجزيرةِ يتنكَّرون لعربيتهم، ويتجاهلون قواعدَها، ويتشرَّفون بأن يكونـــوا مـــن ذوي اللَّحنِ والرَّكاكةِ فيما يسمَّى بالشعر "النبطي"! .

فعذرًا حينئذٍ أن أستشهد بقول بعض رموز الحداثيين من أعداء اللغة العربية والدين، الذين ما أردتُ ذكرَ أسمائهم فضلاً عن أقوالهم؛ إلاَّ أنِّي أردتُ أن يعلمَ أبناءُ العربيةِ من أهلِ الجزيرةِ أنَّ هنالك من يثأرُ ويغارُ على لُغَتِهم ، ويدافع عنها يوم تتخلَّى عن الذَّبِّ عنها؛ هذا إذا ما تنكَّروا لقواعدها، وأعانوا أعدئها عليها، فالله المستعان على مـــا يصنعون ! .

---

(١) انظر "ديوان المتنبي" ( ١٨٦ ) .

تقول "نازك الملائكة" الحداثية : " تتجلَّى لمن يراقب النَّقدَ العربي المعاصر ظاهرةٌ خطيرةٌ شائعةٌ فيه، ملخَّصها أنَّ النقادَ يتغاضون تغاضيًا تامًا عن الأخطاءِ اللُّغويةِ والنحويةِ والإملائية؛ فلا يشيرون إليـــها ولا يحتجون عليها؛ وكأنَّهم بذلك يفترضون أن من حَقِّ أيِّ إنســـان أن يخرقَ القواعدَ الراسخةَ، وأن يصوغَ الكلماتِ على غـــيرِ القيـــاس الواردِ، وأن يبتدعَ أنماطًا من التعابيرِ الرَّكيكةِ التي تخـــدش الســـمع المرهف . .، ولقد أصبح هذا التغافلُ هو القانون النافذ في كلِّ نقـــدٍ تنشره الصحفُ الأدبيةُ؛ حتى لقد يتصدَّى النـــاقد إلى نقـــدِ ديـــوانِ شعرٍ مشحونٍ بالأغلاطِ المخجلةِ فلا يزيد على أن يَكيـــلَ كلمـــاتِ الإعجاب للشَّاعر على تجديده وإبداعه!، مُهملاً التعليقَ ولو بكلمـــةِ زجرٍ عابرةٍ على فوضى التعابير والأخطاء ! ، أفلا ينطوي هذا الموقفُ من النقاد على تشجيعٍ واضحٍ للجيل كلِّه على الاستهانة باللغة العربية والاستخفافِ بقواعدها الرصينة . .؟!.

وقد تبلورت هذه العقيدةُ الزائفةُ في أنفس الشعراء والكتـــاب حتى أصبحت تعني لديهم أنَّ التشديد يتجلى فعلاً في ازدراء القواعد النحوية ، وإهمال المعجم والمقاييس اللغوية التي تعترف بِها الأمة كلّها . . - إلى قولها - : " ثم إن قضيةَ اللغة العربية يجب أن تكون أعـــزَّ علينا من سمعتنا الشخصية باعتبارنا كتابا مجدِّدين - أي حداثيين -!.

وقالت - أيضًا - : " إنَّ كلَّ خروجٍ على القواعـــدِ المعتـــبرة يُنقصُ من تعبيريةِ الشعر ، ويُبعدُه عن روحيةِ العصر؛ ولسنا على كلٍّ نفهم لماذا يريد الناقد أن يكون الشاعرُ الحديثُ طفلَ اللُّغـــةِ المُدلَّـــل فيخطئ، ويرتكب المحظورات ما شاء دون أن يُحاسب ؟ !"(١) .

**السادس عشر** : يعدُّ نشرنا للعامية في ثوبها الجديد – الشعـــر "النبطي" – في الجزيرة والخليج مصدرَ قلقٍ، وخوفٍ لا على الفصحى فقط؛ لكنَّه مصدرٌ قويٌّ لتمزيق الأمة الإسلامية الواحِدَةِ إلى أممٍ بعدد

---

(١) انظر "قضايا الشعر المعاصر" لنازك الملائكة، ص (٣٢٥ – ٣٣٢) بتصرف، مع التَّحفظِ لبعض الكلمات المسمومة التي تختفي بين السطور، فهي تتكلّم بنفسٍ حداثي، فتأمل .
وقد اعتذر الأستاذ أحمد عقيلان لنازك هذه بأنَّها أرادت بكتابها "قضايا الشعر المعاصر" أن تبيِّن أنَّ آراءها في الشعر الحر فُهمت فهمًا سيئًا، كما أعلنت فيه أن الـــوزن أمـــرٌ لا يستغنى عنه الشعر الحر، وأن كلَّ ما صدر منها من شعر كانت لـــــه تفعيـــلات وأوزان ملتزمة، إلاَّ أنَّها أوزان لا تتقيَّد ببحور الخليل ! انظر "جناية الشعر الحر " ص ( ١٢ ) .
**قلت** : إن التَّنكُّرَ أو الخروج عن بحور الشعر العربية – الستة عشر – أو الخلـــط بينـــها خلطًا فاحشًا في البيتين والثلاثة من القصيدة الواحدة كما هو شأن شعر نازك وغيرها – يعدُّ تلاعبًا بالشعر العربي، وهدمًا لما بناه الأوائل، وجنايةً على قواعدَ وقوانـــين شعرنـــا الفصيح؛ وهذا كلُّه – للأسف – لم نعلم له سابقة في دواوين الشعر العربي إلاَّ عند أهلِ عصرِنا من أعداءِ العربيةِ أمثالِ زنادقةِ الحداثة، والشعوبيين، ودعاة العامية . . !.
هناك كتبٌ كثيرةٌ تكلمت عن الحداثة - تأريخًا وأخطارًا وكشفًا وأعلامًا . . – منـــها ما هو رسائل علمية ومنها غير ذلك، وقد استعرتُ كتابًا نفيسًا من فضيلة الشيخ بكـــر أبو زيد بعنوان " جناية الشعر الحر" لأحمد عقيلان، وفيه أبان صاحبـــه عـــن أخطـــار وجنايات الشعر الحر على اللغة العربية والأمة الإسلامية .

اللَّهجات التي تنشر فيها، وتقسيم الشعب الواحد داخل الدولة الواحدة إلى شعوبٍ، ولهجاتٍ عاميَّةٍ ممَّا سيؤدي هذا- حتمًا - إلى الحَميَّةِ للهجات، والنعرات القبلية كما هو ملموسٌ مشاهدٌ في أكثر بلاد المسلمين(١)، وأخشى ما نخشاه أن يحدث ما حدث من قضية "التتريك" المعروفة للجميع، عندما انتصر الأتراك للغتهم وحاولوا فرضها على غيرها فانتصرت الأمم الأخرى للغاتِها، وتحركت في نفوس سكان الأقاليم العثمانية الأخرى النعرة والغضب ، وشرع كل قوم يدافعون عن لغتهم حتى تفككت الروابط بينهم وانقسمت الدولة إلى دول، والأمة إلى أمم ، ووقعت الأمة الإسلامية في ما أراده لها أعداءها اليوم ! .

والاهتمام بالشعر "النبطي" يعتبر تشتيتًا للذِّهن، وبلبلةً لن تنتهي عند حدٍّ لو ترك الأمر لدعاة العامية أن يفعلوا بعقول الناشئة كما يريدون، وذلك لأمرين :

**أولاً** : أن دعاة العامية لن يجتمعوا على لهجةٍ عاميةٍ واحدة، كما هو الحالُ لواقع العاميَّاتِ واللَّهجاتِ المنتشرةِ في أجزاء كلِّ دولةٍ

(١) لا ننسَ أنَّ هنالك عواملَ كثيرةً قد ساعدت في تمزيقِ الأمة الإسلامية غير الدَّعوةِ إلى العاميَّة، فمن يقرأ تأريخنا الحاضر سيعلم خطورة هذه التجاوزات التي يتكأ عليها كثير من العلمانيين، والمنهزمين أمام حضارة الغرب .

إسلاميةٍ؛ فضلاً عن جميعِ الدُّولِ الإسلامية ! .

**ثانيًا** : أنَّهم لن يستطيعوا تنظيم اللَّهجة التي يريدون لها البقاءَ والاستمرارَ في كلّ إقليمٍ وقُطرٍ يريدونه .

ثمَّ إنَّنا إذا أردنا أن نُنَزِّلَ معاييرَ ومقاييسَ دعاةِ العامية، و"النبطي" في بلادنا دون سواها قط .

فحينئذٍ نسألُ : أيُّ لهجةٍ يا تُرى سيكون لها الحظُّ الكبير، والنصيب الوفير؛ حينما يتشرَّف دعاة العامية لاختيارها ومن ثمَّ نشرها وإحياءها وإثراءها ؟ فمن ستكون سعيدةُ الحظّ : أهي اللهجةُ الحجازية، أم التِّهامية، أم الغربية، أم النجدية، أم الشمالية، أم القصيمية، أم الجنوبية، أم الشرقية، أم الجيزانية ...الخ ؟! .

وكلُّ هذه الاختيارات إذا رَضِيَها جميعُ الأطراف – جدلاً – ستكون للأسف على حساب تأخر الفصحى بين أهلها، وتأخر العملِ على وَحَدةِ الأمة الإسلامية، كما سيسقط دعاة العامية في النهاية بين المرحلتين ! .

**السابع عشر** : إنَّ هذه الأفواج الكبيرة من الشباب الذين يتساقطون في أحضان الشعر "النبطي" بدافع ريح الجهل، وضيق الأفق؛ وضحالة الفكر؛ لا يعرفون العامية التي كانت منتشرة قبل عشرين عامًا، بل هم أبناءُ عصرِهم عصرِ العلم والتعلم؛ فلماذا

يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟!، مع أن ما يدعون من أشعارٍ "نبطيةٍ" في الوقت الحاضر يعدُّ مختلفًا ومتخلفًا عمًّا كان من "النبطي" قبل ثلاثين عامًا، سواءٌ كان في بنائِه الشعري، أو موضوعِه، أو صورِه، أو فنونِه .

**الثامن عشر** : الدعوة إلى الشعر "النبطي" تبديدٌ وتضييعٌ لأوقات الشباب فكرًا ، ووقتًا ، ومالاً، وجهدًا؛ **إذ لا فائدة تحته، ولا** طائل .

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« لا تزُولُ قَدَما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عند ربِّهِ حتى يُسألَ عن خمسٍ؛ عن عمرِه فيمَ أفناه، وعن شبابِه فيمَ أبلاه، ومالِه من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ»**[1] أخرجه الترمذي، وأبو يعلى.

**التاسع عشر** : يعتبر منبرُ "النبطي" هذه الأيام سواء في الجرائدِ، أو الندوات ، أو المنتديات منبرًا أجنبيًا على أهل الجزيرة ، وعدوًّا قويًّا للفصحى رضينا أم أبينا .

ويوضِّحُ ذلك ما ذكرناه آنفًا عن إنشاء " المركز الشعبي للترات

(١) أخرجه الترمذي (٤/٢٤١٦-٢٤١٧)، وأبو يعلى ( ٥٢٧١-٦٤٣٤)، وغيرهما، وهو صحيح.

في الخليج العربي"، وما يضمُّ تحت جَنَاحَيْه من أهدافٍ، وأبعادٍ خطيرةٍ على أهل الجزيرة ولغتهم الفصحى[١] ! .

**العشرون** : بقدر علمنا أنَّ الشعرَ "النبطي" ثورةٌ وقتيةٌ عاطفيةٌ فإنَّها سُرعان ما تنتهي بانتهاءِ وقتها ولا شـك ؛ إلا أنَّ في الدعـوة إليه تمديدًا لبقائه واستمراره، وكذا تجاهلاً وتناسيًا للموروث العـربي الأصيل، والثقافة الإسلامية .

وهناك أخطاءٌ كثيرةٌ لا تقل أهميةً وخطرًا عمَّا ذكرنـا؛ إلا أنَّ بعضَها منثورٌ في معاطف هذه الرسالة لمن قرأها من بابِها إلى محرابِها.. لذا لم نتكلَّفْ في جمعها وحصرها؛ ففي ما ذكرناه هنا غُنيةً وكفايـةً لكلِّ مسلمٍ غيورٍ على دينه، ولغته العربية .

* * *

(١) انظر ص ( ١٠٨ ) .

# المبحث السابع
## شُبهُ دُعاةِ "النبطي"، والرَّدِّ عليها

ممَّا لاشك فيه أنَّ كلَّ خطأ أو انحراف في الاعتقاد، أو الفكر، أو العادات أو غير ذلك سببُه شبهٌ وتأويلاتٌ تعتري أصحابَها حتى إذا ظنَّوا صحتها قاموا سِراعًا كأنَّهم إلى نُصبٍ يوفضون، يدافعون عنها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

إلاَّ أنَّه عند أوَّلِ نظرةٍ صحيحةٍ إلى هذه الشُّبه والتأويلات تنكشف وتتبدَّد هذه السحب والجهالات التي يحسبها الظمآن شيئًا وهي في حقيقتها سرابُ بقيعةٍ لا تروي غُلَّة، ولا تشفي عِلَّة !!.

فمن هذه الشبهات التي لم يزل دعاة "النبطي" يدندنون حولها ، ويعكفون عليها ما يلي :

**الشبهة الأولى** : قولهم : إن التراث الشعبي - الشعر "النبطي" - هو الذي يُحدِّدُ هويتنا، ويُمَيِّزُ شخصيتنا، وإن لم نحافظ عليه فسنحتاج إلى تقليد غيرنا، وإن أمجادنا وتاريخنا هو ما يحفظه لنا العامِّي، وإن فيه جذورنا، ومنابع أصالتنا[1] .

---

(١) انظر مثلاً "وهبة"، ص (٩٨)، ص (١٠٤)، وفي مواضع متكررة .
الجزيرة ، عدد (٤٣٣٨) في (٢٧ / ١١ / ١٤٠٤هـ)، الجزيرة ، عدد (٤٣٤١) في

**قلت** : إنَّ الردَّ على هؤلاء مهما كانت مقاصدُهم هو ردٌّ واحدٌ، وهو كما يلي :

ـ أن يعلم الجميعُ أنَّ منبعَ الأصالة، وجذور الثقافة؛ هو الانتماءُ الكاملُ للمنبعِ الأول الذي وُجدَ في دين الإسلام – من قرآنٍ وسنةٍ وتأريخٍ أصيل –، وأيةُ دعوةٍ لمنبعٍ جديدٍ غير ما ذكر حتمًا سيكون منبعًا عكرًا ملوثًا نجسًا لا يقصد به إلا زحزحة الأمة الإسلامية عن أصالتِها، ومنابعها النقية الطاهرة المطهرة .

ولا يمكن أن نفترض أن المردِّدين لهذا العبارات قد اقتنعوا بأهمية الانتقال إلى العامية، واتخاذها منبعًا جديدًا؛ ما لم نفترض أن المنبع الإسلامي الأصيل قد أعجزهم فبحثوا عن ثقافةٍ ضعيفةٍ ، ومنبعٍ ضيقٍ يليق بقدراتِهم الثقافية الضئيلة، وضعفهم العلمي فأصبحوا لا يستطيعون التعامل معه، أو تسلُّق سموقه .

ونحن لا نظنُّ فيهم غير هذا لأنَّه قد انكشف لنا عجزُهم غير مرَّةٍ أمام ضخامة الموروث الإسلامي، وفكره الرَّاقي الذي ربَى وارتفع خلال أربعة عشر قرنًا، وما زال في تصاعدٍ ما بقي الليلُ والنهار .

---

=

(٢٠ / ١١ / ١٤٠٤هـ) ، الرياض، عدد (٥٨٧٤) في (٢٥/١٠ / ١٤٠٤هـ) ، الرياض ، عدد (٤٤٤١) في (٣/ ٣ /١٤٠٥هـ)، مجلة "الدوحة"، (١٤٠٤هـ) .

إنَّ إطلاقَ منبع الأصالة، والجذور التاريخية على أيِّ حقبة من حقب التاريخ بعد القرن الأول للإسلام إطلاق لا يقرُّه مسلمٌ صحيح الإيمان، ولا يقوله أحدٌ أو يقصد معناه إلاَّ من كان يريد بأمة محمد صلى الله عليه وسلم شرًا، وبالعرب عامةً ارتدادًا وانتكاسًا .

ولا نستطيع ونحن نواجه هذا المفهوم والقول الخاطئ إلا أن نحملَ مقاصد أبناء أمتنا الذين استهواهم هذا التعبير الخطير والفكر المضطرب على الغفلة ، وعدم الإدراك ، وعدم التنبه لمقاصد الكلمات التي يتورط فيها من لا يعرف دلالة الألفاظ .

**الشبهة الثانية** : قولهم : إن اللغة العربية التي نخاف عليها من طغيان العامية محفوظة في القرآن الكريم، ولا خوف عليها، وقد تكفل بحفظها القرآن، وأنَّ لغةَ القرآن الكريم قد تكفَّلَ الخالق بصيانتها، وحفظها بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الآية [الحجر:٩].

واللغة العربية الفصحى باقية لم تَشُبْها أيةُ شائبةٍ، وقد ضمن الله لها الحفاظ من الضياع[١] .

---

(١) انظر "وهبة" (١٠٣، ١١٥، ٢٤١)، وفي مواضع متكررة .

الرياض ، عدد (٥٩٩٢) في (١٤٠٥/٢/٢٥هـ) والرياض، عدد (٦٣٥٢) في (١٤٠٦/٣/١هـ)، والجزيرة ، عدد (٤٤٤١) في (١٤٠٥/٣/٣هـ)، وغير ذلك عشرات المقالات في الصحف، والمجلات التي تهتم بالفكر العامي .

**قلتُ** : كأني بأصحاب هذه الشبهة - والله أعلم - لم يأتوا من غفلة؛ بل قد يكون محاولةً لإزالة الخوف من نفوس الناس الذين يحرصون على بقاء اللغة وبقاء الدين، فحاولوا إزالة هذا الخوف من الناس على القرآن؛ بأن الله تعالى تولّى حفظ وبقاء القرآن صافيًا مفهومًا على حدٍّ تفسيرهم للآية !.

**فأقول** : إنَّ الحفظَ في الآية غير ما ذهب إليه دعاة "النبطي"، فالحفظ هنا بمعنى : حفظ القرآن من الزيادة، والنقص، والتحريف، وقد صدق الله فقد تّمَّ حفظ كتابه قرآنًا يُتلى أحصيت آياته، وسوره، وحروفه فلا يستطيع أحد زيادة شيءٍ من ذلك أو نقصه ، وهذا معنى الحفظ الذي فهمه فقهاءُ المسلمين[1]؛ لا ما فهمه دعاة العامية، والشعر "النبطي" ! .

كما أنه ليس هناك في ظاهر نصوص القرآنِ ضمان بدوام اللغة العربية الفصحى، واستمرارها حية يستعملها الناس كافةً إذا أعرض عنها أهلُها، وأحَلَّت كلُّ طائفةٍ منهم لهجتَها العاميَّة محلَّ لغتِها العربية.

(١) انظر مثلاً تفسير الطبري، وابن كثير (٥٢٧/٤)، والشوكاني (١٢٤/٣)، والقرطبي (٩/١٠) وغيرهم .

يوضحه أن اللغة الفصحى - لغة القرآن - كانت هي اللغة التي تُكتب بِها علومُ الدين، ويقرأ بِها القرآن، ويتكلمها العلماء وعامة الناس، وكانت هي لغة الحياة، والفكر، والأدب، والدِّين في جميع الدول الإسلامية، لا سيما البلاد الشرقية - من إيران حتى سدّ الصين - التي قامت في تلك الديار تتكلم العربية لغةً رسميةً - كما يصفها عندنا اليوم العوام - وما كان لها من منافسٍ في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ولم يستعمل المسلمون في شؤون حياتهم غيرها لأنَّها لغة القرآن، ولغة الأمة المسلمة، ولغة الوَحدَة التي تجمع كيانَ الأمةِ كلّها.

وعندما شعرت تلك الأقاليم الشرقية المسلمة بالضَّعف، والتَّفكك نشأ عندها شعور بِقَومِيَّتِها وإقليميتها، فاهتم المسلمون في تلك الدّول بلهجاتِهم المحلية، وزعموا أنَّ اللغةَ الفصحى لغة القرآن، واللغة الرسمية محفوظة لا خطر عليها مثلما يزعم إخواننا دعاة العامية وهواة "النبطي"، وبدأت تظهر فكرة مدح اللهجات المحلية على استحياء شيئًا فشيئًا؛ حتى تأصلت في نفوسهم مكانة لهجاتِهم المحلية، وما لبث أن أصبحت تلك اللَّهجات لغات مستقلة لتلك الأمم والأقطار، وبدأ ذلك بظهور شعراء مبدعين باللهجات المحلية مع اللغة العربية الفصحى فتوجهت الأقاليم الإسلامية إلى لهجاتِها المحلية، ومجّدت شِعْرَ شُعرائِها الذي بدأ يُنظم بتلك اللُّغات، وبدأ الابتعاد

شيئًا فشيئًا عن لغة القرآن الحافظة له – كما يزعم دعاة العامية – حتى قام الشُّعراء بدورٍ جلي في تعزيز ونُصرة اللهجات المحلية؛ ولم يمر قرنان حتى استقلت الأقاليم الشرقية بلغاتِها المحلية، وانتهت العربية من هناك كأنَّ شيئًا لم يكن !، ولم يحفظ القرآنُ اللغةَ العربيةَ لهم في بلادهم عندما أهملوها، وأحلُّوا لغاتِهم المحلية مكانِها ! .

ونحن وهم في نظر الإسلام سواء، والقرآن لا يميز بين عربي وعجمي، ولو كان القرآن قد تكفل بحفظ اللغة العربية الفصحى للمسلمين حتى تبقى لغة لهم لحفظها للمسلمين في باكستان، وإيران، وبنجلاديش، وتركيا وغيرها؛ مع العلم أنَّها دولٌ إسلامية، وشعوب مسلمة ! .

يقول الأستاذ / شكري عياد حول هذا الموضوع : " وإني لأربأ بالأمة العربية الإسلامية أن يقولوا كما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وأن يناموا على آذانِهم ثقةً بأنَّ الله جَلَّت قدرتُه ضمن الحفظ لقرآنه، ما دام القرآن محفوظًا فالعربية محفوظة، ألا فاعلموا يا قوم أنَّ الله قادر أن يحفظ القرآن بغيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، إنَّما تُدْعَون لتكونوا جديرين أنتم وأبناؤكم بحمل ذلك القرآن المجيد"[١].

(١) انظر جريدة الرياض عدد (٥٧١٠) في (٩/٥/١٤٠٤هـ) .

نعم ماتت اللغةُ العربيةُ عند تلك الشعوب، وانحصرت معرفتها في القِلَّةِ من علماء تلك الأمم مثلما هي حال اللاتينية عند النصارى ؛ حتى وإن بقي القرآن متلوًّا وبقيت دول إسلامية، أما إن كان لـــدى دعاة العامية رأي ، أو دليل بأنَّ القرآن قد تكفَّل للعرب خاصة بحفظ لغتهم العربية الفصحى فليعلنوا ذلك، ويأتوا بشهدائـــهم إن كـــانوا صادقين ؟!.

فإذا علمنا أن الكبيرَ والصغيرَ، والرجلَ والمرأةَ، والمتعلمَ والأمِّي يتكلمون لغة القران، ويعرفونَها، ويدركون جمال معناها، وكلٌّ بحسبه لَم يَعُدْ هناك تبريرٌ ، أو تعليلٌ لدعاة العامية في ترويج وتقديس العامية وتعميمها بين سواد المسلمين .

والركون إلى العامية، والدعوة إليها نقلةٌ بعيـــدةٌ عـــن اللُّغـــة الفصحى، وصرفٌ للِّسانِ، وصرفٌ للفَهمِ عن اللغة الحافظة للقرآن، وهو عكس ما يذهب إليه مفكرو العامية ودعاتُها .

والاهتمام بالعامية كما هو حاصلٌ في الوقت الحاضر ســـيجعل اللغةَ العربيةَ الفصحى، والقرآنَ الكريمَ الذي يَزْعُم دعـــاةُ العاميـــة، وأنصار الشعر "النبطي" أنه سيحفظها لغةً أخرى ، هي وقرآنُـــها، لا يفهمها عامةُ الناس ، ولا يتذوقون جمالها الفني ، ولا يدركون معانيها السامية، ثم تبعد شيئًا فشيئًا حتى تصبح لغةَ دينٍ– وليست لغة حياة–

يتعامل بِها القلّةُ من الناسِ – كما هو حال اللاتينية التي أصبحت لغةَ الكنيسة وليست اللُّغة الحيَّة للأمم النصرانية – ويصبح فَهمُ العـــربِ للقرآنِ كفهم المسلمين من غير العرب له؛ حيث يقرءونـــــه دون أن يعرفوا معناه، أو يتصوَّروا بلاغته المؤثرة في النفوس والألباب إلاَّ مـــع وجودِ مترجمٍ يقفُ أمامَهم يُفسِّرُ لهم ما يقيمون به شعائرَهم الدينية ، ثم تنتهي صلتهم القوية به، كما هو حاصل في أغلب البلاد الإسلامية التي غلبت عليها لهجاتُها المحليةُ، وسادت في حياتِهم اليومية ؛ فتركتْ لغةَ القرآنِ، فَبَعُدتْ عنه وانغلق فهمُه عليها ! .

وقد أدرك ابن خلدون – رحمه الله – خطورة بُعد اللِّسان عـــن استعمال الفصيح من الكلام، فقال : " إن ذلك سببًا بانغلاق القرآن، والحديث على المفهوم"، ووصف السمع بأنه أبو الملكات اللسانية[(١)].

فلا بدَّ أن ندرك جميعًا أن نشر اللغة العربية الفصحى بين أبنـــاء المسلمين؛ لا سيما هذه الأيام سيكون سببًا كبيرًا في تَوَحُّـــدِ أجـــزاء الأمة الممزَّقة؛ على الرُّغم من اختلافاتِها السياســـية، والاجتماعيـــة وتَعَدُّدِ اتجاهاتِها؛ وهو ما كان يحسدنا عليه أعداؤنا بالأمس القريب!.

**الشبهة الثالثة** : قولهم : إن نسبةً كبيرةً من ســـكان الجزيـــرة

(١) انظر " مقدمة " ابن خلدون، ص ( ٥٤٦ ).

يفهمون العامية أدبًا وفنًّا[١]، وأن الإقبال على صفحاته في الصحف شيءٌ لا مثيل له مما يدل على أن أغلب الناس يحبون الأدب العامي[٢]، وأن التعبير العامي هو الوسيلة المتاحة للكثير من الناس[٣] .

**قلت**: إن الشعر "النبطي" شعر إقليمي لا يفهمه إلا أبناء القبائل العربية، وبعض حاضرة نجد، ونسبة هؤلاء إلى السكان لا تصل إلى هذا العدد على فرض أنهم جميعًا يفهمون الشعر "النبطي" .

كما أنَّ نسبةً لا بأس بِها من هؤلاء - أبناء القبائل - لا تفهم الشعر العامي ، ولا تستلذ به، ولا تعرف معناه، بل تمجُّه وتشمئز من سماعه .

أما إقبال نسبة كبيرة من الشباب المتعلمين المثقفين على صفحات الأدب العامي فهو ما يَجعل خطورته متحققة كما ذكرنا هذا فيما قبل.

كما أنَّ فيه إغراءً للشباب وما ذلك إلاَّ لسهولة الشعر "النبطي"، وقرب مأخذه عليهم، هذا إذا علمنا أن الشعر "النبطي" لم

---

(١) انظر "وهبة"، ص (٩٥، ١١٢) .

(٢) انظر "وهبة"، ص (١٥١)، وصحيفة "الندوة"، عدد (٧٤٤١) في (١٤٠٣/١١/١٦ هـ).

(٣) الرياض عدد (٥٩٩٢) في (١٤٠٥/٢/٢٥هـ)، وغيرها مِمَّا طفحت به الصفحات الشعبية في الجرائد .

تقعَّد له قواعد ، و لم تحفظ له ضوابط فكان سهلَ المِران وذليلَ القِياد يحسنُه العالمُ والجاهل، والذكرُ والأنثى، والحرُّ والعبد، والبالغ والمميز، وقد قيل : لو أنك قلبتَ حجرًا، أو قلعتَ شجرًا لوجــدتَ شــاعرًا نبطيًّا! .

فإذا علمنا أنَّ : " الرَّجزَ حِمارُ الشعراء " لأنه سهلُ القريــض والتفعيلِ على أغلب الشعراء قطُّ، مع أنَّه صعبٌ بعض الشيء علــى من لا يُحسنُ قواعدَ وأوزان الشعر ، فإذا كان هذا حكــم الرَّجــزِ عند أرباب اللغة؛ فليت شعري ما هو حكم الشعر "النبطي" حينئــذٍ الذي يحسنه كلُّ أحدٍ ؟!! .

كما أنَّ كثرة الاعتناء بالعامية، وأدبِها - شعرًا، أو نثرًا - تجعل الخوف على فكر الشباب وثقافتهم واردًا، وتجعل الابتعاد بِهم عــن لغة دينهم أمرًا متحققًا؛ لا سيما إذا وجدوا أن العامية مــهيأة لهــم ووسائل الإبداع فيها ميسرة؛ بل مشجعة مفضلة .

**الشبهة الرابعة** : قولهم : إن أغلبَ مفردات العاميــة، والأدب العامي عربي فصيح، ولا يمكن أن يكون فيه خطــورة علــى اللغــة العربية[١] .

---

(١) انظر "مقدمة ديوان النبط" لخالد الفرج، و"وهبة"، ص (٧٦ ، ٦٨ ، ١٠٣)، و الجزيرة =

**قلت** : لا شك أن أغلب مفردات الشعر "النبطي" عربية فصيحة سليمة المبنى والمعنى، فنحن لا نختلف معهم ؛ إلاَّ أنَّ جملةً منها قد بَعُدت عن أصلها العربي الفصيح، كما أنَّ بعضًا من هذه المفردات الفصيحة التي بقيت على ألسنة العوام قد قُلِب معناها واستعمالها، والأمثلة على هذا كثيرةٌ تفوق عدَّ العاد، وحصر الحاصر .

وعلى أيَّةِ حالٍ فإنَّ المفردات الفصيحة الباقية في العامية توجب علينا عند تحقق صحتها ، وفصاحتها أن يستغل الحريصون على لسان الأمة الواحدة هذه الفصاحة ، ثم يَرُدُّون مفرداتِ العاميةِ إلى اللهجات القديمة، ويقربونَها إلى أصلها العربي ما دام الأمر ممكنًا بدلاً من تغريب القليل من مفردات اللغة ، وجَرِّها إلى مهبط العامية، والابتعاد بها شيئًا فشيئًا حتى تنطمس معالم الفصاحة فيها، وتَبعُد القربى بينهما، وتوغل العامية بالانتقال التدريجي فتوضع لها الأسس والقواعد ويرسخ استعمالها في فكر الأجيال، وينشر أدبَها ويكتب حتى تصبح لغةً أخرى جديدةً وبعيدةً عن الأصل الذي نشأت عنه واستقلت منه، كما يُرادُ لها عند دعاة العامية .

وأسباب انتشار العامية في الماضي هي - كما لا يخفى الجميع -

---

في أعدادها (٥٧١٠، ٤٣٧١، ٤٤٥٣)، والندوة بتاريخ (١٤٠٣/١١/١٦هـ) .

نُدْرةُ المتعلمين، وقلّةُ التعليم فيما مضى من فترات عِجاف مرَّت على كلِّ البلاد الإسلامية، ولم يسلم منها أيُّ بلدٍ عربي، أمـــا في وقتنـــا الحاضر فالأُميَّةُ مُدبرةٌ لا شك في ذلك، والثقافةُ مزدهرة، والتعليـــم يطارد شبح الجهل في أغلب البلاد الإسلامية، والاهتمام بالعامية فكرًا ولغةً وقيمةً اجتماعية تناقض الهدف التي تسعى الأمة الإسلامية إليه .

وهنا سؤال يثيره العجب والغرابة وهو : لماذا الاهتمام بـــالفكر العامي، واللهجة العامية مع وجود البديل، ووجود الثقافة الفصحى، وإمكانية الرُّقي بِها إلى مستوى أعلى ؟! .

فإذا لم يكن هناك جوابٌ كافٍ لهذا السؤال كان يجب علينـــا جميعًا أن نسعى إلى نشر الفصحى والدعوة إليها والارتقاء بِها ، وهذا الرُّقي التدريجي يجب منَّا أن يكون مشجعًا ودافعًا إلى الاســـتمرار في استعمال الفصحى، وهجر اللهجات الدارجة، واللّكنات الإقليميـــة، ولم يبقَ إلا أن تقوم مؤسسات التعليم، ووسائل الثقافـــة المســـاعدة الأخرى مثل : "التلفاز" ، والصحف، والمجلات بالابتعاد عن الابتذال اللُّغوي حتى تنشط اللغة العربية الفصحى؛ ولو حدث ذلـــك فلـــن يكون هناك شكٌّ بأن فترةً قصيرةً جدًّا ستعيد للفصحى مكانتـــها في نفوس الناس، وعلى ألسنتهم، وتُعيدُ لها الثقة التي بـــدأت تفقدهـــا، وستصبح العامية في حيزها الضيق، وعلى ألسنة العـــوام الذيـــن لا

يعرفون غيرها؛ عندئذ تصبح لا خطر منها، ولا ضرر من بقائها؛ حتى وإن لم تُمْحَ من الوجود .

**الشبهة الخامسة** : قولهم : إن الأدب العامي في الماضي نقل إلينا الأخبار، وسجل لنا الأحداث التي كانت في الجزيرة إبَّان عصور العامية .

وقولهم – أيضًا – : إنه مصدرٌ وحيدٌ لتاريخ الجزيرة السياسي والاجتماعي؛ وليس هناك مصدر غيره يمكن أن ينقل لنا حقائق الأوضاع التي عاشها أجدادُنا في ذلك التاريخ[١] .

**قلت** : على صحة القول بأخذ الشعر "النبطي" شاهدًا يصور موقفًا من المواقف، أو يصف حدثًا من الأحداث، أو معركةً من المعارك، إلاَّ أن المؤرخين لا يعدون الشعر الفصيح مصدرًا أساسيًّا للتأريخ فضلاً عن غيره لا سيما إذا كان هذا الشعرُ وحيدًا في نقل الخبر كما أشار النص السابق، ولا يعدونه مصدرًا للأحداث التي يرصدها التأريخ، أيًا كان نوعُ الشعر، وبأيَّةِ لُغةٍ كان .

والسبب الذي جعل المؤرخين لا يعتمدون الشعر : هو أن

---

(١) انظر مقدمة "شاعرات من البادية"، و"مقدمة " ديوان التميمي"، الرياض عدد (٥٩٩٢) في (٢٥/٥/١٤٠٢هـ)، والندوة عدد (٥٧١٠) في (١٦/١١/١٤٠٣هـ)، والجزيرة عدد (٤٤١٤) في (٥/٥/١٤٠٢هـ)، و "وهبة" (٤٢،٦٦،٩٣،٩٦،١٣٨،١٨٥) وغيرها .

الشاعر؛ وإن انفعل بالحدث التأريخي، ووصفه في شعره، وتحدَّث عنه وذكره إلا أنه يهمل نقطتين أساسيتين يعتمد عليهما التاريخ الاعتماد كله هما الزمان والمكان، وإهمال هاتين النقطتين يفقدان الشعر قيمته التأريخية، ويجعلانه قليل الفائدة للاعتماد عليه كمصدرٍ وحيدٍ للتأريخ ما لم تتوفر أخبار وروايات أخرى تقرر الحدث الذي يصوره الشعر .

أما إذا توفرت الأخبار من مصادر تأريخية غير الشعر، وصاحب تلك الأخبار شعرٌ يشهد لها ، ويصفها، ويصورها فإن بعض الباحثين يورد منه مواطن الشاهد حتى يجسم الصورة ، ويصف الانطباع الذي خلَّفه الحدث في نفوس الشعراء كما هو صنيع أئمة التأريخ الإسلامي كابن إسحاق وابن جرير وابن كثير وغيرهم .

ولو تناول المتحدِّثون عن أهمية الشعر التأريخية في الماضي جانبًا آخر غير التأريخ وهو : إنَّ الشعرَ سجَّل ووصف مكارم الأخلاق، وأشار إلى بعض الأسر من أبناء الجزيرة العربية الذين كان لهم في ماضينا القريب أمجاد، وأخلاق عرفت عنهم، وسجلها الشعراء في شعرهم؛ لو فعلوا ذلك لكانوا قد أصابوا كبد الحقيقة .

أما إطلاق القول بأنَّ الشعر "النبطي" هو : " ما يعول عليه في دراسة أحوال سكان الجزيرة في مختلف النواحي " أو غير ذلك، فهي

أقوال وآراء ليس لها نصيب من الحقيقة، ولا تعتمد إلا على حسن النية بفهم القارئ ؛ ولو صدر هذا القول عن كاتب واحد لكان زلةَ قلمٍ، أو عثرةَ لسانٍ؛ أما وقد قال به عدد لا يستهان بِهم من الكتاب، وتحدث عنه عدد آخر من الدَّارسين، وتواطأت عليه آراء دعاة العامية؛ حتى كاد يصبح قناعة وأمرًا مسلمًا به فلا بد والحال هذه من بيان حقيقة هذه الأقوال التي لا يسندها إلا هوى النفس، والضَّرب بعلم القارئ، وعقل الباحث عُرض الحائط .

وبيانُ ذلك من خلالِ أمرين :

**الأمر الأول** : خطؤهم حينما عمَّموا الحكم على الجزيرةِ العربيةِ كلِّها و لم يستثنوا منها موضعًا؛ مع أن في الجزيرة العربية مدنًا، وعواصمَ إسلاميةً لم تخبُ بِها شعلةُ العلم ونور الإيمان ؛ ولو لم يوجد من ذلك غير مكة المكرمة، والمدينة النبوية، ومن فيهما من العلماء وأهل الذكر، وحلقات العلم لوجب على من يرسل القول على إطلاقه التَّروِّي قبل إصدار الأحكام العامة ؛ فالجزيرة لم ينقطع تأريخها كلُّه، و لم يهمل .

فقد وصف هؤلاء الرَّحالةُ حياةَ السكان، وحرفَهم، وعددَهم، وطرقَ معيشتهم ، وتكوينَهم السياسي ، وتركيبَهم الاجتماعي ،

والظروفَ التي تسود في كل عام ، وتَحَدَّثت هذه الرحلات عن واقع الجزيرة، وسجلت أخبارها ومن هذه الرحلات :

١ ــ " الرحلة الكبرى"، لأحمد بن ناصر الدرعي، حج عام (١١٢١هـ ) .

٢ ــ " رحلة القاصدين ورغبة الزائرين "، لعبد الرحمن بن أبي القاسم النساوي، حج عام (١١٤١هـ ) .

٣ ــ "رحلة الوزير الإسحاقي "، أبو محمد الشرقي الإسحاقي، حج عام ( ١١٤٣هـ ) .

٤ ــ " بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام "، لعبد المجيد ابن علي الملقب بالزيادي، حج عام ( ١١٤٨هـ ) .

٥ ــ "رحلة إلى الحرمين "، لأحمد اللكوس الحفيكي، حج عام (١١٥٢هـ ) .

٦ ــ " الرحلة الحجازية "، لأبي مدين محمد بن الصغير الدرعي، حج عام (١١٥٢هـ ) .

٧ ــ " الرحلة الكبرى " لمحمد بن عبد السلام الناصري، حج عام (١١٩٦هـ ).

٨ ــ " إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام "، لمحمد

ابن عبد الوهاب بن عثمان، حج عام ( ١٢٠٠هـ )[١] .

٩ ـ "مرآة الحرمين"، لإبراهيم رفعت، حج عام (١٣١٩هـ).

وهناك الكثير من الرحلات التي تجاوزنا ذكرها، وما كان إيرادنا لهذه الرحلات إلاّ مجرد تمثيل ونماذج لما كان يكتب كل عام عن الجزيرة وأهلها، وقد اخترنا القرن الثاني عشر الهجري وعرضنا ما كتب فيه وهو القرن الذي وصل إلينا شعره العامي؛ الذي يزعم دعاة العامية أنَّه مصدرٌ وحيدٌ لتأريخ الجزيرة كما سبقت الإشارة !.

أما إذا افترضنا أنَّهم يعنون بالجزيرة وسطها ( نجدًا )، ولم يقصدوا الجزيرةَ كلَّها عندما ردَّدوا أقوالهم السابقة، فلا بد إذًا على أساس هذا الفرض أن ينظر الباحث إلى وسط الجزيرة ( نجد )، ويعرف أحوالها، وبداية الشعر "النبطي" الذي اعتمدوا عليه وعدُّوه مصدرًا وحيدًا لتأريخ الجزيرة .

فممَّا لا شك فيه أنَّ تأريخ الشعر "النبطي" قد خُدم، وتصدى لدراسته دراسةً علميةً تأريخيةً عددٌ كبيرٌ من الكتاب[٢]، وقد تواترت

---

(١) انظر " بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية "، لعبد الكريم كريم (٢/٤٠٤) .

(٢) منهم خالد الفرج في مقدمة كتابه "ديوان النبط"، وعبد الله بن خميس في كتابيه "الأدب الشعبي في جزيرة العرب"، و "راشد الخلاوي"، وأبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه " نجد في عصور العامية"، أو ديوان " الشعر العامي بلهجة أهل نجد "، وعبد الله

آراؤهم على أن بداية حفظ الشعر "النبطي"، وتدوين أسماء شعرائِـــه كانت في القرن الحادي عشر الهجري .

وممَّن دوَّن ذلك الأستاذ : عبد الله بن خميس الذي يقول في بحثه " الأدب الشعبي": " وأقدم من دُوِّنت أشعارهم، راشد الخـــــلاوي، وأبو حمزة العامري من أهل الأحساء، وقطن بن قطن من أهل عمان، ورميزان ، وجبر بن سيار من أهل سُدير في نجد، وقد عاش هؤلاء في القرنين العاشر، والحادي عشر من الهجرة، وكانوا ينظمون الشعـــــر "النبطي " على أوزان الشعر الفصيح، وتفاعيله، وبحوره؛ ولا يقيمون الإعراب لفساد اللغة"[(١)].

فحينئذٍ قولهم : إنَّ الشعر "النبطي" هو المرجع الوحيد لأحـــوال سكان الجزيرة ولا مرجع غيره، غير صحيح بل هذه جهالات ليـــس لها من الدليل إلاَّ التَّخرُّص والظُّنون، كما يريدون من القارئ بِـــهذه الأقوال أن يُصدق ذلك، ويؤمن به، ويعض على العاميَّة بـــالنواجذ؛ وإلاّ ضاع تأريخه، وضاع ماضيه، ومن أراد مزيدًا مــــن المعلومـــات الدقيقة المفصلة عن تأريخ الجزيرة كلِّه فليرجع إلى كتب المؤرخين من

---

ابن خالد الحاتم في كتابه "خيار ما يلتقط من شعر النبط "، وعبد الله بن عثيمين في مقاله " الشعر النبطي مصدرًا لتأريخ نجد"، وغيرها كثير .

(١) انظر مقدمة "ديوان النبط" لخالد الفرج .

أهل نجد وغيرهم .

أمَّا كتب التأريخ التي دوَّنت تأريخ نجدٍ فهي كثيرةٌ جدًّا؛ وقد سرد المؤرخ : حمد الجاسر مجموعةً كبيرةً من أسماء كتب التأريخ التي اهتمت بتأريخ نجدٍ في مجلة "العرب " عام (١٣٩١هـ)، وهي عبارةٌ عن ثلاثِ مقالات بعنوان "مؤرخو نجد من أهلها " .

أضف إلى ذلك جهود الرَّحالة الغربيين الذين جابوا الجزيرة شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا أثناء القرون التي انتشر فيها الشعر "النبطي"، وقد وصفوا الحياة فيها، وتحدثوا عن أحوال سكانِها، وحياتِهم السياسية والاجتماعية، وتحدثوا عن النظم القائمة فيها، وعن الشخصيات ذات النفوذ المؤثر في وسط الجزيرة وأطرافها .

ورحلاتُهم مطبوعةٌ موجودةٌ محفوظةٌ[1]، وليس غرضنا هنا جمع النصوص والإشارة إليها ونقلها لأن في ذلك خروجًا عن شرط الكتاب .

---

(١) منهم " ولن" زار نجدًا ووصفها، و" بالقريف" خاض الجزيرة وخصوصًا وسطها نجدًا، و"دوتي" زار نجدًا وتجول مع القبائل العربية ووصف حياتَها، و"ولفرد" تجول في نجد، ووصف القبائل التي زارها، و"هوبر" زار حائل، وتيما، والقصيم – عنيزة –، ومثله "بارن نولد" هؤلاء جميعهم تحدَّثوا عن وسط الجزيرة، وأرخوا لرحلاتِهم، ووصفوا الحياة العامة والخاصة وغير ذلك ممَّا تمليه عليهم المناهج التأريخية والدوافع العدائية . انظر "الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين" لعبد الشافي غنيم ص (٤٢١-٤٣٦) .

وكتب تأريخ نجد، وجهود مؤرّخيها مشهورة يعرفها أقل الناس اهتمامًا بتأريخ الجزيرة، وليست الإشارة إليها إلاّ ردًّا على الأقـــوال آنفة الذكر التي تُكرر في الصحف، والمجلات، والوسائل الإعلاميـــة الأخرى .

**الأمر الثاني** : على فرض أن الشعر "النبطي" هو المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الباحث، وعلى فرض أننا ألغينا كلَّ ما نعرف، وأن مؤرخي نجد الذين تحدثنا عنهم قبل قليل لم يوجدوا، سواء المنقـــور، والفاخري، وابن بشر، وابن غنَّام وغيرهم، ولم يكتبوا حرفًا واحدًا في تأريخ الجزيرة؛ هب أنَّ هذا كلَّه لم يحدث حتى يصح رأيـــهم بـــأن الشعر " النبطي" هو المرجع الوحيد لتأريخ الجزيرة ، ولا مرجع غيره، إذًا تكون قيمة الأدب العامي قيمة تأريخية ، ويكون الاهتمام به محددًا بزمن معين لا يتجاوزه إلى غيره، ومحبو العامية والشعـــر "النبطـــي" متفقون على ذلك، ويرددون القول بأنَّ تعلقهم به من أجل قيمتـــه التأريخية ليس إلاَّ .

ومادامت قيمةُ الشعر "النبطي" قيمةً تأريخيةً فقد مضت أهميتـــه عندما كانت الجزيرة على رأيهم ليس فيها من يكتب تأريخـــها؛ إذن تكون هذه المرحلة منتهية لانتهاء ما سجل فيها من الشعر المـــاضي، ولا حاجة بِهم إلى الجديد منه الذي ينشرونـــه اليـــوم ويدوّنونـــه،

ويدافعون عنه وهو لا يسجل تأريخًا، ولا يُصوِّر ماضيًا، فلدينا الآن علماء، ومؤرخون، وكُتّاب يسجلون تأريخَ حاضرِنا لحظةً بلحظة، ولسنا بحاجة إلى الشعر "النبطي" الذي يُنشر في الوقت الحاضر حتى يكون مرجعًا وحيدًا لأحوال الجزيرة في القرن العشرين، وفي زمن التعليم، وفي حضور سبع جامعات تنتشر في مناطق المملكة[1]، وأخرى في بقية أجزاء الجزيرة ! .

ولا معنى للتوسع الآن في العامية فكرًا ، وأدبًا ، وتأريخًا ، وطريقةَ حياة، وليس ثَمَّ ضرورةٌ لعقد وإقامة الندوات من أجلها حيث تُهدر عليها الأموال التي يذهب أكثرها إلى أيدٍ أجنبية، وجامعات غربية، وكل ما يقال ويعالج بِهذه المؤتمرات، والندوات هو حاضر العامية وليس ماضيها!.

وهل يحدث هذا من أجل أن يكون مرجعًا يُعتمد عليها الباحثون في تأريخنا في المستقبل ؟.

وما قيل بالماضي من الشعر "النبطي" الذي يحتجُّ به مناصرو العامية قد أصبح محفوظًا مدونًا أُحصي وجُمِع من مظانِّه ، ودُوِّن من مصادره الأساسية، وحفظ في المكتبات العامة والخاصة، وفي

(١) أما الآن فقد أصبحت جامعات المملكة ثمان، وذلك حينما استقلت جامعة أبْها باسم "جامعة الملك خالد " .

مراكز البحوث، وأصبح التحكم فيه ميسوراً، وسهلت دراستُه، والاستفادة منه لدراسة فترة مضت من تأريخ الجزيرة .

وقد اجتهد الأستاذ : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في جمع الكتب والرسائل والمصادر النبطية في كتابه " تأريخ نجد في عصور العامية"[(١)] .

وفي مجلة "العرب" مقالةٌ للعثيمين عن الشعر "النبطي"، ومصادر تأريخ نجد، وكذا مقالةٌ لابن خميس عن هذا الشعر، ومعالم الجزيرة[(٢)].

فهذه المصادر التي أوردها وتحدث عنها أبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه " تأريخ نجد في عصور العامية "؛ جمعت ما قيل عن الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية في الماضي، وهي إما محفوظة في المكتبات العامة، أو المكتبات الخاصة، وأكثرها منشور ومطبوع منه آلاف النسخ منتشرة بين أيدي الباحثين[(٣)] .

إذن الدعوة بأن اهتمامنا بالشعر "النبطي" في الوقت الحاضر

---

(١) فقد ذكر أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتابه " تاريخ نجد في عصور العامية " ما يقارب الخمسين كتابًا .

(٢) انظر مجلة "العرب" (ج١١- ١٢) ص (٨٣٩ ، ١٣٩-٨٨٣)، و(١/١، ٨ - ١٣) .

(٣) وهناك عددٌ من مجموعات الشعر "النبطي" لدى بعض المهتمين به غير ما أشار إليه الأستاذ : أبو عبد الرحمن الظاهري .

ومحاولة نشره من أجل المحافظة على الماضي دعوةٌ لا حقيقة لها ، لأن ما في الماضي سُجِّل وحُفظ؛ فليس بعد هذا لدعاة العامية إلاَّ أن يفيقوا من سكرتِهم، وينشطوا من عقالهم .

**الشبهة السادسة** : قولهم إن الشعر "النبطي" لا يختلف عن الشعر الفصيح، وهو سليلُه، وفرعٌ من فروعه؛ وفي استطاعة الشاعر العامي أن يأتي بما يطابق الشعر الفصيح وزنًا، ومعنًى إذا أراد[1] .

**قلت** : إنَّ الذين يدَّعون تشابه الشعر "النبطي" والفصيح، ويزعمون أن الاختلاف بينهما ليس اختلافًا كبيرًا لم يحدِّدوا أوجه الشبه ، ولا ضروب الاختلاف، حتى يستطيع الباحث مناقشة آرائهم، أو يتفق معهم.

فإنْ كان المراد اللُّغة : فالاختلاف في لغة كلٍّ منهما كبير جدًّا .

وإن كان المراد طريقة النظم والإنشاد فلكلٍّ من هذين الفنَّين أصول ونظم مختلف ، وكذلك البناء في كلٍّ منهما، والوزن، والبحر، والمفردات، والقافية ، وطريقة الإنشاد مختلفة أيضًا، على الرُّغم من أن للشعر "النبطي" وزنًا وقافيةً، وللشعر العربي الفصيح وزنًا وقافيةً؛

---

(١) انظر "وهبة"، ص (٤٠-٤٢،٥٧،٦٧،٧٦،١٦٧)، ومقدمة "شاعرات من البادية"، ومقدمة "ما يلتقط من شعر النبط "، و" الأدب الشعبي "،ص (٢٥)، والجزيرة عدد (٣٩٧٨ ) في ( ١٢/١١/١٤٠٣هـ )، وعدد (٤٣٧١) في (٢١/١٢/١٤٠٤هـ ) .

لكن التزام كلٍّ منهما بوزنٍ وقافيةٍ لا يحقق الشَّبه بينهما .

يوضحه أنَّ الشعر الفارسي، والشعر التركي يُنظمان على أوزان الشعر العربي الفصيح إلى يومنا هذا ، ويُصاغان في قالب الشعر العربي باللغة الفارسية واللغة التركية، ولم يزعم أحد أن هذين الشِّعريـــن في لغتيه - الفارسية والتركية - فرع من الأدب العربي أو سليلين له، أو متطوِّرين عنه على الرغم من أهما ينظمان على قوالبه وأشكاله[١]!! .

والشعر "النبطي" - أيضًا - له أوزان كثيرة منها ما قد يوافـــق وزنًا من أوزان الشعر الفصيح، ومنها ما لا يوافق شيئًا مـــن ذلـــك، وأوزان الشعر "النبطي" لا زالت في عالم الغيب لم تُحدَّد، ولم تعرف، ولم تكتشف!! .

فالحديث إذن عن المشابَهة التي تتحدث عنها الأقوال الســـابقة من حقِّه أن يُؤجَّلَ حتى يصطلح "النبطيون" أولاً علـــى جمـــعِ أوزان الشعر "النبطي"، وقواعده، وبعدئذٍ نستطيع الحديث معهم إن كــــان المراد بالمشابَهة الوزن، والقافية، أو غير ذلك مِمَّا هو من شأن الشعر .

إلاَّ أنَّ الأستاذ : عبد الله بن خميس قد قطـــع الطريـــق علـــى النبطيين، وكفاهم مؤونة البحـــث والتنقيـــب عـــن أوزان الشعـــر

---

(١) انظر " الأدب الشعبي " لعبد الله بن خميس، ص (٨٦ )، والجزيرة ، عدد (٤٠٧٧ ) في ( ١٤٠٤/٢/٢٣هـــ ) .

"النبطي"؛ لا سيما أنه من أرباب هذا الفن؛ وممَّن اشتغـل بتدويـن الشعر "النبطي"، ودراسته؛ ممَّا يقضي بإمامته وصواب حكمه حينئذٍ .

يقول عبد الله بن خميس : " إنَّه تَتَبَّع الأوزانَ الـتي اسـتعملها شاعرٌ عاميٌّ واحدٌ؛ فأحصى منها عشرين وزنًا، ولمَّا يُقـارب نهايـة الديوان"[١]!.

أما الفرق الكبير المميز للشعر الفصيح عن "النبطي" هو اللغـة، فقد فَقدت لُغةُ الشِّعر "النبطي" خصلتين مهمتين من خصائص الشعر العربي الفصيح، وهما :

الأولى : الإعراب .

الثانية : التركيب .

فالإعراب هو أساسُ الشعر الفصيح ، وإذا أخلَّ الشاعر بإعراب كلمة واحدة في بيت الشعر الفصيح أفسده، واحتـاج إلى الإتيـان بالكلمة معربة صحيحة حتى يستقيم شعره، وإلاَّ سقط في عـثراتٍ وعجزٍ يؤاخذ عليه ، ولا يُعد الشِّعرُ في هذه الحال شعرًا فصيحًا مهما كان قائله[٢] .

---

(١) انظر " الأدب الشعبي " لعبد الله بن خميس، ص (٨٦ ) .

(٢) بغض النظر عن الضرورات الشعرية التي يلجأ إليها بعض الشعراء في قوافيهم حينمـا تَعجزُ ملكتُهم الشعرية، وتندرُ سعتُهم اللُّغوية عن إيجاد بديلٍ فصيحٍ، وهذه الضـرورة لا

أمَّا الشعر "النبطي" فقد أشار بعض الباحثين إلى وجوب الابتعاد به عن اللغة العربية الفصيحة حتى يستقيم وزنه ، ومنهم : عبد الله بن خميس حيث يقول : " لا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة، فتُسلِّط العوامل على معمولاتِها، وتحاول الرفع، أو النصب، أو الجر ، أو السكون بالعلامات الأصلية ، أو الفرعية، أو حذف ، سكون ، أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل أنه مثال، أو عن الآخر أنه أجوف ، أو عن ثالث أنه ناقص، أو مهموز، أو واوي، أو يائي . . إلخ ، ولا عن هذا الاسم أنه مقصور، أو منقوص، أو مؤنث حقيقي، أو معنوي، ولا عن هذا الجمع، أو هذا التثنية أنهما صحيحان ، أو غير صحيحين ، لا تحاول أن تقرأ الشعر وأنت مرتبط بشيء من هذا.

ولا أن تقول إذا جئت تقرأه لِمَ هذا كذا، أو ليس هذا بصحيح، فالشاعر " النبطي" يريد أن يُخضعَ كلَّ شيءٍ من أجل استقامة وزن بيته وكفى .

ويقول - أيضًا - : " ينفرد هذا الشعر - "النبطي" - بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح، ونظرًا لأنه لم تُقعَّد له قواعد، ولم يوضع

---

يقاس عليها؛ بل تُعدُّ من العيوب الشعرية في الجملة، والله أعلم .

فيه دراسات يُفهم على ضوئها، وقد جانب كثيرًا من قواعد اللغة العربية، واصطلاحاتِها : نحويةً كانت، أم صرفيةً، أم إملائية، أم عروضية ؛ لذا فإنه من العسير على الدَّارس لهذا الشعر وهو بعيد عن بيئته ومحيطه أن يركز فهمه فيه ، أو يخرج منه بكبير فائدة ؛ ما لم يؤديه الأداء الصحيح بلهجته الخاصة بِها "[1] ، وقد مرَّ معنا نحو هذا الكلام .

كما لا يخفى الجميع أنَّ نَظْمَ الجملةِ العربيةِ الفصيحةِ يرد على وجوه أقلُّها : أن يتألف من اسمين، أو من فعل واسم، أو من جملتين، أو من فعل واسمين، أو من فعل وثلاثة أسماء، أو من فعل وأربعة أسماء . . إلخ .

أما نظم الجملة العامية فليس له قاعدة معروفة حتى الآن وقد يوافق حالاً من أحوال بناء الجملة العربية ونظمها في بعض التعبيرات، وقد يخالف ذلك .

يقول مرزوق : " ولا أعرف حدًّا لأقله، ولم أطلع على تحديد لنظم الجملة العامية يمكن الاعتماد عليه حتى يمكننا أن نقارن بين الجملة الفصيحة والعامية، ونعرف وجه التشابه بينهما، وليس الغرض من هذه الدراسة مقارنة الجملة العامية بالجملة العربية إنما الغرض بيان

(١) انظر " الأدب الشعبي" لعبد الله بن خميس، ص ( ٨١-٨٢ ) .

الاختلاف بين نظام الجملتين ، وبُعد كلٍّ منهما عن الأخرى، وانتفاء التشابه بينهما "

ويقول - أيضًا - : " أما أنه - "النبطي" - فرعٌ من فروعِ الأدب الفصيح فلا شك في ذلك؛ وهو في حقيقته فرع انحدر من الأدب العربي، لكنَّه بَعُدَ عنه واتخذ مسارًا غير الأدب العربي، وتميز بخصائص ومقومات لغوية غير خصائص أصله، وانحداره من أصل العربية لا يُقلِّل من خطورته عليها وعلى أدبِها، وابتعاده عنهما سيجعله منافسًا لهما؛ ثم لا يلبث أن يَحِلَّ هو ولغته محل اللغة الفصحى، ودارسو اللغات وعلماء تأريخها يعرفون أن كلَّ مجموعةِ لغات قائمة اليوم على الرغم من اختلافها، وتباينها في الوقت الحاضر فإنَّها تعود في أصلها إلى لغات أقدم منها، وتُعَدُّ فروعًا متطورةً عن أصل واحد، ويصفون كل مجموعة منها وينسبونَها إلى أصل لغوي واحد، ويعرفون أن كل لغة مع مرور الزمن يصيبها التحلل والانفكاك فتنمو فروعها حتى يصبح كل فرع لغة قائمة لا صلة لها بأخواتِها الآخريات التي كانت تشركها في أصلها الأول ، حتى تصبح اللغات ذات الأَرومَةِ الواحدة لُغاتٍ منفصلاً بعضُها عن بعض؛ لا يربطها إلا الجذور، وصيغ التراكيب التي يستدل بِها الباحثون على صلة القربى بينها..." [(١)] .

---

(١) انظر " الفصحى " لمرزوق بن صنيتان، ص (١٨٧-١٨٩) .

ولا خلاف أن الشعر "النبطي" شعر منحدر عن الشعر الفصيح قد حَمَلَ معه في انحداره بعضًا من جذور الشعر الفصيح وصفاته المعنوية والخلقية والقيم الاجتماعية التي رصدها الشعر العربي في الجزيرة على مرِّ العصور، وعندما انتشرت العامية واستغلق فَهم الشعر الفصيح احتاج الأميون، والعوام إلى التعبير عن قيم المجتمع العربي العامي، ولما أعجزهم الحال عن النظم بالفصيح، أخذوا ينظمون بشعر العامية صوراً من هذه القيم بلهجة عامية ركيكة ضعيفة لا تشابه فصاحة العربية، ولا تمثل بلاغتها، ولا تتفق مع بيانها وأساليبها، ففسدت لغة الشعر، ومسخت، وابتعدت عن الإعراب، والبناء العربي المستقيم، والذين يدافعون عن الشعر "النبطي" اليوم ويصفونه بما سلف من الصفات لا يستطيعون أن يحققوا للغته صفة من صفات اللغة باستثناء المفردات التي بقيت فصيحة - في الغالب - في الشعر "النبطي"، ولكنها نظمت نظمًا مناقضًا لنظم العربية، وبنيت بناءً مخالفًا لبنائها ممَّا جعل هذه المفردات - الفصيحة - في لغة الشعر العامي تفقد قيمتها، وتبعد عن أصلها، وينطمس بريق حيويتها.

**الشبهة السابعة** : قول بعضهم : إنَّنا لسنا من دعاة "النبطي" بقدر ما نحن دعاةٌ إلى الإسلام .

لذا كان " النبطيُّ " عندنا وسيلةً دعويةً نستطيع من خلاله

تَذكير مجموعةً – ليست قليلة – من الناس بـــالعقيدةِ الصحيحـــةِ، والجنَّةِ، والنَّار، والموتِ، وبرِّ الوالدين، والأخلاق الحميدة . . الخ .

**قلت** : إن هذه الشُّبهةَ تُعد من أهم الشُّبهِ التي اتكأ عليها كثيرٌ من الصالحين، وهذا ظاهرٌ من خلال الإنتاج الفني، والمقدمات العلمية عبر الأشرطة السمعيَّة – الكاسيت- حيـــث نجدهـــم يتســـابقون ويتنافسون في إصدار ما يمكن إصداره من هذه الأشرطة تَحت أسماء وعناوين تدلُّ على الصحراء، وأهلها من البادية، والأعراب؛ ســـواء كانت هذه الأشعار "النبطيَّة" بأصوات أصحابها، أو غيرهم ! .

**قلت** : ما كان لي أن أكتب شيئًا عن الشعر "النبطي"، وبيـــان أخطائه إلاَّ حين رأيت الصَّالحين- للأسف- يتساقطون في أحضـــان "النبطي" دون رويَّةٍ، أو علم؛ مستندين على هذه الشبهات الواهيـــة، والاجتهادات الفاسدة .

وكما أسلفنا؛ فالشعر "النبطي"، ودعاته لم يكونوا أبناء اليـــوم؛ بل كان وجوده منذ أكثر من خمسمائة عام تقريبًا؛ وقد تشاغلنا عِنه، أو تجاهلناه ظنًّا منَّا أن دُعاتَه سيكشف التأريخُ جنايتهم، وعاديتـــهم على اللغة العربية، كما هو الحال عند دعـــاة الحداثـــة، والشعوبيـــة وغيرهما من أعداء الفصحى.

فسنةُ الله – تعالى – باقيةٌ ما بقى أهلُ الخير وأهلُ الشر؛ لكننـــا

فوجئنا وعجبنا حينما رأينا بعضًا من إخواننا الصالحين قد تنكّب طريق الدعوة السلفية، والوسائل الشرعية في الدعوة، وانْهزم أمام دعاة "النبطي"، ووسائلهم الضعيفة، وتجارِبهم الواهية!.

لأجل هذا ؛ أرسلت للقلم عنانه في كتابة هذه الرسالة كي أُبيِّن أبعاد وأخطاء هذه الاجتهادات التي ما كان لها أن تحدث في مثل هذه المسألة الدخيلة العليلة - الدعوة بالشعر "النبطي" -، وامتثالاً لواجب النصيحة بين المسلمين .

وقبل الشروع في تفنيد هذه الشبهة؛ أحببنا أن نذكر مراحل الشعر "النبطي" الزمنية باختصار؛ تقريبًا للمسألة، وكشفًا لأبعادها .

**فأقول** : لا يخفى الجميع أن الشعر "النبطي" مرَّ بمراحل أحسبها خمسًا، والله أعلم .

**الأولى** : لقد نشأ الشعر "النبطي" قبل خمسة قرون بين أهله الذين لا يحسنون العلم؛ فضلاً عن اللغة، وعلومها من نحوٍ، وصرفٍ.. إلخ، فكان "النبطي" منهم تعبيرًا، وإبداعًا، وحياةً ..، ولم يكن لهم أهداف، أو أبعاد بقدر ما يعيشون واقعهم، وحياتهم البدوية، ومشاعرهم العاطفية .

**الثانية** : وهذه المرحلة تعتبر مرحلةً خطيرةً، ومنحنى في تأريخ اللغة العربية ؛ وذلك حينما تبنَّى دعاةُ العامية الشعرَ "النبطي" كفكرٍ،

وتقنينٍ، وتأصيلٍ، ومن ثمَّ لم يفتؤا في الدعوة إلى الشعر "النبطـــي"، واحتضانه، وحمل الناشئة من الشباب عليه، وإحياء لياليـــه، ونشـــر صحفه ومجلاته و غير ذلك ممَّا يعج به الواقع .

**الثالثة** : وهذه المرحلة لم تكن وليدةَ أفكارٍ، أو تخطيطًا بقدر مـــا كانت وليدةَ واقعٍ مشحونٍ بـــ "النبطي" ممَّا عملته أيدي الدعـــاة إلى "النبطي"، سواء في الصحفِ، أو المجلات، أو وسائل الإعلام الأخرى.

هذا إذا علمنا أن أكثر أصحاب هذه المرحلة - للأســـف - لم تفتحْ أعينهم إلاَّ على الشعر " النبطي" ، حيث وجدوه قد أحاط بِهم من أمامهم ومن خلفهم ، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، فكان لهذه الأجواء المعمَّمة، والظروف الملغَّمة، والسحب المظلمـــة؛ نتائجـــها الهزيلة ، وثمارها الفاسدة، فما كان لهـــا إلاّ أن تعمـــل في أفكـــار أصحابَ هذه المرحلة، وتدفعهم إلى عجلةِ "النبطي"، حيث اشتغـــل أكثر الشباب الصالحين بالشعر "النبطي" ظنًا منهم أنه تاج الأدبـــاء، ومنتدى الشعراء، وصَرْحُ الثقافة، وهذا كلُّه في حين كان أهل هـــذه المرحلة قليلي المعرفة، ضعيفي التحصيل، سطحي الثقافة؛ لذا جعلـــوا من أنفسهم شعراء مبدعين، ودعاة مصلحين؛ لهم دواوينهم "النبطيَّة"، ولقاءاتُهم المسائية، وجلساتُهم الأدبية !، والله المســـتعان علـــى مـــا يصفون .

وكما أسلفنا لم يكن هؤلاء الشباب من مجرمي الفصحى بقدر ما هم أبرياء سُذَّج؛ قد وقعوا ضحايا دعاة "النبطي" !!، حيث لم يسلموا من تأثير الواقع، ومن عدوى "النبطي" المحيط بهم، لذا لم يكن منهم إلاَّ أن استجابوا لداعي "النبطي"، وفكره في غفلتهم عن تَعَلُّمِ اللُّغة العربية، والشعر العربي الفصيح . . حتى كان منهم ما كان بدافع الغفلة، وعدمِ الحَيطةِ والحذرِ من الغزو "النبطي"!، الذي استطاع أن يصطاد أفكارهم ومشاعرهم بشباكه الواهية التي نُسجت فوق رءوسهم كبيت العنكبوت.

وهكذا لم تزل الغفلةُ بهم حتى سعوا حثيثًا في نشرِ دعوتِهم عبر " النبطي" من خلال الأشرطة التي انتشرت في أروقة المحلات السمعية بين الفينة والأخرى، فإلى الله المشتكى، وعليه التكلان[1] .

لذا رجوتُ أن يكون الجوابُ عن هذه الشبهة عبر حوارٍ علمي بيني وبين صاحب هذه الشبهة مع الأمانة العلمية، والإنصاف في المحاورة كما ستراه - إن شاء الله -[2] .

---

(١) لقد مرَّ معنا عدد الأشرطة النبطية الإسلامية!، التي بلغت خمسة وأربعين شريطًا حتى ساعتي هذه .

(٢) حواري هنا مع رجلٍ منصفٍ عاقلٍ، متجردٍ من الهوى، مريدٍ للحق يخشى الله والدار الآخرة؛ أمَّا ما سوى ذلك فليس لنا معه كلامٌ! .

**قلت** : إن هذا الشعر "النبطي" الذي جعلتموه وسيلةً دعويـــةً؛ هل هو شعرٌ عربي أم أعجمي ؟ .

**قال** : إنه شعرٌ عربي، ولا شك .

**قلت** : إذا كان كما قلت؛ فهل هو شعرٌ عربي فصيحٌ مـــوزونٌ مقفّى معرَّب أم شعرٌ عربي ركيكٌ ملحونٌ لا علاقة له بـــالإعراب، وأوزان الشعر الفصيح ؟ .

**قال** : لا شكَّ أنه ملحونٌ ؛ لا علاقة له بـــالإعراب ، والأوزان العربية المعروفة، والقواعد النحوية .

**قلت** : أليس كتابُ الله – تعالى –، وسنةُ رسولِه صلى الله عليه وسلم بلسانٍ عربي فصيح ؟ .

**قال** : بلى؛ ولا شكَّ في هذا .

**قلت** : إذا كان كما قلت؛ أفلا يكفي أن ندعوَ الناسَ بالكتابِ والسنةِ مباشرةً ؛ لأن فيهما – الكتاب، والســـنة – مـــن البيـــانِ، والفصاحةِ، وجمال المبنى، ووضوحِ المعنى، وسهولةِ العبارة ما ليس في الشعر " النبطي"؟ ، وكذا دعوتُهم باللِّسان العربي؛ سواءٌ كان شعرًا، أو نثرًا ؟ .

**قال** : لا شك أن في الكتاب والسنة، وغيرهما من اللسان العربي الفصيح من البيان، والفصاحة، والسهولة ما ليس في الشعر "النبطي"؛

ولكن هنا إيرادٌ مهمٌ وهو : إننا ندعو أُناسًا لا يحسنون اللُّغة العربية الفصحى !؛ بل الذين ندعوهم أناسٌ يتأثرون، ويفهمون من الشعر "النبطي" أكثر من غيره .

**قلت** : هذا إيرادٌ جيدٌ ؛ إلاَّ أنه مردودٌ بسؤالٍ وهو : أن هؤلاء الذين وصفتهم بالجهل، والعامية هل هم عربٌ، أم عجم ؟ .

**قال** : لا شكَّ أنَّهم عرب .

**قلت** : إذا كانوا عربًا -كما قلت- فدعوتُهم باللِّسان العربي الفصيح حينئذٍ أولى، وأجدر من دعوتِهم باللهجة العاميَّة الركيكةِ؛ وإلاّ انتقض كلامك !، لاسيما أنَّنا لم نسمع يومًا من الأيام عن هؤلاء العامَّة إنَّهم لا يحسنون فَهمَ ومعرفةَ اللِّسان العربي الفصيح؛ بل نجدهم في غاية الفهم، والمعرفة!.

والدليل على هذا أننا نجدهم يقرءون القرآن، والسنة — إذا كانوا يقرءون –، أو يسمعونَهما من غيرهم ، وكذا نجدهم يستمعون إلى المحاضرات ، والأشرطة الإسلامية، وتُقرأ عليهم الكتبُ الإسلامية، وتلقى عليهم الخُطب، والمواعظ صباحَ مساءَ وهم في غاية الاستمتاع والفَهمِ دون تَذمُّرٍ، أو ضِيقٍ .

وإنَّ أخشى ما أخشاه بعد هذا أن يكون دعاة "النبطي" قد تطاولوا على العامة، وحمَّلوهم ما لم يحتملوا، وجهَّلوهم زيادةً على

جهلهم، وأساءوا بِهم الظنَّ، وظلموهم حينما لم يكتفوا بأنَّهم يجهلون اللغة العربية؛ بل وصموهم بالعجمةِ، وسوءِ الفهم؛ وفساد السماع للقرآنِ والسنةِ، وكلِّ ما هو من شأن اللِّسان العربي ! .

**قال** : نعم ما قلته فيه شيءٌ من الصِّحة؛ لكنَّنا وجدنا الشعرَ "النبطي" أسهلَ على ألسنتهم، وأذواقهم ليس إلاَّ، ولم نتَّهمهُم بسوءِ فَهمِ الخطاب؛ بلِ غاية ما عندهم هو سوء تحرير الكتاب .

**قلت** : إذا كانوا عربًا كما ذكرتَ آنفًا ؛ فالأولى شرعًا وعقلاً أن نردَّهم إلى اللِّسان العربي الذي هو أصل لسانِهم ، ومنبعُ كلامهم من كوننا – عياذاً بالله – نبُعدهم عنه، ونزيدُ في الشُّقةِ بينهم وبين أصلِ لسانِهم؛ لأن الإنسان بطبعه يكون رجوعه إلى أصله أسهل وأقرب من إبعاده عنه ، والحالة هذه فأنتم بفعلكم هذا تُسيئون إليهم، ولا تحسنون ! .

**قال** : نحن أعلم بِهؤلاء – العامة، والأعراب – وما أردنا لهم "النبطي" كدعوة إلاَّ نصحًا، وإحسانًا بِهم .

**قلت** : إنَّ دعوتَكم لهؤلاء بالشعر "النبطي" يُعدُّ غشًا لهم، وزيادةً في تجهيلهم ، وإبعادهم عن اللِّسان العربي الذي هم أقرب إليه من غيره، فأنتم بِهذا الصنيع لا تخرجون عن حالتين لا ثالث لهما، والله أعلم .

**الأولى** : أنكم تقامرون بعقول، وأذواق العامَّة على حساب أنفسكم، وحبكِّم لـ"النَّبطي"؛ بل إخالكم بهذا الصنيع تتاجرون بالعامَّة في أسواق الرقيق، وتجعلون منهم جُنَّةً تصدُّون بهم سهام حُماةِ الفصحى .

**الثانية** : أنكم لا تعرفون حقيقة العامة، ولا تدركون أذواقهم حينما حكمتم عليهم بالجهل المركب، وذلك بأنَّهم لا يفهمون لغة الكتاب والخطاب، فإن زعمتم أن الأمر ليس كذلك، فأنتم حينئذٍ تتكلمون عن أُناسٍ ليسوا معنا، ولا يعيشون بيننا؛ بل هم أقرب أن يكونوا في غابات إفريقيا، أو ما وراء البحار !، لأنَّ الواقعَ يُناقضُ دعواكم، والعبرة بالحقائق والبراهين، لا بالتخرُّصات، والأقاويل !، فالعامة في الجزيرة العربية لم يكونوا من عالم الغيب ؛ بل هم من عالم الشهادة، فهم معنا، ويعيشون بيننا، فالحكم عليهم إذًا ليس حِكرًا على طائفةٍ دون الأخرى .

فإذا عُلم ذلك كان من السهولة والبيان والوضوح أن نحكم على العامة في الجزيرة بما يلي :" أنَّهم أناسٌ يحسنون فَهم اللِّسان العربي الذي هو أصل لسانِهم ، وهذا ظاهر عند مخاطبتهم، والتحدث إليهم، بغض النَّظر عن التَّقعر في الكلام، وإغرابه . .

ففرق حينئذٍ بين البيان، والفصاحة، وسهولة المبنى، وجزالة المعنى الموجودة في القرآن ، والسنة، والمحاضرات، والخطب وغيرها ممَّا هو باللِّسان العربي ، وبين وحشي الكلام ، وغريبه الموجود في غير ما ذُكر؛ فمن تأمل هذا الفارق اتضح له حقيقة ما ندعو إليه، وبالله التوفيق .

فأنتم بقدر إبعادكم للعامة عن اللِّسان العربي سيكون حتمًا في الوقت نفسه إبعاداً لهم عن الكتاب، والسنة شئتم، أم أبيتم - عياذا بالله - .

**قال** : نحن لم نقصد إبعادهم عن اللِّسان العربي؛ بل نريد أن نبلغهم دعوة الإسلام بلسانِهم العامي من جنَّةٍ ونارٍ، وطرق الخير والشَّر، والموت . . إلخ .

**قلت** : لقد عاد السؤال جذعًا كما مرَّ، وهو : هل هؤلاء العامة، والأعراب عربٌ، أم عجمٌ ؟ .

**قال** : لا شكَّ أنَّهم عربٌ؛ كما ذكرناه آنفًا .

**قلت** : إذًا دعوتُهم باللِّسان العربي أولى وأفضل إذا كانوا عربًا كما تقول، وإلاّ نقض أولُ كلامِك آخرَه .

**قال** : نحن نريد من الشعر "النبطي" المعاني الجميلة، من مآثر، وشجاعة، وكرم.. إلخ، بغض النظر عن المباني، والألفاظ، والإعراب.

**قلت** : أما إذا قصدت المعاني دون المباني - الألفاظ - فهذا عذرٌ أقبحُ من الذي قبله ! .

لأننا نسمعُ كلَّ البشر يتكلمون بلهجاتِهم المختلفة ما بين بربرية، وأعجمية، ولاتينية، وأُردية، وفارسية . . إلخ، فهذه اللهجات وإن كانت مختلفة المباني؛ إلاّ أنَّها متفقة المعاني دون شكٍّ ! .

فمثلاً؛ لو أراد رجلٌ من أصحاب هذه اللهجات المختلفة أن يقول لصاحبه : اذهب إلى المدرسة ؟ .

لوجدتُهم مختلفين في المبنى - اللَّفظ - ، متفقين في المعنى ، والحالة هذه ، فليس لكم بعد ذلك عذرٌ ، أو تبريرٌ في ترويج وتسويغ القول : بأن الشعرَ "النبطي" وسيلةٌ دعويةٌ صحيحةٌ .

فإذا عُلم هذا : لا ننسَ أنَّنا لا نريد دعوة العامة، والأعراب، وغيرهم باللِّسان العربي لكونه عربيًّا فقط؛ بل وراء ذلك – أيضًا – أهم وأعظم هدفًا وغايةً وهو دعوتهم إلى دينهم الذي خُلقوا من أجله، وذلك بترويض لسانِهم على الفصحى، وتقريبهم من فَهم اللِّسان العربي الذي هو طريق الكتاب والسنة ، وكلام السلف، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ولا أقصد - أيضًا - من هذا أن يكون العامةُ، أو غيرُهم علماءَ في اللغة العربية كلاَّ؛ بل غايةُ ما نريدُ منهم أن يُدركوا من

القرآن والسنة ما يَسعهم ذلك، وذلك بتعويدهم على فهم اللسان العربي الدَّارج .

فقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال : " التفسير على أربعةِ أوْجُهٍ، تفسيرٌ تعرفُه العربُ من كلامِها، وتفسيرٌ لا يُعذرُ أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعلمهُ العلماءُ، وتفسيرٌ لا يعلمهُ إلاَّ الله؛ من ادَّعى علمَه فهو كاذبٌ "(١) .

فهذا ابن عباس – رضي الله عنه – بَيَّن لنا موقع، ومكانه العامَّة إذا كانوا عربًا، وهو أن يكون لهم حظٌّ وافرٌ من فَهمِ كتاب الله، وهذا لن يكون إلاّ إذا حملناهم على فَهمِ اللِّسان العربي ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

في حين أنَّنا نجدُ الطفلَ والمرأةَ والأميَّ يتكلمون لغة القران، ويعرفونَها، ويدركون جمال معناها؛ فدعوتُهم إذًا باللهجة العامية عبر الشعر "النبطي" يُعدُّ نقلةً بعيدةً عن اللغة الفصحى، وصرفًا للِّسان، وبعدًا لهم عن اللُّغة الحافظة للقرآن، وهو عكس ما تذهبون إليه في تبرير دعوتكم من خلال الشعر "النبطي" ! .

---

(١) انظر"تفسير الطبري"، (١/٧٥)، و " تفسير ابن كثير "، (١/١٥-١٦)، وفي سنده انقطاع لأن أبا الزناد لم يسمع من ابن عباس كما قال أبو حاتم الرازي في المراسيل ص(١١١) .

أمَّا إذا تمادينا ، وأصَرَرنا على الحِنثِ العظيم، وذلك بحمل ألسنة العامة، وتعويدهم على الكلام العامي الملحون عبر الشعر "النبطـــي"، فيخشى علينا أن نكون ممَّن يصدُّ عن سبيل الله، قال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [ الأعراف : ٨٦ ]

**قال** : إذًا؛ أفهم من كلامك أنه يجب علينا أن نتكلم بين العامة والأعراب وغيرهم باللِّسان العربي الفصيح، وكذا كلُّ داعٍ إلى الله لا يجوز له أن يتكلم أو يدعو أحدًا إلاّ بالفصحى !! .

**قلت** : ما هذا أردنا، ولا قصدنا، وإن كنَّا نرجوه .

فنحن لا نلزم أحدًا بالفصحى في كلِّ أحواله، ومجالسه، بغـــض النظر عن مجالس العلم وطلابه .

فكُلُّ كلامنا في هذه الرسالة منصبٌ تُجاه الذين جعلـــوا مـــن العامية، و"النبطي" فكرًا، وتقنينًـــا، عـــبر الصحـــف، والمجـــلات، والمنتديات، ووسائل الإعلام، أمَّا الذيـــن يتكلمـــون بالعـــامي، أو ينشدون بــ "النبطي"، لا تقريرًا له، ولا تقعيدًا له فلا إنكار عليـــهم لأنه لا يخشى منهم، ولا عليهم؛ علمًا بأن دعوتَهم باللَّهجة العاميـــة بين العامة وغيرهم مخالفٌ للأصلِ والأولى، وهو اللسان العربي .

إلاّ أنه يشفع لهم في ذلك - والله أعلم - أنّهم ربّما لا يحسنون العربية، أو لا يجيدون استخدامها في دعوهم، أو أنّهم لم يتعوّدوا على ممارستها وهذا الاحتمال واردٌ عند كثيرٍ من الدُّعاةِ، وبعضِ طـــلاب العلم - للأسف - والله أعلم .

**قال** : نحن لا نقصد بدعوتنا الشرعية الدَّعوة إلى العاميةِ ؛ بـــل غاية ما عندنا نشرُ الحقِّ، وتعليمُ المسلمين أمورَ دينِهم؛ فـــأين نحـــن حينئذٍ من دعاةِ "النبطي" ؟ !.

**قلت** : لاشك « إنما الأعمال بالنِّيات » كما قال صلـــى الله عليه وسلم[1] ، لكنَّه ينبغي أن نفرِّق بين النِّيةِ وبين العمل ، فالنيةُ إذن شيءٌ والعمل شيءٌ ! .

يوضِّحُه؛ أن النيةَ والعملَ قد يكونان صالحين، وقـــد يكونـــان فاسدين ، وقد يكون أحدهما صالحًا والآخر فاسدًا، وأمثلة ذلك كما يلي باختصار:

* **مثالُ صلاحِ النيةِ والعملِ معًا** : إقامة الصــــلاة لله تعـــالى، فالصلاة في حدِّ ذاتِها عبادةٌ صالحةٌ، وكونُها لله تعالى فـــهي حينئـــذٍ صالحةٌ مقبولةٌ .

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم ( ١٩٠٧) وغيرهما .

* **مثالُ فَسادِ النيةِ والعمل** : إقامة المنكرات لكسب أموال الناس مثلاً، كإقامة المسارح الغنائية لأخذ أموال الناس بالباطل .

* **مثالُ فسادِ النية دون العمل** : الصلاة أمام الناس رياءً، فالصلاة في حدِّ ذاتها عبادةٌ صالحةٌ، وكونُها لغير الله تعالى **فهي** فاسدةٌ حينئذٍ .

* **مثال صلاح النية دون العمل** : التقرب لله تعالى ببعض الشِّركيات والبدع، فعبادة أهل الجاهلية لأصنامهم كان ظنًّا منهم أنَّها وسيلةٌ تُقربُهم إلى الله تعالى كما قال تعالى عنهم : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] ، وكذا ما يقوم به أهلُ الموالدِ؛ فنيَّاتُ أغلبِهم صحيحةٌ لكنَّ أعمالَهم فاسدةٌ شرعًا؛ فمنها : ما هو شركٌ بالله تعالى، ومنها : ما هو دون ذلك؛ فلابدَّ حينئذٍ من إخلاص النية وصلاح العمل معًا .

**قال** : إذن من أيِّ الأنواع تكون دعوتنا بالشعر "النبطي" عبر الشريط الإسلامي ؟.

**قلت** : لا شكَّ أنَّه من النوعِ الرابعِ الذي هو : صلاح النية دون العمل ، فنيَّتُكم صالحةٌ – إن شاء الله – في حين أنَّ عملَكُم غيرُ صحيح قطعًا، فحينئذٍ أنتم لم تسلموا من الدعوة إلى العامية .

**قال** : كيف هذا، وما دليلك على ما ذهبتَ إليه ؟ .

**قلت** : الدليل على ذلك ما يلي :

١ ـ أنَّ الشريط من أوسع الطرق نشرًا وذيوعًا؛ لأنه سهلُ التناولِ قريبُ الفائدة، يحسنُه كلُّ أحدٍ، العالم والجاهل؛ فنشركم للخير حينئذٍ بالشعر "النبطي" عبر الشريط يعدُّ دعوةً للعامية .

٢ ـ أنَّ شريطَكم هنا يتضمَّنُ مواضيع شرعية ، وآداب مرعية مِمَّا يحتاجها كلُّ مسلمٍ على مختلف الطبقات وتنوّع المستويات؛ لـذا سيكون نشره بنطاقٍ أوسع وأكبر سواء عشَّاق " النبطي" أو غيرهم ، وهذا بابٌ آخر يشجع على نشر أشرطتكم التي ستكون في آخر المطاف دعوةً للعامية .

٣ ـ أنَّ الكلمات التي تُلقى في مقدِّمات أشرطتكم من حبِّكم لنشر الخير، وبثِّه بين أبناء المسلمين، مع تبريركم لأهمية "النبطي"، وأنه طريقةٌ سهلةٌ يعشقها ويألفها كثيرٌ من الناس، وأنكم ما تَحَمَّلتُم الصِّعاب في هذا إلاَّ لنشر الخير لأكبر طائفةٍ من أبناء الجزيرة . . وغير ذلك من الحفاوةِ والتحسينِ لجهودكم الكريمة ! .

إنَّ ما تذكرونه في مقدمات هذه الأشرطة لهو أكبرُ دليلٍ ، وأوضحُ برهانٍ لنشركم للعاميةِ، والدعوةِ إليها !، ولا يخالف هذا إلاَّ جاهلٌ أو مكابرٌ ! شئتم أم أبيتم .

مع علمنا -دون شكٍّ-: أنكم ما أردتم بصنيعكم هذا إلاَّ خيرًا، وهذه النيةُ الصالحة لا تعني ضرورةً صلاح العمل كما ذكرناه آنفًا، فغاية ما عندكم أنَّكم مجتهدون مأجورون باجتهادكم معذورون في خطأكم[1]، والحالة هذه إذا أصررتم على الخطأ بعد بيانه فلا شكَّ أنكم مأزورون - عياذًا بالله - وحاشاكم أن تكونوا ممَّن تأخذه العزَّةُ بالإثْم في متابعة هذه الاجتهادات الفاسدة ؛ كما هو حُسن ظنِّنا بكم - إن شاء الله - .

**قال** : إذًا فَهمتُ ما أردتَ، وعليه عَقدتُ خِنْصَرِي، واطمأنَّ إليه قلبي، وانكشفت أمامي سحبُ الظلام، وحصحص الحقُّ لكلِّ منصفٍ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله رب العالمين

* * *

١ ــ كما قال صلى الله عليه وسلم : " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر " من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أخرجه مسلم (١٧١٦)، وأحمد ( ١٩٨/٤)، وأبو داود ( ٣٥٧٤) وغيرهم .

# الخاتمة

## كلمةٌ أخيرةٌ

وقبل إمساكِ عنانِ القلم عن كَرِّهِ وإقدامِه، وقبل الخروجِ من الكَتْبِ وإتمامِه أحببتُ أن أذكرَ ما لم أذكرْه في ابتدائي؛ في حين كنتُ أحبس نفسي عنه وأمنيها، وأُسلِّي قلبي وأُهنِّيه حتى كان ما كان بعد نفاد صبري وكلال جهدي ورُغم جَلدي؛ لكن هيهات!.

فعذرًا؛ حينما أضعف أمام نفسي " كيف لا ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ .

كيف لا ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾[1] ! .

فدونكم قولي : إنِّي كلما قمت من جلستي لأكتب رسالتي، أو انتبهتُ من نومتي . . اعترتني عبرةٌ؛ وكُلِّي حسرةٌ . . من سؤالٍ؛ طالما انتصب أمام عيني ، ووقف فوق رأسي كظُلَّةٍ ظلماء ..

وهو : هل سيقبلُ أبناءُ أُمَّتي ما سطَّره يراعي لهم فيما كتبت ؟، أو عساهم يُحسِنون ما أردت ؟، أم أنَّهم سيغُضُّون عنها أبصارَهم، وإذا قُرئت عليهم لوَوْا رءوسَهم ؟!! .

---

١ ــ الآية الأولى النساء (٢٨)، والثانية يوسف (٥٣) .

فإن كانت الأولى فللّه الحمدُ في الأولى والآخرة، وإن كـــانت الثانية فأحتسبُ صبري إن كان له بقيَّةٌ أترقَّبُ به جيلاً آخرَ عســـاه يكون قريبًا، فإن لم يكُ شيءٌ من هذا فحسبي الله ونعـــم الوكيـــل، وأسأله أن لا يحرمني الأجر في الآخرة، آمين .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورســـوله الأمين .

فقد انتهيت ممَّا منه ابتديت ليلة الخميس لثلاثِ ليالٍ خلون من شهر ذي الحِجَّةِ لعام عشرين وأربعمائةٍ وألفٍ من الهجرة .

٣/١٢/١٤٢٠هـ

* * *

# ثَبَتُ المراجع

ـــ القرآن الكريم

١- أباطيل وأسمار

محمود بن محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، الطبعة الثانية.

٢- احذروا الأساليب الحديثة

سعد الدين صالح، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ .

٣- أمالي القالي

أبو علي القالي، الهيئة المصرية العامة للكتب .

٤- أمثال العرب

المفضل الضبي، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٤٠١هـــ.

٥- إيضاح الوقف والابتداء

أبو بكر الأنباري ، تحقيق محيى الدين رمضان، مجمع اللغة بدمشق .

٦- اقتضاء الصراط المستقيم

شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـــ.

٧- الإتقان

جلال الدين السيوطي، مطبعة المكتبة التجارية دار الفكر .

٨- الأخبار النجدية

محمد بن عمر الفاخوري، تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل، منشورات جامعة الإمام

٩- الأدب الشعبي المقارن

عبد الحميد يونس .

١٠- الأدب الشعبي في جزيرة العرب

عبد الله بن محمد بن خميس، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

١١- الأزهار النادية من أشعار البادية

محمد بن سعيد كمال، مكتبة المعارف الطائف، الطبعة الثانية .

١٢- الأضداد

أبو بكر الأنباري، دائرة النشر الكويت .

١٣- الأعلام

خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين الطبعة الثامنة، بيروت .

١٤- تتمة الأعلام

محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

١٥- الأعلام الشرقية

زكي مجاهد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية .

١٦- الأنساب

أبو سعد عبد الكريم السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١٧- البيان والتبيين

أبو عثمان عمرو الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ١٤١٠هـ .

١٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ .

١٩- الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين

عبد الشافي غنيم

٢٠- الحركة الفكرية ضد الإسلام

عبد الفتاح دويدار

٢١- الخصائص

ابن الجني، تحقيق النجار، مطبعة دار الهدى بيروت .

٢٢- الرسالة

الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر،مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ .

٢٣- الشعر الشعبي شعر أم زجل

توفيق بن علي وهبة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٢٤- الشعر العامي بلهجة أهل نجد .

٢٥- أو تأريخ نجد في عصور العامية

أبو عبد الرحمن الظاهري، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

٢٦- الشعر النبطي

طلال بن عثمان السعيد

٢٧- الشعر النبطي مصدرا لتاريخ نجد

عبد الله بن عثيمين

٢٨- الشعر والشعراء

عبد الله بن محمد بن قتيبة الدينوري، تحقيق عمر الطباخ، دار الأرقم الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢٩- الشوارد

عبد الله بن محمد بن خميس ، المجلد الثالث .

٣٠- الصعقة الغضبية

نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق محمد الفاضل، مكتبة العبيكان

٣١- العروض والقوافي

عمر الأسعد

٣٢- العقد الفريد

ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق محمد بن سعيد العريان، دار الفكر .

٣٣- العلل المتناهية

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٣٤- الفائق

جار الله محمود الزمخشري، تحقيق البجاوي وأبي الفضل، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .

٣٥- الفاضل

المبرد، تحقيق الميمني، دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ .

٣٦- الفصحى ونظرية الفكر العامي

مرزوق بن صنيتان بن تنباك، مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

٣٧- الكامل

ابن المبرد، تحقيق أبي الفضل وزميليه، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٣٧٦هـ .

٣٨- اللغة بين القاعدة والمثال

أبو عبد الرحمن الظاهري، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، ١٤٠١هـ.

٣٩- اللهجات العربية

عبد الغفار هلال

٤٠- اللهجة العربية العامية

عيسى اسكندر، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، في مقالين ١٣٥٣ - ١٣٥٥هـ .

٤١- المراسيل

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

٤٢- المستدرك على الصحيحين

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق عبد السلام علوش دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٤٣- المستشرقون

نجيب العقيقي

٤٤- المصباح المنير

أحمد بن محمد الفيومي، عناية يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٤٥- فقه النوازل

بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٤٦- الموسوعة العربية العالمية

مجموعة من المتخصصين، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .

٤٧- النهاية في غريب الحديث

مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية .

٤٨- الوسيط في الأمثال

علي بن أحمد الواحدي

٤٩- بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية

عبد الكريم كريم، الندوة العالمية الأولى، منشورات جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ .

٥٠- بَهجة المجالس

أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق بهجت مرسي الخـولي، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية .

٥١- تأريخ الدعوة العامية وأثرها في مصر

نفوسة بنت زكريا سعيد، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

٥٢- تفسير ابن كثير

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي السلامة، دار طيبـة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٥٣- تفسير الشوكاني

محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٥٤- تفسير القرطبي

أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق محمود عثمان، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٥٥- تنبيه الألباب على فضائل القرآن

الشنتريني، تحقيق معيض العوفي، دار المـدني بمصـر، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ .

٥٦- تَهذيب الأسماء واللغة

محي الدين النووي .

٥٧- جامع البيان عن تأويل القرآن

محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف .

٥٨- جريدة البلاد

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٥٩- جريدة الجزيرة

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٦٠- جريدة الرياض

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٦١- جريدة المدينة

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٦٢- جريدة الندوة

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٦٣- جريدة عكاظ

صحيفة محلية، تصدر يوميًا .

٦٤- جمهرة الأمثال

الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق أبي الفضل وقطامش، المؤسسة العربية القاهرة ١٣٨٤هـ .

٦٥- جناية الشعر الحر

أحمد فرح عقيلان، نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٦٦- حديث حول الشعر العامي

حمد الجاسر

٦٧- خزانة الأدب

البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة بولاق الأولى .

٦٨- خيار ما يلتقط من شعر النبط

عبد الله بن خالد الحاتم، المطبعة العمومية بدمشق ١٣٧٢هـ .

٦٩- درة الغواص

الحريري، تحقيق أبي الفضل، دار نهضة مصر .

٧٠- ديوان " ابتسامات الأيام "

محمد بن عبد الله بن بليهد نشر بعناية محمد بن سعد، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٧١- ديوان أجنحة بلا ريش

حسين سرحان

٧٢- ديوان التميمي

عبد الله بن علي بن صقيه، طبعة عام ١٣٩١هـ .

٧٣- ديوان الطائر الغريب

حسين بن سرحان

٧٤- ديوان المتنبي

أحمد بن الحسين المتنبي، شرح العكبري، تحقيق السقا وزميليه .

٧٥- ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي

خالد بن محمد الفرج، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧١هـ .

٧٦- ديوان حافظ إبراهيم

حافظ إبراهيم، دار صادر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

٧٧- ديوان شاعرات من البادية

عبد الله بن محمد بن رداس، دار اليمامة .

٧٨- ديوان عبد الله الفرج

عبد الله الفرج، منشورات ذات السلاسل، الكويت الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ .

٧٩- راشد الخلاوي حياته، شعره حكمه ..

عبد الله الخميس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ .

٨٠- سنن أبي داود

أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق عزت الدعاس والسيد، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٨١- سنن النسائي

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

٨٢- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

محمد بن عبد الله بن بليهد، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ

٨٣- صحيح البخاري

محمد بن إسماعيل البخاري، عناية مصطفى البغا، دار ابن كثير .

٨٤- صحيح مسلم

مسلم بن الحجاج، تحقيق فؤاد عبد الباقي، نشر البحوث بالمملكة ١٤٠٠هـ .

٨٥- ضعيف الجامع

محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٨٦- طبقات النحويين اللغويين

أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي، تحقيق أبي الفضل ١٣٩٢هـ .

٨٧- عنوان المجد في تاريخ نجد

عثمان بن عبد الله بن بشر،تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات إدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

٨٨- عيون الأخبار

ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب .

٨٩- غريب الحديث

ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الجبوري، نشر وزراة الأوقاف العراقية .

٩٠- فضائل القرآن

أبو عبيد، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٩١- فقه اللغة

أبو منصور عبد الملك الثعالبي، دار الكتب العلمية، تحقيق جمال طلبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٩٢- فيض القدير

محمد بن عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٩٣- قضايا الشعر المعاصر

نازك الملائكة، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة .

٩٤- كشف الخفاء

العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

٩٥- لسان العرب

ابن منظور، عناية علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

٩٦- لغة الجرائد

إبراهيم اليازجي، مطبعة التقدم بدون تاريخ

٩٧- مؤرخو نجد من أهلها

حمد الجاسر، مجلة العرب، ١٣٩١هـ .

٩٨- مجلة الدوحة

قطرية .

٩٩- مجلة العرب

سعودية .

١٠٠- مجلة القافلة

سعودية .

١٠١- مجلة اليمامة

سعودية .

١٠٢- مجلة مجمع اللغة العربية

دمشق .

١٠٣- مجمع الأمثال

الميداني، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة، ١٣٧٤هـ .

١٠٤- مجموع الفتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية .

١٠٥- محمد بن عبد الله بن بليهد، وآثاره الأدبية

محمد بن سعد بن حسين، مطابع اليمامة، ١٣٩٩هـ .

١٠٦- مسند الإمام أحمد

أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة تحقيق المكتب .

١٠٧- معجم الأدباء

ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٠٨- معجم المناهي اللفظية

بكر أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ .

١٠٩- مقال الصفحات الشعبية إلى أين ؟
حزام العتيبي .
١١٠- مقال صراع الديكة بين العامية والفصحى
خليل الفزيع .
١١١- مقال ضيف الجزيرة
سعد بن عبد الله بن جنيدل .
١١٢- مقال عاميتنا وعوامنا
أبو نفلا .
١١٣- مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن بن خلدون،دار إحياء التراث العربي، بيروت .
١١٤- موسوعة أمثال العرب
أميل بديع يعقوب، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
١١٥- نجد في عصور العامية، أو الشعر العامي .
أبو عبد الرحمن الظاهري، دار العلوم بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .
١١٦- نزهة الألباب
أبو بكر ابن الأنباري، تحقيق أبي الفضل، دار نهضة مصر، ١٣٨٦هـ.
١١٧- نشأة النحو
محمد الطنطاوي، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .
١١٨- ومضات وشبهات في دراسات المستشرقين اللغوية
غازي مختار، مقال ضمن مجلة القافلة السعودية .

# الفهارس الموضوعية


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد | ٣ |
| المقدِّمة | ٤ |
| توطئةٌ، ومدخلٌ | ٢٠ |
| **المبحث الأول : مدخل إلى اللغة العربية**، وذلك من خلال فصول. | ٢١ |
| **الفصل الأول** : فضل اللغة العربية وأهميتُها، ونشأتُها . | ٢٣ |
| تنافس العلماء والمحققون في إخراج كتب اللغة . | ٢٥ |
| الأدلة من القرآن على فضل اللغة العربية . | ٢٧ |
| الأدلة من السنة على فضل اللغة العربية . | ٢٨ |
| الأدلة من الآثار على فضل اللغة العربية . | ٢٩ |
| الأدلة من الإجماع على فضل اللغة العربية . | ٣٣ |
| الأدلة من العقل على فضل اللغة العربية . | ٣٤ |
| **الفصل الثاني** : أصل وضع علم النحو . | ٣٧ |
| اختلاف العلماء في أول من وضع علم النحو ، على رأيين . | ٣٧ |
| الرأي الأول | ٣٧ |
| الرأي الثاني . | ٣٧ |

| | |
|---|---|
| بطلان قول من قال : بأن علم النَّحو نُقل إلينا من لغة اليونان. | ٣٨ |
| **الفصل الثالث** : واضعُ علمِ النَّحو | ٣٩ |
| سبب تسمية علم النحو بذلك . | ٣٩ |
| قصة الأعرابي مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - | ٤٠ |
| قصة أبي الأسود مع ابنته . | ٤١ |
| على بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ أول من وضع النحو . | ٤١ |
| **الفصل الرابع** : أول بداية الخطأ في اللغة العربية . | ٤٢ |
| ظهور اللحن في كلام الموالي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم | ٤٢ |
| أول لحن سمع بالبادية ( هذه عصاتي ) . | ٤٥ |
| ارتباط السلفية بالفصحى . | ٤٥ |
| **المبحث الثاني** : **العامية أخطار، وتأريخ**، وذلك من خلال فصول : | ٤٧ |
| **الفصل الأول** : خطورة الدعوة إلى العاميَّة . | ٤٩ |
| قدم الصراع بين الشرق العربي والغرب الأوروبي . | ٤٩ |
| حركة الاستشراق بمباركة " البابا " . | ٥٠ |
| فرنسا أسرع الدول إلى الصدع بأمر " البابويه " . | ٥٠ |
| الدراسات اللغوية في الغرب الأوروبي . | ٥٠ |
| الدعوة إلى العامية كانت الملتقى عند أكثر المستشرقين | ٥٢ |
| موقف المستشرقين من اللهجات العامية الداخلة على بلادهم. | ٥٣ |
| الدليل على قدم معركة الدعوة إلى العامية، وانضواؤها تحت الألوية العسكرية . | ٥٤ |

اتساع ميدان الغزو الاستشراقي للفصحى . ٥٤
استعداء المستشرقين أبناء الفصحى على أمهم !. ٥٥
موقف الفرنسيين من اللغة العربية ؟!. ٥٥
الهدف من نشر العامية اليوم . ٥٧
أهمية قضية الفكر في مسار الأجيال . ٥٧
الانتصار للّهجات العامية معول هدم لتمزيق الأمة الإسلامية . ٥٩
معجزة اللغة العربية، واستمرارها حتى الآن !. ٦١
شعر حافظ إبراهيم . ٦٣
**الفصل الثاني** : بدايات العامِّية . ٦٦
مصر أولى البلاد العربية المستهدفة لنشر العامية . ٦٦
أسماء المدارس الاستشراقية وجهودها في نشر العاميات في العالم الإسلامي . ٦٨
ترجمة : محمد عياد الطنطاوي . ٧١
سبب تأخر بريطانيا لدراسة العامية !. ٧٣
ترجمة : حبيب السلموني . ٧٤
ترجمة : أحمد فارس . ٧٤
**الفصل الثالث** : التأليف، والنشر باللّهجات العامية . ٧٧
منهج القدامى في إصلاح العامية . ٧٩
أوائل الكتب التي وصلت إلينا . ٧٩
أسماء بعض الكتب التي عالجت أخطاء العامية . ٨٠

أسماء الكتب التي عالجت أخطاء الجرائد وغيرها . ٨٤
**الفصل الرابع** : مؤلفات المستشرقين في العامية . ٨٥
أسماء بعض الكتب التي قدمت إلى وزارات الخارجية للبلدان . ٨٥
**المبحث الثالث : الاهتمام بالعامية في الجزيرة العربية .** ٩١
حركة العامية في مصر والشأم وأثرها في الجزيرة العربية . ٩٢
**المبحث الرابع** : **الشعر "النبطي"**، وذلك من خلال فصول ٩٥
**الفصل الأول** : أصل الشعر "النبطي" . ٩٧
تعريف الشعر "النبطي" . ٩٧
كلام عبد الله بن خميس عن الشعر "النبطي" . ٩٨
كلام طلال السعيد عن الشعر "النبطي" . ٩٩
موقف المجمع اللغوي من الشعر "النبطي" . ١٠٢
اختلاف الآراء في تسمية الشعر "النبطي" . ١٠٣
استبعاد شعراء "النبطي" للرأي الأول . ١٠٥
الرد على اعتراض شعراء "النبطي" . ١٠٦
الفرق بين كلام الأعاجم، وكلام "النبطيين" . ١١٠
أصل اللغة العربية . ١١٣
الرد على شعراء "النبطي" في اعتمادهم على كلام ابن خلدون ١١٤
إجماع كتب اللغة على معنى "النبطي" . ١١٦
الرأي الثالث في تسمية الشعر "النبطي" . ١١٧
الخلاصة في تعريف "النبطي" . ١١٩

أسماء الشعر "النبطي" . ١٢٠

**الفصل الثاني** : تأريخ الشعر "النبطي" في الجزيرة العربية ١٢١

حال الجزيرة العربية في الماضي . ١٢١

انتشار الشعر "النبطي" في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . ١٢٢

الأطوار الزمنية لبداية وجمع الشعر "النبطي" في الجزيرة ١٢٢

"النبطي" وليد أخلاط هندية، وحضرمية، وفارسية . ١٢٣

الغرض الحقيقي من ذكر "النبطي" في كتابات ابن بليهد . ١٢٤

الشعراء الذين لم يعيروا "النبطي" اهتمامًا . ١٢٦

**الفصل الثالث** : بداية الاهتمام بالشعر "النبطي" في الجزيرة العربية. ١٢٧

الشخصية الكبيرة التي وقفت وراء الشعر "النبطي" !. ١٢٧

موقف إحدى المجامع اللغوية من فعل ديوان خالد الفرج . ١٣٠

اختيار ابن سليمان لحمد الجاسر لجمع الشعر "النبطي" ١٣٢

أول دراسة علمية للشعر "النبطي" . ١٣٤

**الفصل الرابع** : الاهتمام الشخصي بالشعر "النبطي" . ١٤٠

محمد العمري ، وجهوده في جمع الشعر "النبطي" . ١٤٠

**الفصل الخامس** : الاهتمام التجاري بالشعر "النبطي" . ١٤٢

دور مكتبة المعارف في نشر "النبطي" . ١٤٢

**الفصل السادس**: دور الصحافة الخفي في نشر العاميَّة ، والشعر "النبطي" ١٤٤

كلام " ولمور " عن نجاح دور الصحافة !. ١٤٤

دور "ولمور"، و "كرومر" في تغريب مصر . ١٤٥
ترجمة : طه حسين . ١٤٦
ترجمة : توفيق الحكيم . ١٤٦
ترجمة : أحمد لطفي السيد . ١٤٧
دور الصحافة في الجزيرة العربية . ١٤٧
تورع الرعيل الأول من فتح باب الشعر "النبطي" في الصحافة ١٤٨
أول إشارة إلى الشعر "النبطي" . ١٤٩
دور صحيفة الجزيرة في إثارة التحرش بين الفصحى والعامية ! ١٤٩
ترجمة : سلامة موسى . ١٥١
ترجمة : لويس عوض . ١٥١
**الفصل السابع** : دور الصحافة الجلي في نشر العامية، والشعر "النبطي". ١٥٧
أول بوادر ظهور الشعر "النبطي" في الصحف . ١٥٧
موقف الفريق يحيى المعلمي من الشعر "النبطي" . ١٦٠
**الفصل الثامن** : دور المنظّمات الرسميَّة في نشر العامية، والشعر "النبطي" . ١٦٢
مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي . ١٦٣
توصيات وقرارات المركز الشعبي للتراث ! . ١٦٤
نص كلام ممثل " اليونسكو" في مؤتمر التراث الشعبي ! ١٦٦
الاستعانة بأكبر المنظمات الفكرية ينقض دعوى النبطيين . ١٦٦

حقيقة التراث الشعبي !. ١٦٩
سؤال لابد منه ؟!. ١٦٩
**الفصل التاسع : دعاة الشعر "النبطي" .** ١٧١
الفئة الأولى . ١٧١
الفئة الثانية . ١٧٣
الفئة الثالثة . ١٧٤
الفئة الرابعة . ١٧٦
**المبحث الخامس : الفرق بين الشعر "النبطي"، والدعوة إليه .** ١٧٧
وقفة مع أبي عبد الرحمن الظاهري . ١٧٩
الشاعر محمد بن عثيمين أقرب مثال . ١٨٠
الشاعر محمد بن بليهد . ١٨٠
الشاعر حسين سرحان . ١٨١
**المبحث السادس : أخطاء الدعوة إلى الشعر "النبطي" .** ١٨٣
الخطأ الأول . ١٨٣
دعوة غريبة من أحد زعماء النصارى في زنجبار !. ١٨٥
الخطأ الثاني . ١٨٨
الخطأ الثالث . ١٨٨
الخطأ الرابع . ١٨٩
الخطأ الخامس . ١٩٠
الخطأ السادس . ١٩٠

الخطأ السابع . ١٩١
الخطأ الثامن . ١٩١
الخطأ التاسع . ١٩١
الفرق بين الفصحى و"النبطي" . ١٩١
الخطأ العاشر . ١٩٢
الخطأ الحادي عشر . ١٩٣
الخطأ الثاني عشر . ١٩٣
الخطأ الثالث عشر . ١٩٤
الخطأ الرابع عشر . ١٩٤
الخطأ الخامس عشر . ١٩٥
موقف الحداثيين من الفساد اللغوي !. ١٩٦
الخطأ السادس عشر . ١٩٨
الخوف من عودة قضية "التتريك" في الجزيرة ! . ١٩٩
الخطأ السابع عشر . ٢٠٠
الخطأ الثامن عشر . ٢٠١
الخطأ التاسع عشر . ٢٠١
الخطأ العشرون . ٢٠٢
**المبحث السابع : شُبَهُ الدعاة إلى الشعر "النبطي"، والرَّدُّ عليها .** ٢٠٣
**الشبهة الأولى :** الشعر "النبطي" هو الذي يحدد هويتنا وشخصيتنا.."، والرد عليها . ٢٠٣

**الشبهة الثانية:** " أن اللغة العربية لا خوف عليها؛ لأنَّها محفوظة في القرآن .."، والرد عليها . ٢٠٥

**الشبهة الثالثة :** " إن نسبةً كبيرةً من سكان الجزيـــرة يفـــهمون العامية . . "، والرد عليها . ٢١٠

**الشبهة الرابعة:** " إن أغلب مفردات العامية عربي فصيـــح . . "، والرد عليها . ٢١٢

**الشبهة الخامسة:** "إن الأدب العامي في الماضي نقل إلينا الأخبار.."، والرد عليها . ٢١٥

**الشبهة السادسة :** " إن الشعر "النبطي" لا يتخلف عن الشعـــر الفصيح . . "، والرد عليها . ٢٢٥

**الشبهة السابعة :** " إننا لسنا من دعاة "النبطي" بقدر ما نحن دعاة إلى الإسلام . . "، والرد عليها . ٢٣١

حوار علمي هادي بيني وبين صاحب هذه الشبهة . ٢٣٥

**الخاتمة : كلمةٌ أخيرةٌ .** ٢٤٨

ثبت المراجع : ٢٥٠

الفهارس الموضوعية ٢٦٤

* * *